بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي

(٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م)

Woman in Egypt and Syria During the Ayyabids period

(567-648 Hijri / 1171-1250AD)

إعداد الطالبة

سناء احمد فلاح القضاه

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراة الفسلفة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/ جامعة اليرموك

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد عيسى صالحية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ

المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي
(٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م)

Woman in Egypt and Syria During the Ayyabids period
(567-648 Hijri / 1171-1250AD)

إعداد الطالبة

سناء احمد فلاح القضاه

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراة الفلسفة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/ جامعة اليرموك

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد عيسى صالحية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

قرار لجنة المناقشة

المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي

(٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م)

إعداد

سناء أحمد فلاح القضاه

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراة الفلسفة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/ جامعة اليرموك

قرار لجنة المناقشة

أ.د محمد عيسى صالحية .... مشرفاً ورئيساً
أستاذ التاريخ الإسلامي / جامعة اليرموك

أ. د سليمان خرابشة .... عضوا
أستاذ التاريخ الإسلامي/ جامعة اليرموك

أ.د نعمان جبران .... عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي/ جامعة اليرموك

أ. د صالح درادكة .... عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي/ الجامعة الأردنية

أ.د محمد خريسات .... عضواً
أستاذ التاريخ الإسلامي/ الجامعة الأردنية

الإهـــــــــداء

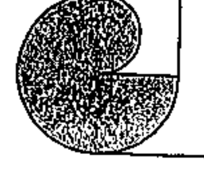
إلى روح والدي رحمهما الله

وإلى ولدي الحبيب يحيى

وإلى زوجي

الباحثة

سناء أحمد القضاه



الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،

فأتقدم بخالص الشكر والإمتنان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحية المشرف على هذه الأطروحة لما قدمه من توجيهات سديدة وآراء قيمة أثرت الأطروحة.

كما أدين بخالص الشكر والعرفان إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة مقدراً ملحوظاتهم النيرة النابعة من عميق خبرتهم، وكريم رعايتهم.

الباحثة

سناء القضاه

قائمة الاختصارات

الحرف	المعنى
ت	تاريخ الوفاة
ج	الجزء
مج	مجلد
ق	قسم
ط	الطبعة
ع	العدد
ص	الصفحة
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري

قائمــــــة المحتـــويــــــات

قائمـــــة الملاحــــــق

المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي
(٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م)

إعداد الطالبة
سناء أحمد فلاح القضاة

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد عيسى صالحية

الملخص

هدفت هذه الدراسة لبيان أوضاع المرأة في العصر الأيوبي في كل من مصر وبلاد الشام من النواحي الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية، والسياسية.

وقد تمتعت المرأة بمكانة عالية في نطاق الأسرة والمجتمع، وحظيت بالاحترام الوافر، وأتيحت لها فرص التعليم، ووصلت إلى مستويات علمية عالية وعلى الأخص في العلوم الدينية والأدبية.

وملكت المرأة وعلى الأخص نساء الخاصة ثروات طائلة مما أتاح لها إنشاء صروح علمية ودينية، ووقفت عليها أوقافاً كثيرة حتى أصبحت قبلة لطلبة العلم من أقطار العالم الإسلامي.

وكان للمرأة الأيوبية مشاركة في الحياة العامة، ولها تأثير فاعل في القرار السياسي ودور في مباشرة الحكم أما من وراء رجل كابنها أو أبن ابنها أو زوجها، وأما استقلالاً باعتبارها سلطانة ولو كان ذلك لفترة وجيزة.

وقد استقصت الدراسة بعض الأوضاع السلبية للمرأة في الفترة الأيوبية المتمثلة ببعض مظاهر الفساد الأخلاقي، واشتراكها في بعض عصابات القتل، وممارسات السحر والشعوذة وادعاء النبوة، ودور الجاريات في المجتمع من حيث مجالس الأنس واللهو لطبقة الخاصة، والعامة.

وأظهرت بعض الممارسات السلبية ضد المرأة وإن كانت على نطاق ضيق، وتعتبر حوادث فردية أكثر منها ظاهرة عامة؛ كسوء معاملة الزوج لزوجته، والتزويج بغير كفء، ومصادرة أموالها أحياناً عند نساء الخاصة لأسباب سياسية، إلا أن المرأة على وجه العموم قد حظيت بحقوق كثيرة ومكانة عالية.

المقدمة

تحظى دراسات المرأة باهتمام عالمي في وقتنا الراهن، وتتباين الأنظار بالنسبة لقضايا المرأة حسب تباين الثقافات والحضارات.

وقد دُرِست أوضاع المرأة العربية والإسلامية في معظم فترات التاريخ الإسلامي، إلا أن الفترة الأيوبية لم تحظ بهذا الاهتمام، فانصبت الدراسات على التاريخ السياسي والعسكري نظراً للظروف السائدة إذ ذاك من الهجمات الفرنجية (الصليبية) والتصدي لها، مما صرف الاهتمام عن التاريخ الاجتماعي لهذه الفترة بشكل عام، وأوضاع المرأة بشكل خاص.

وآثرت الكتابة بهذا الموضوع، وبهذه الفترة بالذات لعلي أغطي هذه الثغرة في كتابة تاريخ المرأة، كي تتصل حلقات الدراسة، وتغطي جميع الفترات التاريخية.

ولتحقيق ذلك، فقد رجعت إلى المصادر التاريخية الأصلية المتعلقة بهذه الفترة، وهي قليلة نسبياً، لأن معظم المصادر كانت تغطي الفترة الفاطمية أو الفترة المملوكية بشكل أوسع، حتى أن بعض الباحثين المحدثين يتناولون في دراساتهم هذه الفترات الثلاث مجتمعة، ويركزون على الفترة الفاطمية، والفترة المملوكية، وتكون دراستهم عن الفترة الأيوبية مختصرة وقليلة لا تكاد تفي بالغرض.

وقد قسمت الأطروحة إلى مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

أما الفصل الأول فهو: الوضع الاجتماعي للمرأة في العصر الأيوبي. وتحدثت فيه عن نساء الملوك، ونساء العامة، وعن الأسرة وما يتعلق بذلك من مهر، وزواج، وتربية الأطفال، وعن محتويات المنزل من الأثاث والمتاع، وعن الأطعمة والأشربة، وعن ملابس المرأة وزينتها.

أما الفصل الثاني فهو: الوضع العلمي للمرأة في العصر الأيوبي وبينت فيه اهتمام المرأة بالعلم، ووصولها إلى مراتب علمية رفيعة، وعلى الأخص العلوم الدينية والأدبية.

أما الفصل الثالث فهــو: الوضع الاقتصادي للمرأة في العصر الأيوبي وقد بينت فيه مـــا تمتعت به المرأة من ثروات، ومصادر دخلها، ومظاهر ثرائها وعلى وجه الخصوص ما انعكس على المنشآت العلمية والدينية التي قامت بها، وما وقفته عليها من أوقاف.

أما الفصل الرابع فهو: دور المرأة في العصر الأيوبي في الحياة السياسية وقد بينت فيــه دور المرأة في المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية، وانخراطها في الحياة العامة، وأنها باشرت الحكم من وراء الرجال كابنها أو ابن ابنها أو زوجها، كما أنها حكمت بشكل مستقل، فأصــبحت ملكة أو سلطانة.

أما الفصل الخامس فهو: الوجه الآخر للمرأة في العصر الأيوبي – الجواري. وبينت فيه بعض الممارسات المنحرفة للمرأة والمجتمع بشكل عام، من بيوت اللهو، وجلسات الأنس، ودور الجواري بذلك.

أما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج.

الفصل الأول

الـــــــــوضـــــــع الاجتــمــاعـــــي للمــــــــرأة في العصر الأيوبي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نساء الملوك وكبار رجال الدولة.

المبحث الثانـي: نساء العامة.

المبحث الثالث: الأسرة في العصر الأيوبي.

المبحث الرابع: الملابس والزينه.

المبحث الأول

نســـــاء الملـــوك وكبـــار رجـــال الدولـــة

- الألقاب
- الملكة
- الستر العالي
- الخاتون
- الصاحبة
- الجهة
- الخوند
- الست
- السيدة
- الجليلة
- عصمة الدين

الألقاب:

كانت نساء الفئة العيا يضفى عليهن أنواع متعددة من الكنى والألقاب، وكانت متداولة في أدب العصر، ومنها:

***الملكة**[(١)]:

وقد أعطي هذا اللقب أو أضيف إلى اسم بعض النساء اللواتي كان لهن مشاركات في الحكم أو حكمن فعلاً ولو لمدة قصيرة ، أو كان لهن وضع مميز في الأسرة الحاكمة، مثل الملكة " ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) في حلب، والتي كانت المرجع الأهم في تصريف أمور الدولة[(٢)]. وشجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[(٣)] والتي حكمت البلاد لمدة ثلاثة شهور فعلياً إضافة إلى ما كان لها من سلطان في عهد زوجها السابق الملك الصالح الأيوبي(ت ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م)[(٤)]. وما كان لها من سلطة على زوجها اللاحق المعز أيبك (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[(٥)].

---

(١) ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ- ١٢٦١م، زبدة الحلب في تاريخ حلب، نشر وتحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٤٧٨هـ- ١٩٦٨م. ج٣، ص٢٣٧. وابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ- ١٤٦٩م. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. ج٦، ص٣٣٢. والغزي، كامل البالي الحلبي، كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب، قدم له وصححه وعلق عليه شوقي شعث ومحمود فاخوري، دار العلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) ابن العديم، زبد الحلب، ج٣، ص٥٥. وابن شداد، عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي ابراهيم. ت٦٨٤هـ- ١٢٨٥م، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق دومنيك سوريل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٢٧٣هـ- ١٩٥٣م، ج١) ص٩٥.

(٣) المقريزي، احمد بن علي ت ٨٣٥هـ، ١٤٤١م. السلوك لمعرفة دول الملوك. صححه ووضع حواشيه. محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ٣٧٦هـ- ١٩٥٦م. ج١، ٢٠٥، ص٣٦١، ٣٦٢.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ- ١٣٤٧م. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام. تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م. وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٩٨

وقد أطلق لقب سيدة الملكات على ست الشام بنت أيوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م) أخت السلطانين صلاح الدين يوسف بن أيوب (ت ٥٨٩هـ- ١١٩٣م) والعادل سيف الدين(ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م)[١]. والظاهر أن ست الشام اكتسبت هذا اللقب نظراً لجهودها الكبيرة في تلبية حاجات الناس ولوضعها المتميز في البيت الايوبي، فقد " كان بابها ملجأ كل قاصد في حاجة إلى الدولة". [٢].

أما من ناحية وضعها المتميز في البيت الأيوبي فقد كان لها من المحارم عدد كبير من الملوك. فسائر ملوك بني أيوب اخوتها أو بنو إخوتها[٣]. حيث ذكر الحنبلي في كتابه شفاء القلوب: " كان لها نيف وثلاثون محرماً (من الملوك) سوى أولادهم"[٤]. مما أكسبها احتراماً منهم، ومهابة من قبل العامة نظراً لأنها أخت أو عمة ملوكهم.

وقد اكتسبت السلطة ونفاذ الكلمة من هذا الوضع المتميز، لذلك لقبت بسيدة الملكات وإن لم تكن تحكم فعلياً أو من وراء حاكم.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١- ٦٢٠هـ، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦١١- ٦٢٠هـ، ص٢٩٠

(٣) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦١١-٦٢٠، ص٢٩٠

(٤) الحنبلي، احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ- ١٤٧١م. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٥هـ- ١٩٩٦م. ص٢٢٢.

وقد أطلق هذا اللقب ايضاً على بنت الأمير مسعود ملك الأرمن وما يلي بلاد الروم، ولم تذكر المصادر اسمها، إلا أن ابن جبير قال عنها" الملكة خاتون ابنة الأمير مسعود.... وخاتون هذه أعظم الخواتين قدراً بسبب سعة مملكة أبيها..."[1].

الستر العالي.

وهذا اللقب أيضاً كان خاصاً بنساء الطبقة الحاكمة وهو تشريفي. فمن يطلق عليها تكون ذات مكانة خاصة ولها ووضع متميز.

فقد اطلق على ضيفة خاتون بنت العادل (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م)[2]. وعلى غازية خاتون بنت الكامل زوجة الملك المظفر صاحب حماة (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)، وفاطمة خاتون بنت العادل زوجة الملك العزيز صاحب حلب (ت ٦٠٩هـ- ١٢١٢م). كانت قبل اختها ضيفة خاتون[3].

وهنا نلاحظ أن معظم بنات العادل والكامل أطلق عليهن لقب الستر العالي نتيجة لوضعهن المتميز وارتباطهن بأزواج ملوك في البيت الأيوبي. وقد أطلق على فاطمة خاتون ابنة الملك الكامل الستر الرفيع[4]، وعلى شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) لقب الستر الرفيع والحجاب المنيع[5] وهو نفس معنى الستر العالي.

---

(١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، ت(٦١٤هـ- ١٢١٧م)، تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار المعروف برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨١م، ص ١٤٤، ورضوان دعبول، وفيات أعلام النساء، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، ١٩٩٨م، ص١٠٥.

(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٤٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ق٢،ص٣٦٢.

الذي يطلق للتعبير عن المبالغة في الاحترام والاكرام[1].

الخاتون:

الخاتون كلمة أعجمية للمرأة الشريفة"[2]. وفي حين أن الفيروز أبادي لم يبين أصلها بل اكتفى بالقول بأنها أعجمية، نجد ان القلقشندي يبين بانها كلمة تركية[3]، وتابعه على ذلك عدد من الباحثين[4]، أما بطرس البستاني فيقول انها " من لغة التتر (الأوردو)، تلقب بها نساء الملوك عند العرب"[5]. وأياً كان أصل هذه الكلمة الأعجمية، فإن لقب خاتون قد استخدم للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصاً زوجات السلاطين أو قريباتهم[6].

والخاتون من اكثر الالقاب انتشاراً، فهي كالأميرة، وكان يطلق على نساء الطبقة الحاكمة، سواء أكان لها دور في الحكم أم لا. والجدير ذكره أن كلمة خاتون أصبحت فيما بعد تطلق على المرأة التي لها وضع اجتماعي كبير، أو لوالدها. كالست فاطمة خاتون بنت السلار[7]. أي لا يقتصر إطلاق اللفظ على المرأه الأميرة فقط.

---

(١) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣١٨.

(٢) الفيروز ابادي، مجد الدين بن يعقوب (ت ٧١١هـ- ١٣١١م)، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت. ج٤، ص٢٢٠. مادة ختن.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت (٨٢١هـ- ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، (١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)، ج٦، ص١٧١.

(٤) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، ص٢٦٤. والبقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م)، ص١٢٤.

(٥) البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، ص٢١٧ مادة ختن.

(٦) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، ص٢٦٤. والبقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٢٤.

(٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٣.

وقد يضاف إلى لقب الملكة لقب خاتون. فقد وردت تسمية ضيفة خاتون باسم (الخاتون الملكة) [١]. أو (الملكة الخاتون) [٢]. أو (الملكة ضيفة خاتون) [٣]. فهنا نلاحظ إضافة اللقبين معاً. والمشهور بلقب الملكة ضيفة خاتون هو الخاتون. وهذا يدل على شيوع وانتشار هذا اللقب أكثر من غيره[٤].

وكثيرات تلقبن بهذا اللقب أمثال؛ ربيعة خاتون أخت صلاح الدين، والملك العادل (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)[٥]. وزوجة مظفر الدين صاحب اربل (ت ٦٣٠هـ- ١٢٣٢م)[٦]. وكذلك غازية خاتون[٧] ابنة العزيز صاحب حلب. وفاطمة خاتون بنت الملك الكامل (٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)[٨] ومؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد[٩].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه،ج٣، ص٢٦٣.

(٣) الغزى، نهر الذهب، ج٢، ص٢٠٩.

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ج١، ق١، ص٢٦.

(٥) ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي ت ٦٦٥هـ- ١٢٦٦م. تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين. وضع حواشيه وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م. ج٥، ص١٢٠. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة. ج٦، ص٣١٣.

(٦) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ- ١٢٨٢م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، بيروت،١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م،.ج٤، ص١٢٠.

(٧)المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٢.

(٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥.

(٩) المقريزي، أحمد بن علي تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية. تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٨م. ج٣، ص٤٥.

وقد ترجم الذهبي للعديد من الخواتين أمثال الخاتون عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بن شادى (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)[١]. والخاتون والدة السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)[٢]. وغيرهن الكثير، كما أضفي على بعض النساء الأيوبيات لقب "سيدة الخواتين" وذلك للمبالغة في التبجيل والاحترام. أمثال ست الشام بنت نجم الدين أيوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م)[٣]. وعائشة خاتون ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب[٤].

والخاتون العصمية، وهي عصمة الدين ابنة معين الدين أنر زوجة صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨١هـ- ١١٨٥م)، وكانت قبله زوجة للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (ت ٥٦٩هـ- ١١٧٣م)[٥].

وست الشام الخاتون بنت ايوب ايضاً (ت٥١٦هـ- ١١٢٢م)[٦].

والجدير ذكره أن لقب الخاتون لم يكن خاصاً بتلك الفترة أو بنساء البيت الايوبي فقط، فقد أطلق على النساء الشريفات قبل وبعد الدولة الأيوبية. فعند سلاجقة الروم تلقبت المرأة الشريفة بهذا اللقب، مثل ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباذ زوجة الناصر يوسف صاحب

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام. وفيات سنة٥٩١-٦٠٠. ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، وفيات سنة ٥٩١-٦٠٠، ص١٢٧.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ج٦، ص٢١٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٩.

(٥) ابو شامه، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم عثمان القدسي الدمشقي الشافعي، (ت٦٦٥هـ- ١٢٦٦م، الروضتين في اخبار الدولتين، النورية والصلاحية، تعليق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م،ج٣، ص١٥٧. وابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ- ١٦٧٨م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م ، ج٤، ص٢٧٢.

(٦) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤٧.

حلب[1] وقد تسمت زمرد خاتون بنت الأمير جاولى أخت الملك دقاق صاحب دمشق لأمه (ت ٥٥٧هـ- ١١٧١م)، وزوجة تاج الملك بورى (ت ٥٢٦هـ- ١١٣١م). وأم ولديه، بهذا الاسم أو اللقب[2].

ونساء المغول تسمت بهذا الأسم، والظاهر أن اصل الاسم مأخوذ عن التتر كما جاء في بعض المراجع[3]. فقد تسمت زوجة هولاكو ولقبت الخاتون وهي طقز خاتون. وهي من شفعت في الملك العزيز بن الناصر، ولم يسلم من القتل غيره[4].

واللافت للنظر أن هذا اللقب أطلق أحياناً على غير أميرات البيت الحاكم، حيث أنه من كان من رجال الدولة، وله سلطة معينة أو وضع مرموق، كان يطلق على نسائه هذا اللقب. فقد أطلق لقب خاتون على فاطمة بنت السلار[5].

الصاحبة:

وهو لقب مؤنث يعبر به عن المرأة تكريماً لذاتها، وقد أطلق على أميرات البيت الأيوبي[6]. وكان يأتي أحياناً بمعنى الزوجة إذا أضيف إلى اسم الزوج، إذ كان يدعى لشجر الدر على المنابر أثناء سلطنتها سنة (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) " بصاحبة الملك الصالح أي زوجته"[7].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٢، ٣٩٤.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٨.

(٣) البستاني، محيط المحيط، مادة ختن، ص٢١٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٤

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج٢، ص٢٢٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ت، ص٢٤٣. والباشا، الألقاب الإسلامية، ص٣٧٦.

(٧)المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٣..

وقد تلقب العديد من الخواتين بلقب الصاحبة؛ وأشهر من تلقبت بذلك الصاحبة ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ - ١١٤٢م)[1]. وهي الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل (ت ٦١٥هـ - ١٢١٨م). وزوجة الملك الظاهر صاحب حلب (ت ٦١٣هـ - ١٢١٦م)، وأم العزيز صاحب حلب(ت ٦٣٤هـ - ١٢٣٦م). وجدة الناصر سلطان الشام (ت ٦٥٩هـ - ١٢٦٠م)، وهي التي تصرفت بحلب تصرف السلاطين كما يقول الذهبي[2]. والجدير ذكره أن ضيفة خاتون تلقبت بجميع الألقاب التشريفية التي كانت تطلق على نساء الطبقة الحاكمة في البيت الأيوبي، لما لتلك المرأة من مكانة على الصعيد السياسي، وعلى الصعيد الاجتماعي، وحتى الاقتصادي.

---

(١)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١- ٦٤٠، ص٤٣٧، والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ، ١٣٦٢م. تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب. تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. ج٢، ص١٥٦.

(٢) الذهبي،المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٧

الفصل الأول

الـــــوضــــع الاجتـمــاعـــي للمــــــرأة في العصر الأيوبي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نساء الملوك وكبار رجال الدولة.

المبحث الثانـي: نساء العامة.

المبحث الثالث: الأسرة في العصر الأيوبي.

المبحث الرابع: الملابس والزينه.

المبحث الأول

نســـــــاء الملـــــوك وكبــــــار رجـــــال الدولـــــــة

- الألقاب
- الملكة
- الستر العالي
- الخاتون
- الصاحبة
- الجهة
- الخوند
- الست
- السيدة
- الجليلة
- عصمة الدين

الألقاب:

كانت نساء الفئة العيا يضفى عليهن أنواع متعددة من الكنى والألقاب، وكانت متداولة في أدب العصر، ومنها:

***الملكة[1]:**

وقد أعطي هذا اللقب أو أضيف إلى اسم بعض النساء اللواتي كان لهن مشاركات في الحكم أو حكمن فعلاً ولو لمدة قصيرة ، أو كان لهن وضع مميز في الأسرة الحاكمة، مثل الملكة " ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) في حلب، والتي كانت المرجع الأهم في تصريف أمور الدولة[2]. وشجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[3] والتي حكمت البلاد لمدة ثلاثة شهور فعلياً إضافة إلى ما كان لها من سلطان في عهد زوجها السابق الملك الصالح الأيوبي(ت ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م)[4]. وما كان لها من سلطة على زوجها اللاحق المعز أيبك (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[5].

---

(١) ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ- ١٢٦١م، زبدة الحلب في تاريخ حلب، نشر وتحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٤٧٨هـ- ١٩٦٨م. ج٣، ص٢٣٧. وابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ- ١٤٦٩م. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. ج٦، ص٣٣٢. والغزي، كامل البالي الحلبي، كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب، قدم له وصححه وعلق عليه شوقي شعث ومحمود فاخوري، دار العلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، ج٢، ص٢٠٩.

(٢) ابن العديم، زبد الحلب، ج٣، ص٥٥. وابن شداد، عز الدين ابو عبد الله محمد بن علي ابراهيم. ت٦٨٤هـ- ١٢٨٥م، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق دومنيك سوريل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٢٧٣هـ- ١٩٥٣م، ج١) ص٩٥.

(٣) المقريزي، احمد بن علي ت ٨٣٥هـ، ١٤٤١م. السلوك لمعرفة دول الملوك. صححه ووضع حواشيه. محمد مصطفى زيادة. مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م. ج١، ٢٠٥، ص٣٦١، ٣٦٢.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ- ١٣٤٧م. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام. تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م. وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٢.

(٥) المصدر نفسه، ص١٩٨

وقد أطلق لقب سيدة الملكات على ست الشام بنت أيوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م) أخت السلطانين صلاح الدين يوسف بن أيوب (ت ٥٨٩هـ- ١١٩٣م) والعادل سيف الدين(ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م)[١]. والظاهر أن ست الشام اكتسبت هذا اللقب نظراً لجهودها الكبيرة في تلبية حاجات الناس ولوضعها المتميز في البيت الايوبي، فقد " كان بابها ملجأ كل قاصد في حاجة إلى الدولة". [٢].

أما من ناحية وضعها المتميز في البيت الأيوبي فقد كان لها من المحارم عدد كبير من الملوك. فسائر ملوك بني أيوب اخوتها أو بنو إخوتها[٣]. حيث ذكر الحنبلي في كتابه شفاء القلوب: " كان لها نيف وثلاثون محرماً (من الملوك) سوى أولادهم"[٤]. مما أكسبها احتراماً منهم، ومهابة من قبل العامة نظراً لأنها أخت أو عمة ملوكهم.

وقد اكتسبت السلطة ونفاذ الكلمة من هذا الوضع المتميز، لذلك لقبت بسيدة الملكات وإن لم تكن تحكم فعلياً أو من وراء حاكم.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١- ٦٢٠هـ، ص٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦١١- ٦٢٠هـ، ص٢٩٠

(٣) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦١١-٦٢٠، ص٢٩٠

(٤) الحنبلي، احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ- ١٤٧١م. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٥هـ- ١٩٩٦م. ص٢٢٢.

وقد أطلق هذا اللقب ايضاً على بنت الأمير مسعود ملك الأرمن وما يلي بلاد الروم، ولم تذكر المصادر اسمها، إلا أن ابن جبير قال عنها" الملكة خاتون ابنة الأمير مسعود.... وخاتون هذه أعظم الخواتين قدراً بسبب سعة مملكة أبيها..."[1].

الستر العالي.

وهذا اللقب أيضاً كان خاصاً بنساء الطبقة الحاكمة وهو تشريفي. فمن يطلق عليها تكون ذات مكانة خاصة ولها ووضع متميز.

فقد اطلق على ضيفة خاتون بنت العادل (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م)[2]. وعلى غازية خاتون بنت الكامل زوجة الملك المظفر صاحب حماة (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)، وفاطمة خاتون بنت العادل زوجة الملك العزيز صاحب حلب (ت ٦٠٩هـ- ١٢١٢م). كانت قبل اختها ضيفة خاتون[3].

وهنا نلاحظ أن معظم بنات العادل والكامل أطلق عليهن لقب الستر العالي نتيجة لوضعهن المتميز وارتباطهن بأزواج ملوك في البيت الأيوبي. وقد أطلق على فاطمة خاتون ابنة الملك الكامل الستر الرفيع[4]، وعلى شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) لقب الستر الرفيع والحجاب المنيع[5] وهو نفس معنى الستر العالي.

---

(١) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، ت(٦١٤هـ- ١٢١٧م)، تذكرة الأخبار في اتفاقات الأسفار المعروف برحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت،١٩٨١م، ص ١٤٤، ورضوان دعبول، وفيات أعلام النساء، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان، ١٩٩٨م، ص١٠٥.

(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٤٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ق٢،ص٣٦٢.

الذي يطلق للتعبير عن المبالغة في الاحترام والاكرام[١].

الخاتون:

الخاتون كلمة أعجمية للمرأة الشريفة"[٢]. وفي حين أن الفيروز أبادي لم يبين أصلها بل اكتفى بالقول بأنها أعجمية، نجد ان القلقشندي يبين بانها كلمة تركية[٣]، وتابعه على ذلك عدد من الباحثين[٤]، أما بطرس البستاني فيقول انها " من لغة التتر (الأوردو)، تلقب بها نساء الملوك عند العرب"[٥]. وأياً كان أصل هذه الكلمة الأعجمية، فإن لقب خاتون قد استخدم للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصاً زوجات السلاطين أو قريباتهم[٦].

والخاتون من اكثر الالقاب انتشاراً، فهي كالأميرة، وكان يطلق على نساء الطبقة الحاكمة، سواء أكان لها دور في الحكم أم لا. والجدير ذكره أن كلمة خاتون أصبحت فيما بعد تطلق على المرأة التي لها وضع اجتماعي كبير، أو لوالدها. كالست فاطمة خاتون بنت السلار[٧]. أي لا يقتصر إطلاق اللفظ على المرأه الأميرة فقط.

---

(١) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣١٨.

(٢) الفيروز ابادي، مجد الدين بن يعقوب (ت ٧١١هـ- ١٣١١م)، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت. ج٤، ص٢٢٠. مادة ختن.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت (٨٢١هـ- ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، (١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م)، ج٦، ص١٧١.

(٤) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، ص٢٦٤. والبقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م)، ص١٢٤.

(٥) البستاني، بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، (١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، ص٢١٧ مادة ختن.

(٦) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، ص٢٦٤. والبقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٢٤.

(٧) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٣.

وقد يضاف إلى لقب الملكة لقب خاتون. فقد وردت تسمية ضيفة خاتون باسم (الخاتون الملكة) [١]. أو (الملكة الخاتون) [٢]. أو (الملكة ضيفة خاتون) [٣]. فهنا نلاحظ إضافة اللقبين معاً. والمشهور بلقب الملكة ضيفة خاتون هو الخاتون. وهذا يدل على شيوع وانتشار هذا اللقب أكثر من غيره[٤].

وكثيرات تلقبن بهذا اللقب أمثال؛ ربيعة خاتون أخت صلاح الدين، والملك العادل (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)[٥]. وزوجة مظفر الدين صاحب اربل (ت ٦٣٠هـ- ١٢٣٢م)[٦]. وكذلك غازية خاتون[٧] ابنة العزيز صاحب حلب. وفاطمة خاتون بنت الملك الكامل (٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)[٨] ومؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد[٩].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) المصدر نفسه،ج٣، ص٢٦٣.

(٣) الغزى، نهر الذهب، ج٢، ص٢٠٩.

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ج١، ق١، ص٢٦.

(٥) ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي ت ٦٦٥هـ- ١٢٦٦م. تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين. وضع حواشيه وعلق عليه ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م. ج٥، ص١٢٠. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة. ج٦، ص٣١٣.

(٦) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ- ١٢٨٢م. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس، بيروت،١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م،.ج٤، ص١٢٠.

(٧)المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٢.

(٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥.

(٩) المقريزي، أحمد بن علي تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م). المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية. تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٨م. ج٣، ص٤٥.

وقد ترجم الذهبي للعديد من الخواتين أمثال الخاتون عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بن شادى (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)[١]. والخاتون والدة السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)[٢]. وغيرهن الكثير، كما أضفي على بعض النساء الأيوبيات لقب "سيدة الخواتين" وذلك للمبالغة في التبجيل والاحترام. أمثال ست الشام بنت نجم الدين أيوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م)[٣]. وعائشة خاتون ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب[٤].

والخاتون العصمية، وهي عصمة الدين ابنة معين الدين أنر زوجة صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨١هـ- ١١٨٥م)، وكانت قبله زوجة للملك العادل نور الدين محمود بن زنكي (ت ٥٦٩هـ- ١١٧٣م)[٥].

وست الشام الخاتون بنت ايوب ايضاً (ت٥١٦هـ- ١١٢٢م)[٦].

والجدير ذكره أن لقب الخاتون لم يكن خاصاً بتلك الفترة أو بنساء البيت الايوبي فقط، فقد أطلق على النساء الشريفات قبل وبعد الدولة الأيوبية. فعند سلاجقة الروم تلقبت المرأة الشريفة بهذا اللقب، مثل ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباذ زوجة الناصر يوسف صاحب

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام. وفيات سنة٥٩١-٦٠٠. ص١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، وفيات سنة ٥٩١-٦٠٠، ص١٢٧.

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ج٦، ص٢١٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٩.

(٥) ابو شامه، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم عثمان القدسي الدمشقي الشافعي، (ت٦٦٥هـ- ١٢٦٦م، الروضتين في اخبار الدولتين، النورية والصلاحية، تعليق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م،ج٣، ص١٥٧. وابن العماد، ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ- ١٦٧٨م. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م ، ج٤، ص٢٧٢.

(٦) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤٧.

حلب[1] وقد تسمت زمرد خاتون بنت الأمير جاولى أخت الملك دقاق صاحب دمشق لأمه (ت ٥٥٧هـ- ١١٧١م)، وزوجة تاج الملك بورى (ت ٥٢٦هـ- ١١٣١م). وأم ولديه، بهذا الاسم أو اللقب[2].

ونساء المغول تسمت بهذا الأسم، والظاهر أن اصل الاسم مأخوذ عن التتر كما جاء في بعض المراجع[3]. فقد تسمت زوجة هولاكو ولقبت الخاتون وهي طقز خاتون. وهي من شفعت في الملك العزيز بن الناصر، ولم يسلم من القتل غيره[4].

واللافت للنظر أن هذا اللقب أطلق أحياناً على غير أميرات البيت الحاكم، حيث أنه من كان من رجال الدولة، وله سلطة معينة أو وضع مرموق، كان يطلق على نسائه هذا اللقب. فقد أطلق لقب خاتون على فاطمة بنت السلار[5].

الصاحبة:

وهو لقب مؤنث يعبر به عن المرأة تكريماً لذاتها، وقد أطلق على أميرات البيت الأيوبي[6]. وكان يأتي أحياناً بمعنى الزوجة إذا أضيف إلى اسم الزوج، إذ كان يدعى لشجر الدر على المنابر أثناء سلطنتها سنة (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) " بصاحبة الملك الصالح أي زوجته"[7].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٧٢، ٣٩٤.

(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٨.

(٣) البستاني، محيط المحيط، مادة ختن، ص٢١٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٤

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة،ج٢، ص٢٢٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج١، ت، ص٢٤٣. والباشا، الألقاب الإسلامية، ص٣٧٦.

(٧)المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٣..

وقد تلقب العديد من الخواتين بلقب الصاحبة؛ وأشهر من تلقبت بذلك الصاحبة ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١١٤٢م)[1]. وهي الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م). وزوجة الملك الظاهر صاحب حلب (ت ٦١٣هـ- ١٢١٦م)، وأم العزيز صاحب حلب(ت ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م). وجدة الناصر سلطان الشام (ت ٦٥٩هـ- ١٢٦٠م)، وهي التي تصرفت بحلب تصرف السلاطين كما يقول الذهبي[2]. والجدير ذكره أن ضيفة خاتون تلقبت بجميع الألقاب التشريفية التي كانت تطلق على نساء الطبقة الحاكمة في البيت الأيوبي، لما لتلك المرأة من مكانة على الصعيد السياسي، وعلى الصعيد الاجتماعي، وحتى الاقتصادي.

---

(١)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١- ٦٤٠، ص٤٣٧، والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ، ١٣٦٢م. تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب. تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام. منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م. ج٢، ص١٥٦.

(٢) الذهبي،المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٧

ومن اشتهرت بلقب الصاحبة خاتون إضافة إلى الضيفة خاتون؛ بنات اخيها الملك الكامل. وهن الصاحبة غازية خاتون (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)، وهي زوجة الملك المظفر محمود صاحب حماة [١]. وأختها الصاحبة فاطمة خاتون (ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م)[٢]. وهي من تلقب ايضا بالستر الرفيع وهذا التعدد في الالقاب يدل على مدى ما وصلت إليه من وضع متميز[٣].

وعرفت بلقب الصاحبة أيضاً ربيعة خاتون (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م). وهي ابنة نجم الدين ايوب، وأخت صلاح الدين والعادل.[٤]

الجهة:

الجهة في اللغة اسم للناحية، وكان يكنى باللفظ عن المرأة الجليلة، ويضاف له وصف آخر مثل: الجهة الكريمة، والجهة الشريفة. وقد يضاف لفظ جهة أو الجهة إلى اسم مذكر للإشارة

---

(١) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي محمود ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت ٧٣٢-١٣٣١م). المختصر في اخبار البشر. علق عليه محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. ج١، ص٣٠٥. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ- ١٣٤٧م. سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان- مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م. ج٢٣، ص٣٤٦. والمقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٣. والذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ- ١٣٧٤م. سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان- مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١ ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م. ج٢٣، ص٣٤٦.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٥٩. والذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٤٦.والمقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٣. والحلبي، سبط ابن العجمي (ن ٨٨٤هـ- ١٤٤٤م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي فالح البكور، دار القلم، حلب،١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ج١، ص٤٠٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٢٩.

(٤)وأبو شامة ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٧٢، الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ-١٣٤٧م). العبر في خبر من غبر. تحقيق، صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م. ج٥، ص١٧٦.ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٨.

إلى صلة قرابة وغالباً تكون صلة الزوجية[1]. إلا أنه إن كان شخصاً رفيع المستوى مثل أمير أو ملك أو خليفة فان هذا الاطلاق يفيد المبالغة في التكريم بمخاطبة تلك المرأة اعترافاً بمستواها ومستوى من اضيفت اليه.

وقد اطلق لقب الجهة على تركان خاتون (ت ٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) زوجة الملك الأشرف مظفر الدين موسى (ت ٦٣٥هـ - ١٢٣٧م) بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي بن أقسنقر، فقيل لها " الجهة الأتابكية"[2]، وذكرت في بعض المصادر بلفظ " الأتابكية"[3] دون كلمة جهة.

وأتابك أو أطابك من ألقاب الوظائف التي استعملت وبعض مركباتها في بعض الأحيان كألقاب فخرية[4]. ويتألف من لفظين تركيين وهما " اتا" أو " أطا" بمعنى أب، و " بك" بمعنى أمير. وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ ايام ملكشاه بن ألب أرسلان (ت ٤٨٥هـ - ١٠٩٢م). كانوا يطلقون لفظ أتابك على كبير أمرائهم يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير. وكثيراً ما تزوج الأتابك من أم الموصى به، فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه

---

(١) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٢٤٨.

(٢)والذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣. والذهبي، العبر في خبر من ذهب، ج٥، ص١٦٥.وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٧. الصفدي، صلاح الدين بن ايبك الصفدي. (ت ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م.)الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت رتير. دار النشر فرانز شتاينر فيسبادت. ط٢ ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م. ج١، ص٣٨٠. والذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣. والذهبي، العبر في خبر من ذهب، ج٥، ص١٦٥.وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٧.

(٣) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٦٨. ابن كثير، ابو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م). البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرون. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. مج ٦، ج١٣، ص٤١.

(٤)الباشا، الألقاب الإسلامية، ص١٢٢.

شبه أبوية، ثم أطلق هذا اللقب أيام المماليك بمصر على مقدم العساكر أو القائد العام على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعاً، وكان يسمى أتابك العساكر"[1]. وقبل ذلك استخدم نور الدين (ت ٥٦٩هـ- ١١٧٣م) ومن بعده صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ- ١١٩٣م) لقب " أتابك المجاهدين" الذي يرتبط بمعنى الجهاد الذي استطاعا أن يبعثا روحه من جديد في حروبهما ضد الفرنجة (الصليبيين)، تلك الروح التي أذكتها حروب المماليك فيما بعد ضد التتر والفرنجة[2].

ويرى البعض ان اطلاق الجهة الاتابكية، أو الأتابكية على عرفان خاتون هو لقب تشريفي إذ كان من عادة آل سلجوق إذا أرادوا تكري أحد قوادهم أضاوا لاسمه لقب أتابك[3]. وهنا أخذت تركان خاتون لقب أتابك تكريماً لها على عادة قومها آل سلجوق.

وقد اطلق على شجر الدر(ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) لقب الجهة الصالحية. لأنها كانت زوجة الملك الصالح (ت ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م)، وذلك عندما كان يخطب لها على المنابر من قبل الخطباء. حيث يقولون: " واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح"[4] وهنا الجهة الصالحية نسبة إلى الملك الصالح

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨. والبقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٤. والباشا، الألقاب الإسلامية، ص١٢٣.

(٢) الباشا، الالقاب الإسلامية، ص١٢٤.

(٣) احمد رمضان، احمد محمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ص٥٢.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٩. المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٣.

نجم الدين أيوب زوجها السابق. وأطلق عليها ايضاً عصمة الدنيا والدين والمستعصمية نسبة إلى الخليفة المستعصم (ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م)[١].

الخوند:

وهو لفظ فارسي عرفته كذلك اللغة التركية؛ وأصله " خداوند"، ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والإناث، إلا أنه غلب استعماله كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة. وقد يرد معرفاً بأل وتضاف له تاء التانيث في حالة استعماله لمؤنث فيلفظ " الخوندة" بمعنى الأميرة.[٢]. وقد أطلق لقب خوندة على ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباذ (ت ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م) ملك السلاجقة الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف صاحب دمشق (ت ٦٥٩هـ- ١٢٦٠م)[٣]. كذلك أطلق لقب خوند على شجر الدر(ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[٤]. وهنا نلاحظ أن بعض المصادر ذكرت كلمة خوند بصيغة التأنيث تارة، وبصيغة التذكير تارة أخرى.

---

(١) وقد ناقش محمد مصطفى زياده محقق السلوك للمقريزي في هامش صفحة ٣٦٢ موضوع نسبة شجر الدر إلى الخليفة المستعصم في هامش كتاب السلوك للمقريزي، فزيادة لديه احتمالان لهذه النسبة الأولى: ان شجر الدر =كانت قبل أن تصبح جارية للملك الصالح نجم الدين أيوب جارية للخليفة المستعصم. (ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م) والثانية انها ارادت أن ترضى الخليفة في بغداد لذلك تسمت بهذا الاسم في الخطبة وفي السكة. ويقول زيادة أنه يقوى هذا الفرض إذ ان الملك الصالح نجم الدين ايوب كان قد أوصى بتسليم الملك من بعده إلى الخليفة المستعصم نظراً لوضع ابنه وسلوكه الاهوج. لذلك ارادت ان تسترضي الخليفة وأولى الأمر في مصر. انظر المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٢، ٣٦٢.

(٢) دوزى، رينهارت. تكمله المعاجم العربية. ترجمة محمد سليم النعيمي. ج٤، ص٢٤٤، والباشا، الإلقاب الإسلامية، ص٢٨٠.

(٣) المقريزى، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٩٤.

(٤) العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥هـ- ١٤٥١م.) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، تحقيق محمد محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. حوادث ووفيات ٦٤٨-٦٦٤هـ. ص١٤١.

الست:

وأصل هذا اللفظ كما في القاموس " سدس"، فأبدل السين تاء، وأدغم فيه الدال، وستي للمرأة أي يا ست جهاتي، (أي جهاتي الست وهي: امام، خلف، يمين، شمال، فوق، تحت). أو لحن والصواب سيدتي[1].

وأيا كان اصل الاشتقاق اللغوي للكلمة فقد شاع استخدامها ولقبت بها نساء الأيوبيين بمعنى السيدة من باب التكريم والتبجيل. فقد أطلق على الست عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م) [2] والست فاطمة خاتون بنت السلار[3]. وست حارم بنت اليعسباي خالة صلاح الدين[4]. والست خاتون الكرجية ابنة ملك الكرج إيواني زوجة الملك الأشرف (ت ٥٣٥هـ- ١٢٣٧م)[5].والست شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[6].

السيدة:

وهو اللفظ الفصيح للفظ الست المتقدم، وهو بمعنى السمو والرفعة، وقد أطلق على السيدة أم الصالح اسماعيل (ت ٥٧٧هـ- ١١٨١م) ابن العادل نور الدين[7].

---

(١) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، فصل السين باب التاء، ج١، ص١٥٥.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٥.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٣.

(٤)ابن شداد، الأعلاق الخطيره، ج١، ق١، ص٧٥. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠١.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٢٠.

(٦) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٥٥

(٧) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٧٨.

الجليلة:

وهو لفظ يفيد التبجيل والتعظيم. فَأَجَلَّهُ بمعنى عظمه، فهو جليل، وهي جليلة..[1]. وقد ركبت من هذا اللفظ عدة ألقاب مثل الست الجليلة [2] والجليلة الكبرى[3]، والأجله[4] والجلية المصونة[5].

وأطلق هذا اللقب بصيغة " الست الجليلة على " ست الشام" (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م) [6] وعلى مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦٩٣هـ-١٢٩٣م) [7].

---

(١) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، فصل الجيم، باب اللأم، ج٣، ص٣٦٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٧، ح١٣، ص٩٢.

(٣)المقريزي، الخطط، ح٣، ص٤٥٠.

(٤)المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م). التكمله لوفيات النقلـه. تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. مج٢، ح٣٤، ص٤٥٨.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مج ١٧، ح١٣، ص٩٢.

(٦)ابن كثير، البداية والنهاية، مج١٧، ج١٣، ص٩٢.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٥٠.

عصمة الدين:

وأشهر من تلقبت به الخاتون بنت معين الدين أنر (ت ٥٨١هـ- ١١٨٥م) زوجة السلطان صلاح الدين(ت ٥٨٩هـ- ١١٨٩م)، تزوجها بعد زوجها الملك العادل نور الدين الشهيد (ت ٥٦٩هـ- ١١٧٣م)[1]. ومؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦٩٣هـ- ١١٩٣م)[2]. وشجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)[3].

وهكذا نرى أن إضفاء الألقاب الكثيرة كان ظاهرة عند العديد من النساء الأيوبيات ذوات الشأن، ولا ندري إن كان هناك بعض الأمتيازات الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية لازمت إطلاق مثل هذه الألقاب.

---

(١) انظر: الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد احمد بن عثمان. ت ٧٤٨هـ- ١٣٧٤م. العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م. ج٤، ص٢٤٥، وابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ج٦، ص٧١-٩٠. وانظر: الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد احمد بن عثمان. ت ٧٤٨هـ- ١٣٧٤م. العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م. ج٤، ص٢٤٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٥٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦١.

المبحث الثاني

نســـــــاء العامة

- مفهوم العامة
- أوضاع نساء العامة
- قضايا المرأة:

• سوء معاملة الزوج لزوجته

• الزواج بغير كفء

• حقوق المرأة المالية عند الدولة

• تقييد خروج المرأة

- مفهوم العامة.

تعرض العديد من الباحثين قديماً وحديثاً لمفهوم العامة وتحديد الفئة التي تندرج تحته، ووصفت تلك الفئة بأوصاف عديدة عبر العصور تعكس الأوضاع السائدة، إلا انها في غالب الأحيان غير مناسبة أمثال: الوضعاء والسفلة والمحقرين[1]. وأسراب طير يتبع بعضها بعضا[2]. وأخلاط من الغوغاء ولفيف من أمم شتى[3]. وذلك للإشارة إلى جمهور السكان من غير الحكام وكبار رجال الدولة.

ونخلص إلى تعريف للعامة لأغراض دراستنا بأنها طبقة اجتماعية من غير الحكام والقادة وكبار رجال الدولة، تشتمل على السواد الأعظم من السكان من المزارعين، وأصحاب المهن المختلفة، والحرف الصغيرة، والتجار، والجند...

ولهؤلاء خصائص اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية حددت الإطار العام لهذه الطبقة وقد كانت تلك الطبقة، دائماً تابعة ومنقادة للفئة الأعلى[4].

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت٢٥٥هـ- ٨٦٨م)، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، دار الفكر، بيروت، ج٦، ص٧١.

(٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ-٨٨٩م)، عيون الأخبار، طبعة دار الكتب، القاهرة، ج٢، ص٣.

(٣) أحمد، عبد الرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط٢، دار الفكر العربي ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ص٢٥٥.

(٤) احمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية، ص٢٥٥. وحسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)، ج٤، ص٦٢٥. والحجي، حياة ناصر، أحوال العامة في حكم المماليك، ط٢، دار القلم للنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، ص١٥. ونوري، موفق سالم، العامة والسلطة في بغداد، طبعة دار الكتاب، القاهرة، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، ص٣٠

- أوضاع نساء العامة:

تمتعت المرأة في الفترة الأيوبية من فئة العامة بحقوق عديدة، وألقي على عاتقها واجبات كثيرة. فقد كان لها رأي في الموافقة على أمر زواجها بولاية والدها، إذ يعرض عليها وليها خاطبها وتوافق عليه قبل إتمام عقد الزواج[1]، ولم تنقل المصادر أية حادثة على إجبار المرأة على الزواج في حدود اطلاعي.

وقد اهتمت المرأة بالتعليم واتيحت لها فرصة التعلم بمساعدة وتشجيع والدها وإخوتها وأحياناً زوجها[2]. وبرزت في العلوم الدينية واللغوية والأدبية حتى أصبح والدها يعرف بها أحياناً، فعند ترجمة الذهبي لإبراهيم بن محمد بن جوهر أبي اسحاق البعلبكي الحنبلي المغربي (ت ٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) عرفه بقوله: "والد شيختنا المعمرة فاطمة" (ت ٧٣٩هـ- ١٣٣٨م) [3].

وكانت المرأة تقوم بالأعمال المنزلية بشكل عام من خدمة زوجها وأولادها، وتنظيف البيت، والطبخ، والخبز، والغسيل، وقد يكون عند نساء الطبقة المتوسطة من يساعدها من الخدم، إلا أن غالبية النساء تقوم بخدمة بيتها بنفسها[4]، وهذا بخلاف نساء الحكام وكبار رجال الدولة اللواتي كن يتمتعن بعدد كبير من الخدم والحشم.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص٢٤١.

(٢) المنذري، التكملة، مج٣، ج٥٢، ص٤٦٥.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١- ٦٥٠هـ، ص٣٨١. والذهبي، معجم الشيوخ، (المعجم الكبير، تحقيق محمد نجيب الهيلة، ط١، مكتبة الصديق)، الطائف، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج٢، ص١٠٣-١٠٤

(٤) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠١. وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٨٢.

وقد عملت المرأة في الفترة الأيوبية في بعض الأحيان خارج منزلها طلباً للرزق، فعملت معلمة، وواعظة، وقابلة، وماشطة، وغير ذلك من الحرف، وساعدت في بناء أسرتها وتعليم أبنائها حتى أصبحوا يعرفون بها، فهناك من عرف بأبناء الداية أي القابلة، وهم أربعة منهم سابق الدين عثمان صاحب شيزر[1] (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)، وكانت أمهم تعمل داية نور الدين محمود بن زنكي[2]، وعرف الشريف جعفر العلوي العمري المصري والمتوفي بعد الستمائة بابن الماشطة نسبة إلى أمه التي كانت تعمل ماشطة[3]. وساعدت المرأة زوجها في الأعمال الزراعية وأعمال الحفر رغم ما فيها من مشقة[4].

ولم تقم نساء الخاصة بمثل هذه الأعمال بطبيعة الحال، لعدم حاجتهن المادية، ونظراً لوضعهن الاجتماعي المتميز.

وقد كان العامة يطلقون على بناتهم أسماء محببة فيها تكريم ومدح لهن من باب التيمن بأن تكون البنت على هذه الصفة المحببة للمجتمع، والتي قد يأخذ بعضها طابعاً دينياً. فمن الأسماء المؤنثة الدارجة في الفترة الأيوبية: فخر النساء[5]. وشرف النساء[6]. وجمال النساء[7]. وست

---

(١) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣.

(٢) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٣.

(٣) الحجاري، عبد الله بن ابراهيم، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب من حلي المغرب. تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ص٢١٣.

(٤) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٥.

(٥)) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م. مج ١٠، ص٢٨٨. والمنذري، التكمله، مج ٣، ح٥٩، ص٦٣٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٩٢.

(٦) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص١٠٦. واليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ- ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وضع حواشيه خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م. ج٤، ص٤٨

(٧)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٣.

النساء[1]، وست العرب[2]. وست العباد[3]، وست العز[4]،وست الناس[5].وست الفخر[6]، وست الوزراء[7]. ودهن اللوز[8]. وستهم[9]. وصفاء العيش[10]، وأمة الحق[11]. وشمس الملوك[12]. وأم الحُسن[13] .

قضايا المرأة:

ورغم أن المرأة في الفترة الأيوبية قد حظيت بقدر وافر من الحقوق، ونالت احترام وتقدير مجتمعها بشكل عام، إلا أن بعض المصادر تذكر حالات فردية لا تشكل قانوناً عاماً فيها بعض الإساءة أو التجاوز على حقوق المرأة كما يحدث في غالب الأسر وفي غالب المجتمعات، وكانت هذه الحالات تعالج في النطاق الأسري، أو عن طريق القضاء الذي كان منصفاً للمرأة بشكل عام. وسأذكر بعض هذه القضايا رغم انها فردية- كما قلت- لأنها تبين على أي حال بعضاً من أوضاع المرأة وأوضاع المجتمع في الفترة الأيوبية.

---

(1)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٢٦٩.

(2)الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٣٤٧. وابن العماد، شذرات الذهب"، ج٥، ص٣٨٥.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص٢٩١.

(4)المصدر نفسه، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص١٠٠.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٨١- ٥٩٠، ص ٢٧٩.

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣١.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠هـ، ص٢١٦.

(8) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص١٩٥.

(9) المنذري، التكمله، مج ٣، ج٥٨، ص٦١٥.

(10) المصدر نفسه، مج ٣، ج٤٤، ص٢٧٥.

(11) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٣٥٢. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٩١.

(12) الزبيدي، المرتضى، (ت ١٢٠٥هـ- ١٧٩٠م). ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م. ص٥٣.

(13) المصدر نفسه، ص٧٦.

- سوء معاملة الزوج لزوجته:

فإذا كان هناك خلاف بين الزوجين لسؤ خلق من الزوج كانت المرأة تلجأ إلى القضاء. فقد لجأت زوجة عبد الكريم البيساني[١] أخي القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ-١١٩٩م)، إلى القضاء عندما أساء زوجها عشرتها لسؤ خلقه، فقد أساء لها وحبسها في بيت لا تخرج منه، فتوجه ابوها إلى قاضي الاسكندرية واثبت ضررها من جراء ذلك الحبس. فذهب القاضي وتأكد من ذلك بنفسه، وحاول فتح الباب بنفسه لكنه لم يستطع، لذلك طلب أشخاصاً ففتحوا فتحة بالبيت وأخرجوا المرأة ثم سدت الفتحة[٢].

- الزواج بغير كفء:

وهناك بعض قضايا تخص المرأة وهي زواجها من غير كفء لها، فقد عزل القاضي تاج الدين بن الخراط (ت ٦١٩هـ- ١٢٢٢م)[٣] عن القضاء بمصر والوجه القبلى وذلك بسبب عقده لزواج واحدة من بنات مرزوق العلائي بإنسان غير كفء لها وكان يعمل علافاً واسمه داود. وتم العقد بدون إذن الولي. عندها استدعاه السلطان إلى المنصورة وصرفه عن القضاء والحكم، ولكنه سلم

---

(١) عبد الكريم هذا كان يتولى البحيرة لفترة ولكنه وقع بينه وبين اخيه الفاضل خلاف وعزل على أثره. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٩١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص١٢٧.

(٣) ابن الخراط: ترجم له السيوطي بانه عبد السلام بن علي بن منصور الدمياطي المعروف بابن الخراط. ولد بدمياط وتفقه ببغداد، وتميز في الفقة والخلاف ورجع إلى بلده فأقام بها قاضيا مدرسا. ثم ولي قضاء مصر والوجه القبلي. مات سنة تسع عشرة وستمائة. السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٣٥٣.

المرأة لزوجها. وتولى القضاء بدل ابن الخراط قاضي القضاة شرف الدين بن عين الدولة الصفراوي (ت ٦٣٩هـ- ١٢٤١م)[١][٢]

وقد تعرضت بعض النساء إلى الرق من أجل الزواج غير المتكافئ، فقد زوج محمد بن ظفر- وهو أحد الأدباء الفضلاء وكان يكابد الفقر-، زوج بنته من زوجته الغرورة بغير كفء، فسافر بها زوجها، وبعد سفره إلى احد البلاد باعها هناك[٣].

- حقوق المرأة المالية عند الدولة:

وهناك نوع آخر من القضايا وهي قضايا بين المرأة والدولة، فقد تقدمت أمرأة إلى القاضي جمال الدين الحرستاني[٤] وادعت أن لها حقاً على بيت المال، وثبت فعلاً، عندها طلب القاضي الحرستاني من الوكيل جمال الدين المصري أن يسلم إليها حقها أو ما ثبت لها، فاعتذر الوكيل لضيق الوقت في ذلك النهار لقرب انتهائه بإعطائها حقها في اليوم التالي. ولكن القاضي رفض ذلك بشدة وأصر على إعطائها حقها في نفس اليوم. وقال للوكيل: " ربما أموت أنا الليلة ويعوق حقها[٥].

---

(١) الصفراوي: محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن عين الدولة أبي صدقة بن حفص الصفراوي الاسكندراني. ولي القضاء ايام السلطان الملك العادل. كان القاضي شرف الدين مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الأمام الشافعي، (ت ٦٣٩هـ- ١٢٤١م). النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٨٤.

(٢) النويري، المصدر نفسه، ج٢٩، ص٦٨. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٤١.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٩٥.

(٤) الحرستاني: هو القاضي جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري شيخ القضاة. ابو شامة، ذيل الروضتين، ح٥، ص١٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ح٥، ص١٦٢.

وبالنسبة لحق المرأة الذي ثبت لها ببيت المال يقال إنه بستان قد وضع النواب أيديهم عليه، ورواية أخرى تقول: إن هذا الحق عبارة عن أموال[1]. وقد حرص القاضي على استيفاء المرأة حقها، وقام بتسليمها الكتاب بنفسه بعد أن أخذ طرقه القانونية[2].

وقد تلجأ المرأة إلى الحاكم أو الملك لتأخذ حقها المغتصب. فقد لجأت بنت شاه ارمن صاحب خلاط إلى الملك الأشرف (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) عندما أخذ الحاجب منها ضيعتها وأصبحت تعمل بنقش النساء لتعيش من وراء ذلك. عندها أمر الملك الأشرف برد ضيعتها عليها وكتب لها ذلك على الورقة، ونهى الحاجب عن فعل ذلك مرة أخرى[3].

وهذه القضايا تبين أن المراة كانت تطالب بحقها وتحصل عليه كأي فرد من افراد المجتمع. وهذا لا ينفي تعرض المرأة إلى بعض المضايقات والتي حدت من حريتها وأضرت بها ولو لفترة.

وهناك قضايا تعرضت لها المرأة من نوع آخر وهي تعرضها إلى المصادرات. فقد تعرضت أرغون الحافظية عتيقة السلطان الملك العادل إلى المصادرة من قبل الصالح اسماعيل، وقد حقد عليها الصالح اسماعيل وذلك لأنها كانت مدة حبس المغيث ابن الصالح نجم الدين أيوب تبعث له الملابس والطعام والشراب.

---

(١)ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٦٢

(٣)والنويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٢، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٢٤. وابن كثير البداية والنهاية، مج٧، ج١٤، ص١٥٧.. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٥٧.

لذلك صادرها وأخذ منها أموالاً كثيرة، ومجموع ما أخذ منها أربعمائه صندوق[1]. وهذه ثروة هائلة بالنسبة لتلك الفترة. وتعرضت أمة اللطيف العالمة (ت ٦٥٣هـ- ١٢٥٥م)، بنت الناصح الحنبلى إلى المصادرة مراراً كثيرة، وسجنت بقلعة دمشق لمدة ثلاث سنوات، وطولبت بالأموال، ولكنها فيما بعد أطلقت وتزوجت الاشرف ابن صاحب حمص[٢].

ولقد صادر صاحب دمشق ابن مودود وهو الملك الجواد [٣]أموال الشاعر ابن المسجف [٤] (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) عند وفاته وتقدر بخمسمائة ألف درهم، وله اخت عمياء فقيرة ولكنها حرمت من أموال أخيها. والظاهر ان القضية بين الملك الجواد والشاعر ابن المسجف لأن أغلب شعره كان هجاء، إلا أن آثار هذا الإجراء قد انعكست على أخته الفقيرة العمياء وحرمت من التمتع بثروة أخيها.

وقد وجدت المرأة تاييداً كبيراً من رجال الدولة لبعض قضاياها، وهذا يعد نصراً كبيراً لها، ففي ولاية المعتمد على دمشق حصلت قضية لأمرأة مع رجل خرج عن جادة الصواب وكان هذا الرجل جاراً لتلك المرأة، وكان لها ولد في آذانه حلق من ذهب، فقتله وأخذ الحلق، فاتهمت المراة هذا الرجل به لكنه لم يعترف، وهنا احتالت لاكتشاف الحقيقة والثأر لابنها، فطلبت من زوجها الطلاق، وأظهرت لذلك الرجل أنها تحبه وطلبت منه الزواج، فتزوجا واعترف لها بأنه

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١. . والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٣٥١، وابن كثير البداية والنهاية، مج ٧، ج١٤، ص١٩٢. ابن دقماق، نزهة الانام، ص٢٠٢

(٢)النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٠٥، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٤٥..

(٣) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٤٧.

(٤) ابن المسجف: عبد الرحمن بن ابي القاسم بن غنائم بن يوسف الاديب، بدر الدين، الكناني، العسقلاني الشاعر وكان اديباً شاعراً طريفاً، خليعاً اكثر شعره في الهجاء، وكان يتجرأ وله رسوم على الملوك، توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٤٧.

قتل ابنها، فقامت بقتله بسكين، وذهبت إلى الوالي المعتمد(١) واعترفت له بذلك شارحة ظروف الواقعة، فأطلقها ولم يعاقبها(٢).

وهذه الواقعة تدل على مدى دعم القضاء ورجال الدولة لهذه القضية الإنسانية والتي لو عرضت على اي شخص لوجدت المرأة الدعم الكبير. والذي ساعد المرأة هو الوالي المعتمد والذي كان يسير بالرعيه بحزم وشدة مع الورع الذي كان يتصف به. وكذلك تأييده للنساء والرجال على السواء وليس الرجال دون النساء. كما يدل على دهاء هذه المرأة وكثرة حيلتها.

- تقييد خروج المرأة:

وهناك قضايا كانت أحيانا مجحفة بحق المرأة ولكن كان لها ظروفها ومبرراتها. ولم تكن ضد أمرأة لوحدها ولكن تكون أحيانا عامة. فقد أصدر الملك المجاهد أسد الدين شيركوه (ت ٦٣٧هـ- ١٢٣٩م)(٣)، أوامر بمنع النساء أن يخرجن من باب حمص، طوال مدة ولايته، وذلك خوفاً من أن يأخذ أهل حمص أهاليهم ويهربوا خارجها، وذلك لسياسته الجائرة، وذلك لما عرف عنه من ظلم وتعذيب واعتقالات للأهالي. رغم أنه كان يتصف بصفات جيدة منها: الشجاعة

---

(١) المعتمد": هو المبارك بن يوسف المعروف بالمعتمد والي دمشق. ولد بالموصل وقدم الشام فخدم فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب. وتقلبت به الاحوال إلى ان ولاه العادل دمشق. وكانت سياسته مع الناس عادله كان ورعاً عفيفاً نزهاً اصطنع كما يقول ابو شامه عالماً عظيمامن النساء والرجال وستر عليهم كبائر الأحوال. وكانت دمشق واعمالها في ايأم ولايته لها حرمة ظاهرة وهي حسنة. ابو شامه، ذيل الروضتين، ح٥، ص٢٢٧. وابن كثير، البداية والنهاية، مج ٧، ح١٣، ص١٢٤.

(٢) ابو شامه، ذيل الروضتين، ح٥، ص٢٢٧. وابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ح١٣، ص١٢٤.

(٣) شيركوه: السلطان الملك المجاهد أسد الدين، ابو الحارث" صاحب حمص، ولد الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور اسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان بن يعقوب وبعد وفاة والده، اعطاه السلطان صلاح الدين حمص، فملكها ستاً وخمسين سنة. وتوفي سنة سبع وثلاثين وستمائة. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٣٢٨.

والشهامة وملازمته للصلاة وعدم الشرب وكان ذا رأي ودهاء وغيرها من الصفات الجيدة[1]. ولكنه هنا استخدم المرأة ليمنع بها هروب الرجال.

ولكن المصادر لا تبين ردة فعل المرأة أو وقوفها ضد هذا القرار الجائر والمجحف بحق المرأة. وخاصة ان مدة حكمه لحمص استمرت ستاً وخمسين سنة، وهذه مدة طويلة من غير المعقول أن تبقى المرأة حبيسة مدينة واحدة، وهذا مظهر يدل على أن حرية المرأة هنا منقوصة ولا تأخذ المرأة في حمص حريتها كما تأخذها في مدن بلاد الشام ومصر في تلك الفترة. وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة في نهاية الدولة الأيوبية وبداية الدولة المملوكية حدث هناك قرار مشابه أصدره الملك المعز ألا تخرج أمرأة من بيتها، ولا يمشي رجل بلا سراويل[2].

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٣٢٩ والنويري، نهاية الأرب،ج٢٩، ص١٦٦

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٩٧.

المبحث الثالث

الأســـــرة في العصـــــــر الأيوبـــــــــي

- خطبة النساء والصداق
- عقد الزواج وحفلات الأفراح
- أثاث المنزل
- الأطعمة والأشربة
- عمل المرأة في المنزل

الأسرة الأيوبية أسرة مسلمة تحكمها الشريعة والعادات والتقاليد المتعارف عليها في ذلك العصر، في الخطبة والزواج وحفلات الأفراح، وفي البيوت ورعاية الأسرة.

- خطبة النساء والصداق:

كانت العلاقة الاجتماعية في فترة الأيوبيين مثل أية فترة من فترات التاريخ تخضع لعادات وتقاليد وأعراف لا بد من الالتزام بها وتشبه أي فترة من الفترات السابقة واللاحقة لأنها حلقة من ضمن الحلقات المتواصلة إلى يومنا هذا.

والخطبة في الأسرة الحاكمة تختلف إلى حد ما عن عامة السكان، وهي عند العامة حسب الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

فعند الأسرة الحاكمة لا تحتاج البنت أن توصف للرجل، أو أن تذهب بعض النساء لرؤيتها إن كانت مناسبة له إذ أن الرؤية بينهما تكون متاحة غالباً. وعندما يكون الشاب بسن الزواج يذهب والده أو يبحث من ينوب عنه لخطبة البنت من وليها، وهو الذي بيده الموافقة أو الرفض بعد عرض الأمر عليها.

فقد بعث الظاهر صاحب حلب القاضي ابن شداد [1]إلى الملك العادل يطلب منه ابنة الكامل لابنه محمد. لكن العادل اعتذر عن ذلك وحول الأمر إلى أبيها[2].

أما عند عامة السكان فالبنت لا تخرج كثيراً، لذلك كان لابد من مساعدة بعض النساء في الذهاب للبيت الذي فيه بنات بسن الزواج والنظر لتلك البنت ووصفها للخاطب. والمرأة

---

(١) ابن شداد، أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدى الملقب بهاء الدين الشافعي، ابن خلكان وفيات الأعيان، ج٤، ص٨٤.

(٢) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ- ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق الدكتور حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، العراق، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، مج ٥، ج١، ص١٩٤

التي تذهب لتصف البنت تكون من النساء اللواتي لهن خبرة وتجربة من العجائز وكبيرات السن، سواء من بيت الخاطب أو من أصحابه[1].

وكان هناك نساء متخصصات بالقيام بهذه المهنة هن الخاطبات، وكانت المرأة الخاطبة تعمل عملاً آخر أحياناً يسهل عليها من خلاله دخول البيوت مثل بيع القماش أو العطور للنساء [2].

وعلى المرأة التي تذهب لرؤية الفتاة في بيت وليها أن تصف للرجل جمال الفتاة وعقلها، وأن تدقق جيداً بتلك الأمور، ورغم ذلك قد يحصل احياناً خطأ فقد تخطيء الخاطبة في الوصف أما لرغبة منها في التغطية، أو قد ترى فتاة غير الفتاة المقصودة[3].

وكانت الفتاة عادة تتزوج في سن مبكرة قد يعقد عليها وهي صغيرة بعد[4]، ولم تحدد بسن معين، وفي الغالب عندما تبلغ أو يحتلم الفتى يمكن أن يتم العقد بينهم، وهذا ينطبق على المرأة سواء أكانت حرة أم مملوكة[5]. وقد وصف أبو شامة ببيت من الشعر سن زوجته عندما بنى بها، والذي كان هو سن غالبية البنات عند الزواج في تلك الفترة، والبيت هو:

بنيت بها بنتا لأربع عشرة وهذه الخصال الغر في ذاتها تحلا[6]

والوالد هو الولي للفتاة، فإذا أصبحت بسن الزواج وتقدم الرجال لخطبتها يوافق وليها على من يراه مناسباً ويقدمه لابنته، وتوافق الفتاة على اختيار وليها. ومرد ذلك باعتقادي أن البنت لم

---

(1) ابن منقذ، الاعتبار، ص١٢٥.

(2) ابن منقذ، المصدر نفسه، ص١٢٥، وأحمد، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص١٢٢ وعبد الرزاق ، المرأة في مصر المملوكية، ص٣٦.

(3) ابن منقذ، الاعتبار، ص١٢٥.

(4) ابن العديم، زبده الحلب، ح، ص٢٣٧، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦٥.

(5) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥.

(6) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠٢.

تكن تخالط الرجال الغرباءوذلك لقلة خروجها، لهذا فالرجال بالنسبة لها كلهم سواء. وإذا لم يكن الوالد موجوداً فيبرز دور أم الفتاة في شأن ترتيب أمر زواجها والموافقة على الخطبة[1]، فقد كان للشيخ عبد الله اليونيني[2] زوجة ولها ابنة جميلة من زوج سابق متوفى، فطلب منها أن تزوجها إلى الشيخ محمد الفقيه اليونيني، وكان فقيراً لا شيء له، فاعتذرت الأم لأنه فقير، وهي تريد إنساناً غنياً وتريد لابنتها السعادة، ولكن الشيخ نصحها بأن تزوجها له لأنه توقع له كثرة المال حيث كان يتردد الملوك إلى زيارته، وفعلاً كان الأمر كما توقع الشيخ عبد الله له. وبعد أن تزوجته البنت كثر ماله [3].

وهذه الرواية تدل على أن الأم هي المسؤولة عن ابنتها في حالة هذه البنت، وأن الأم أو الأب يسعى دائماً عندما يختار لابنته الزوج أن تتوفر لدى الخاطب أسباب السعادة للبنت.

وكان يسبق إجراء العقد إلقاء خطبة، وقد أورد القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بعض تلك الخطب التي كانت تتصف بالإيجاز والفصاحة، وتشتمل على ذكر الأوصاف الحميدة التي تتوفر بالخاطب والتي تسهل وتيسر عملية الموافقة[4]، ويقوم بالقائها الوكيل أو المخول بالكلام في الموضوع، وقد يكون والد العروس أحياناً[5] وكان التوكيل شائعاً من الخاطب، وولي المخطوبة، حيث ندب الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين حين خطب ابنة عمه القاضي المرتضى محمد

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ، مج ٧، ج١٣، ص٢٤١.

(٢) عبد الله اليونيني: الزاهد العابد أسد الشام "الشيخ بن عثمان بن جعفر كان أماراً بالمعروف لا يهاب الملـوك الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢/ ص١٠١.

(٣) هو محمد الفقية الحنبلي البعلبكي الحافظ، وهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال... بـن جعفر الصادق، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٢٤١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص١٦٢..

(٥) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٥٢.

بن عبد العزيز السعدي وكيلاً عنه، وحضر قاضي القضاة محيي الدين بن زكي الدين وجميع عدوله، ووكل الملك العادل القاضي محيي الدين ابي حامد بن شرف الدين بن أبي عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز[1].

وعند العقد يقوم الولي أو من ينوب عنه في إتمام العقد للطرفين العريس والعروس[2].وهذا يمكن أن يكون لعامة الناس، أو حتى بعض الطبقات الغنية. ولكن عند بنات السلاطين والملوك فقد كانت عبارات خطبة العقد تختلف نوعاً ما وكان يكتبها كاتب متمرس.

فعندما خطب الملك العزيز ابنة عمه الملك العادل، كتب عماد الدين الكاتب كتابهما وأنشأ خطبة العقد وهي:

"الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وصهراً، وشرع النكاح ووضعه صلة للأرحام وبرا، وشدّ به أزرا، ورفع به قدراً، وأطلع بسناء سنته في العالم فجراً، وأجرى به اجراً.

نحمده على أنعُمه التي تجلت لعيون مجتليها بيضاء غُراً، وأياديه التي ملأت الأيدى حوافل غُزرا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نتخذها يوم القيامة ذخراً، ونعدها يوم الفزع الأكبر جُنة وسترا، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً، وأسماهم وأسناهم في الدنيا والآخرة ذكراً،الذي بعثه إلى الخلق كافةً عُرباً وعُجماً، وبدواً وحضراً، وبين لهم مناهج الهدى إيجاباً وإباحة وندباً وحظراً، فقال صلى الله عليه وسلم: "تناكحوا تكثروا، فإني

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٣٤-٣٥.

(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٠٧، وابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣٥٧. وابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦٥.

أباهي بكم الأمم يوم القيامة[1]" وكفى بالنكاح في تحقيق مباهاته فخراً- صلى الله عليه وسلم وعلى آله صلاة تجمع لهم شرف الدنيا والأخرى.

وكان من قضاء الله وقدره النكاحُ المسطورُ في هذا الكتاب الذي فاح في مناشق الأولياء نشراً، ولاح في مشارق الآلاء يسراً، وجمع في سماء المعالي للأيام والليالي شمساً وبدراً، وأمر بأحكام عهده للدين أمراً، وسر بإبرام عقده للدولة سراً، قرنه الله بالميامن والبركات التي تتأبد دهراً وتتخلد عصراً"[2].

وبعد هذه الخطبة قرئ كتاب الصداق، وعقد العقد بحضور الملك القاهر صاحب حلب"[3] وهذا كان نموذجاً لخطبة عقد الزواج في الفترة الأيوبية مع الفارق بالطبع بين بنات الملوك ونسائهم وبين العامة.

أما فيما يتعلق بالصداق

فقد كان هناك اختلاف واضح بين صداق بنات السلاطين والملوك وغيرهن من بنات العامة. رغم أني لم أظفر بنصوص كافية تلقي ضوءاً على صداق بنات العامة بشكل عام. إلا ان هناك بعض عقود زواج ترجع للفترة الأيوبية كانت من ضمن مجموعة أوراق البردى العربية لجروهمان غطت جزءاً من هذا النقص.

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٥هـ- ١٨٣٩م)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار، ٨ أجزاء في ٤ مجلدات، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٩٩٩م، ج٦، ص١١٩.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٣٤-٣٥.

(3) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥.

ففي حوادث سنة احدى عشرة وستمائة ذكر ابن الفرات عن زواج قاضي حلب بهاء الدين ابن شداد، من بنت الشيخ عبد الرحمن بن الأستاذ المحدث على صداق قدره خمسمائة درهم وذلك بمقتضى السنة(١). وقام والد العروس بإلقاء الخطبة(٢).

وقد ورد في الوثائق الفقهية من أوراق البردى العربية لجروهمان ثلاثة عقود زواج في الفترة الأيوبية، وقد ذكر في كل منها الصداق وطريقة دفعه بشكل مفصل.

ففي الوثيقة رقم (١٣٩) التي تتحدث عن عقد زواج سنة (٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) ذكر أن: " جملة الصداق ثمانون ديناراً، الحال عشرة دنانير. الوصل سبعون ديناراً، سبعة دنانير في سلخ كل سنة من انتقال تاريخه"(٣).

أي ان جملة المهر ثمانون ديناراً المقدم منها عشرة دنانير، وكان يعطى وصل بالسبعين التي هي دين، بحيث يدفع الزوج سبعة دنانير فقط في نهاية كل سنة، أي ان المؤجل كان اقساطاً سنوية لعشر سنين كل سنة سبعة دنانير.

وفي الوثيقة رقم ١٤٠ التي تتحدث عن عقد زواج سنة (٦٤١هـ- ١٢٤٣م)، كان مجموع الصداق: " حال: عشرين ديناراً. مؤخر: ستين ديناراً. في سلخ كل سنة ستة دنانير"(٤).

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، مج ٥، ص١٥٢

(٢) المصدر نفسه، مج ٥، ص١٥٢.

(٣) أدولف جروهمان، أوراق البردى العربية، بدار الكتب المصرية، ترجمة حسن ابراهيم حسن، ط٢، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ج٢، (السفر الثاني)، ص٢٠٤.

- Von Grunebaum, G. E, **Classical Islam: A History 600-1258,** George Allen And Unwin Ltd, London. ١٣٩٠**H. – 1970.**Volume II, p213(

(٤) جروهمان، أوراق البردى العربية، ج٢، ص٢٠٩ (Grohmann, Arabic Papyri, vII, p217)

فمجموع الصداق أيضاً ثمانون ديناراً. يدفع منها عشرون ديناراً حالا، أما الستون الباقية فتدفع اقساطاً في نهاية كل سنة ستة دنانير.

وفي الوثيقة رقم ١٤١ وهي عقد زواج سنة (٦٤٣هـ- ١٢٤٥م) ذكر ان الصداق: " عشرون ديناراً، الحال من ذلك خمسة دنانير، وباقي المهر وهو خمسة عشر ديناراً قسط السنة عند سلخها دينارين، وفي سلخ سنة الأخيرة منها دينار واحد، ومدتها ثمانية سنين"[١]. فمجموع المهر هنا منخفض كما هو واضح، وقد قدم ربعه فقط وقسط الباقي.

أما عن صداق بنات الملوك فهو مرتفع جداً عن الرقم السابق ويتراوح بين عشرين ألف دينار وخمسين ألف دينار.

ففي سنة (٥٧٧هـ- ١١٨١م)، عقد نكاح أربعة من بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين، وهم غياث الدين غازي، ومظفر الدين خضر، ونجم الدين مسعود، وشرف الدين يعقوب. على صداق لكل منهن قيمتة عشرون ألف دينار. [٢]

وفي سنة (٦٠٧هـ- ١٢١٠) عقد نور الدين صاحب الموصل[٣] على ابنة العادل على صداق قيمته ثلاثون ألف دينار. وكان الذي عقد وكيل نور الدين بدمشق. ولكن الزواج لم يتم لأنه تبين أن نور الدين قد مات من أيام[٤]. وفي سنة (٦١٧هـ- ١٢٢٠م) تزوج الأخوان منصور

(١) جروهمان، أوراق البردى العربية، ج٢، ص٢١٣ (Grohmann, Arabic Papyri, v11, p221)

(٢) المقريزي، السلوك، ق١، ص٧٦.

(٣) نور الدين هو الملك العادل ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود أتابك زنكي التركي ولي بعد ابيه ثمان عشر سنة وكان شهماً شجاعاً.ابن العماد، شذرات الذهب ، ج٥،ص٢٤.

(٤) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٢١. وابن كثير، البداية والنهاية مج٧، ص١٣، ص٦٢، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤.

إبراهيم، والمسعود أحمد، ابنا أسد الدين، بابنتي العادل. وتزوج الموسى يعقوب بابنة المعظم، وعمر بن المعظم بابنة أسد الدين ومهر كل منهن ثلاثون الف دينار[١].

وأعلى صداق سجل في البيت الأيوبي كان خمسين الف دينار، وكان هذا صداق معظم بنات الملوك. فقد كان صداق ضيفة خاتون ابنه العادل خمسين ألف دينار[٢]. كذلك كان صداق فاطمة خاتون بنت الملك الكامل [٣] وصداق غازية خاتون بنت العزيز محمد بن الظاهر غازي[٤].

وفي سنة (٦١٤هـ- ١٢١٧م)، قدم الفخر بن الكامل إلى المعظم، وخطب منه ابنته فقبل الكامل وعقد العقد بدمشق على صداق هائل[٥]. وهنا لم يحدد بالضبط قيمة الصداق ولكن عبارة هائل قد تساوى صداق مثيلاتها من البيت الأيوبي وقد يفوق ذلك. وكذلك صداق بنت الملك الأمجد كان عظيماً[٦]. وهذا أيضاً يدل على أنه مقدار كبير استحق ان يعبر عنه بهذا اللفظ.

ونلاحظ مما سبق ان الصداق كان في الأسرة الأيوبية مرتفعاً بينما عند عامة الناس رغم شح المعلومات كان قليلاً فهناك فرق شاسع بين خمسمائة درهم وخمسين الف دينار. ولكن إذا ما قورن أيضاً ببعض المهور في منطقة اخرى أو في دولة اخرى نستطيع القول أن هناك فرقاً آخر.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١-٦٢٠، ص٣٥.

(٢) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٠٦، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣. ص١٢٧، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٧.

(٣) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٠٧.، وابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٥.

(٤) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٧٤

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص٨٢.

(٦) ابن نظيف، مجموعات التاريخ المنصوري، ص١٢٣.

فقد كان صداق رابعة بنت أحمد بن أمير المؤمنين المستعصم باللة (ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م) في بغداد مائة الف دينار[١]. وبالمقابل كان صداق غازية خاتون ابنة الأمير قلاون الألفي في سنة (٩٧٤هـ- ١٥٦٦م) في دولة المماليك- كان قدره خمسة آلاف دينار فقط [٢] وقد ذكرت هذين المثالين فقط للمقارنة مع قيمة الصداق في الفترة الأيوبية.

- عقد الزواج وحفلات الأفراح

والعقد لغة هو الضمان والعهد[٣]. وقد أهتم الأيوبيون بعقد الزواج اهتماماً كبيراً وأولوه عناية خاصة، وكانت له مراسم لا تقل أهمية عن مراسيم الزفاف وخاصة في البيت الحاكم لدرجة المبالغة به.

وقد تضمن العقد بعض الشروط مثل ان لا يشرب الخاطب مثلاً الخمر، أو ان لا تغير الذمية دينها، وغيرها من الشروط، وكان على المشروط عليه الالتزام لأن معظم العقود لها كتب ومسجلة [٤]. وأحياناً تسجل على قماش أطلس، فقد كتب العماد الكاتب كتاب ابنة العادل على ابن عمها العزيز في ثوب أطلس [٥].

وقد اهتم الأيوبيون عند زواج الفتاة بمسألة الكفاءة واشترطوا ان يكون العريس كفئاً لمن يطلب يدها. قال ابو المعالي (ت ٥٦١هـ- ١١٦٥م)[٦]

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٦٦.

(٢) المقريزى، السلوك، ق٢، ج١، ص٦٢٣.

(٣) الفيروزابادي،، القاموس المحيط، ج١، ص٣٢٧.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٦١-٦٧٠، ص٦٦، والمقريزي، السلوك ، ق١، ج١، ص١٧١.

(٥) المقريزي، المصدر نفسه، ق١، ج١، ص١١٧.

(٦) الأصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص١٨٩.

إذا خطبَ الحسناءَ من ليس أهلها أشارَ عليه بالطلاق مُشيرُهَا[1]

وقد ذكرت الكفاءة في عدد من عقود الزواج الأيوبية التي وجدت على أوراق البردي العربية التي نشرها جروهمان، فكان يذكر في صلب العقد ان الزوج كفء للزوجة، وهذا ما تكرر في عقدين من ثلاثة ضمن المجموعة المذكورة تحت عنوان " إقرارات خاصة بكفاءة الزوج". من السفر الثاني الذي يشتمل على وثائق فقهية.

ففي الوثيقة رقم (١٣٩) التي يرجع تاريخها إلى اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة سنة (٦٤٠هـ- ٢ من ديسمبر سنة ١٢٤٢م) ورد، .... وأن الزوج الراغب في عقد نكاحها عبد الملك بن شجاع بن طرخان كفوها....." [2].

وفي الوثيقة رقم (١٤٠) بتاريخ الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤١هـ -٣٠ من نوفمبر سنة ١٢٤٣م) في عقد زواج كفية ابنة خلبوص بن سليم، ورد" .... وان الراغب في تزوجها محسن بن أبي الزهر بن شمخ كفواً لها...." [3].

وقد كان الأهل يقومون أحياناً بالمشاركة بجهاز البنت، فعلى سبيل المثال قام المعظم عيسى صاحب الشام (ت ٦٢٤هـ - ١٢٢٦م) بتجهيز ابنته لما زوجها إلى السلطان جلال الدين خوارزم شاه [4].

---

(١)الاصفهاني، المصدر نفسه، شعراء مصر، ص١٩٣.

(٢) أدولف جروهمان، أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، ج٢، (السفر الثاني)، ص٢٠٤.

(٣)جروهمان، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٠٨.

(٤) النويرى ، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥١.

ومثلما فعل الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب (ت ٥٩٦هـ- ١١٩٩م)[١]، عندما زوج بناته الأربع، فقد جهزهن بجهاز كاف. وأعطى ابنته ما يكفيها من الأموال، ثم تصدق بما بقى معه على الفقراء، وهذا العمل قام به بعد أن ترك الجندية [٢].

وقد اهتم الأيوبيون بعقد الزواج وبالحفلات عند الزفاف، ووصلت إلى حد المبالغة في بعض الأحيان، وبالطبع كان ذلك عند الملوك والسلاطين، ولا يوجد وجه مقارنة بينها وبين حفلات العامة التي لا تكاد تذكر في المصادر، وهذا بالطبع لعدم الاهتمام بهذا الموضوع ولأنه لم يكن هناك ما يلفت الانتباه، وإذا ذكر عن عقد شخص من غير الأسرة الحاكمة فإنما يذكر لأن له علاقة من قريب أو بعيد بالأسرة الحاكمة، كما حصل عندما تزوج القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب على بنت عبد الرحمن بن الاستاذ المحدث، وقد عقد العقد بوجود الملك الظاهر صاحب حلب[٣].

وأثناء العقد في كل الزيجات المهمة تلقى خطبة[٤] كما ذكرت سابقاً، وهذه تعتبر جزءاً مهما في الحفلات المقامة والتي تسبق حفلة العرس، أو تكون من ضمنها، لأن العقد قد يتم قبل حفلة الزفاف بكثير احيانا.

وعلى الرغم من ان حفلات الأعراس عند العامة يندر ذكرها في المصادر كما أسلفت، الا ان هناك بعض الإشارات التي تبين جانبا من تلك الحفلات.

---

(١) لؤلؤ الحاجب كان أرمني الأصل من جملة اجناد مصر في أيام الخلفاء الفاطميين، فلما استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر قلده الأسطول، وكان حيثما توجه فتح وانتصر وغنم(ت ٥٩٦هـ- ١١٩٩م). المقريزي، الخطط، ج٢، ص٥٥٦.

(٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥٦.

(٣) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، مج٥، ص١٥٢.

فقد كتب الشاعر على بن العرأم (ت ٥٩٨هـ - ١٢٠١م)[١] بيتاً من الشعر يصف فيه مجلس عرس:

كأن دخانَ النَّدِّ[٢] في جَنَباتِها ضَبَابٌ وماءُ الوردِ غَيثٌ ترقرقا[٣]

وهذا البيت يصف مدى اهتمام الناس بالعرس بالتزيين وتطييب رائحة المكان بما يليق بالمناسبة، وفرح الناس بالعرس، ويبدو على أهل هذا العرس علامات الثراء، فهم ليسوا من الفئة الدنيا من العامة، وهم أيضاً ليسوا من الأسرة الحاكمة أو كبار رجال الدولة. وكان من عادة الناس في الفترة الأيوبية سواء الأسرة الحاكمة أو عامة الناس كل حسب مقدرته إقامة وليمة العرس[٤]. ويقوم بإحياء حفلات الأفراح عند الأسر الحاكمة والأسر الموسرة المغنيات اللواتي يتقن فنون الغناء والعزف والطرب[٥].

والجدير ذكره ان إقامة الأفراح عند بعض الملوك لم تكن لليلة واحدة فقط، فقد كان هناك اهتمام منذ التقدم للخطبة، ثم قدوم العروس من مناطق بعيدة مثل مصر ومن بلاد الروم وغيرها.

---

(١) علي بن العرأم، ابو الحسن علي بن أحمد بن العرأم الربص، شيخ من أهل الأدب بأسوان فوق قوص، ويقول الاصفهاني: سألت عنه بمصر سنة ثلاث وسبعين فقيل إنه حي في أسوان. والعماد الكاتب توفي سنة ثمانية وتسعين وخمسمائة؛ اذا هنا يقصد الكاتب سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وقد مدح ابن العرأم ملوك الأيوبيين أمثال الملك المعظم توران شاه بن ايوب والملك العادل، والقاضي الفاضل. انظر الاصفهاني، خريدة القصر ،ج٢، مصر، ص١٦٥.

(٢) الند: طيب ، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج١، ص٣٥٣.

(٣) الأصفهاني، خريدة ، ج٢، شعراء مصر، ص١٧٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٨١-٥٩٠، ص٨، والمقريزي، السلوك، ج١،ق٢، ص٣٩٤.

(٥) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٦٨، وابن الفرات، تاريخ، ج١،مج٥، ص١٢٦، وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٥٣.

تم الاحتفال عند الوصول، كما حصل عند خطبة ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) زوجة الملك الظاهر صاحب حلب (ت٦١٣هـ- ١٢١٦م)[١].

فقد كان زواج ضيفة خاتون من أكثر الأعراس في الفترة الأيوبية شهرة، أو الأكثر ذكراً لدى المؤرخين والكتاب، فعند زواج ضيفة خاتون سنة ٦٠٩هـ- ١٢١٢م قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق وذلك لترتيب أمور العقد والزواج، وكان معه الكثير من الأموال والخلع لتوزيعها على ارباب الدولة، (برسم عقد نكاح ضيفة خاتون) [٢].

وعند وصول ابن شداد إلى دمشق خرج وجوهها ومقدموها وأمراء العساكر للقائه، ثم توجه إلى القلعة، وبعد أن تم العقد نثر من الذهب والفضة على من حضر بالقلعة" [٣].

وفي الشهر نفسه سار موكب العروس من دمشق إلى حلب، ووصلت إلى حلب وهي في تجمل عظيم، وكان اللقاء من قبل الملك الظاهر وأمراء حلب ومعمميها وأكابرها أعظم، حيث كان يوماً مشهوداً كما وصفه ابن الفرات [٤].

وعندما دخلت إلى الملك الظاهر قام احتراما لها، ومشى لها عدة خطوات، وأظهر لها من الاحترام الشيء الكثير، والذي وصف بكونه احتراماًعظيماً [٥].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٢٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ق١، ج١، ص١٧٦، وابن الفرات، تاريخ، ج١،مج٥، ص١٢٦.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، مج ٥، ج١، ص١٢٦.

(٥) ابن الفرات، المصدر نفسه، مج٥، ج١، ص١٢٧.

وقد اصطحبت ضيفة خاتون معها ما يفوق وصفه من القماش والمصاغ ما يحمله خمسون بغلاً، ومائة بختى[1]، وثلاثمائة جمل[2]، وهذا الجهاز الذي يظهر ضخما بكل المقاييس سواء في ذلك الوقت أو حتى على مر العصور يدل على الاهتمام الكبير والمبالغ فيه في هذه المناسبة.

وكان يرافق الجهاز أعداد كبيرة من الجواري يحملهن مائة جمل، وهؤلاء الجواري مغنيات وعازفات ويتقن الأعمال والصنائع الفنية البديعه [3].

وإضافة لما كان معها قدم لها الملك الظاهر هدايا لا تقل روعة وكثرة عما كان معها فقد قدم لها خمسة[4] من العقود من أفخر أنواع الجواهر تقدر قيمتها بمائة وخمسين ألف درهم، وعصابة من الجوهر توصف لروعتها بأنها ليس لها نظير[5]، إضافة إلى عشر قلائد من العنبر المذهب، وخمسة مثلها بغير ذهب، ومائة وسبعين قطعة من الذهب والفضة.وعشرين تختا[6] مملوء بالثياب، ومع كل هذه الأمتعة والجواهر عشرون جارية، وعشرة خدام [7]، ومن خلال ما سبق ترى الأهمية الكبرى التي أولاها الملك الظاهر صاحب حلب عند زواجه من بنت عمه الملك العادل.

---

(١) بختي: البخت والبخنية دخيل في العربية، أعجمي معرب، وهي الإبل الخراسانية، ابن منظور، لسان العرب، مج٢، ص٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص١٧٦، وابن الفرات، تاريخ، مج٥، ص١٢٦.

(٣)ابن الفرات، تاريخ ، مج٥، ج١، ص١٢٦، والمقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص١٧٦.. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٤) لقد ذكر الحنبلي جميع ما ذكرته المصادر عندما عدد هدايا الملك لعروسه ضيفة خاتون ولكنه زاد في إعداد المقدم لها. فمثلاً بدل خمسة من العقود ذكر أنها خمسة وخمسين عقداً وذكر ان قيمة تلك العقود مائتان وستون ألف درهم، وغير ذلك من الأرقام المختلفة والمبالغ فيها. المصدر نفسه، ص٢٨٣.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، مج٥، ج١، ص٢٧، والحنلبي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٦) التخت: وعاء تصان به الثياب، الفيروزابادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٥٠

(٧) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٢٧.

وثمة زواج آخر لا يقل عن هذا الزواج في الاهتمام والاحتفال به، وهو زواج الملك الناصر ابن الملك العزيز صاحب حلب، وكذلك زواج السلطان غياث الدين كيخسرو سلطان الروم.

فقد قدم رسول من عند السلطان غياث الدين صاحب الروم إلى الصاحبه ضيفة خاتون خاطباً بنت الملك العزيز للسلطان غياث الدين، وكذلك طلب ان يتزوج الملك الناصر ابن الملك العزيز من أخت غياث الدين. ووافقت الصاحبة على ذلك [1].

وتم عقد السلطان غياث الدين على غازية خاتون بنت العزيز، وكان متولي العقد هو الصاحب كمال الدين ابن العديم (ت ٦٦٠هـ- ١٢٦١م) وأبرم العقد على مذهب الامام أبي حنيفة، وكان العقد على صداق قيمته خمسون ألف دينار كما اسلفنا. وقَبِلَ العقدَ رسولُ غياث الدين الذي بُعث لإنجاز هذه المهمة، وتم نثر الذهب على الحاضرين ابتهاجاً بذلك[2].

ثم ذهب كمال الدين بن العديم إلى بلاد الروم لإتمام عقد الملك الناصر على ابنة السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو وكان السلطان العادل جد هذ البنت، وهي ابنة خالة الملك العزيز والد الملك الناصر [3].

وتمت الموافقة، وأحضر القاضي والشهود على مبلغ الصداق وهو خمسون الف دينار مصرية، وكان نظير صداق غياث الدين على أخت الملك الناصر[4]، وكان هذا يوماً مشهوداً حيث

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٣.
(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٣٧. وابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٤.
(٣) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٧.
(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٥.

يقول ابن واصل في ذلك: (وأحضر في ذلك اليوم من التجمل وآلات الذهب والفضة مالا يمكن وصفه). [١]

وقد نثر الصاحب كمال الدين من الدنانير ما قيمته الف دينار [٢]. ونثر في دار السلطان الثياب والدناير والدراهم الشيء الكثير.[٣] وهكذا نرى مدى الاحتفال بهذه المناسبة لدرجة المبالغة في بعض الأحيان.

وعند زفاف الخاتون ابنة السلطان علاء الدين في سنة (٦٥٢هـ- ١٢٥٤م) إلى الملك الناصر ووصلت إلى دمشق، أقيم احتفال عظيم وحاشد بهذه المناسبة، وخرج للقائها القضاة والأكابر، وقدموا لها الهدايا الكثيرة وكان ذلك على طوال الطريق [٤]من بلاد الروم إلى دمشق. أي أن الاحتفال بها كان على طول الرحلة وليس في مكان محدد. وهذا قمة الاهتمام بهذه المناسبة، كما كان يرافق العروس مجموعة مؤلفة من خمسمائة فارس، ويحمل جهازها على ألف جمل، وكانت محفتها مزينة ومغطاة بأطلس ومزينة بالجواهر والذهب[٥]. وقد فرشت امام الدابة التي تحملها البسط.

وكان الملك الناصر قد تجمل بهذه المناسبة تجملاً لم ير الناس مثلة [٦]. وقد بالغ الملك الناصر في عمل الوليمة لهذه المناسبة [٧]. وعمل لها عرسا لم يسمع بمثله بدمشق وما حولها من

---

(١)ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٥.

(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٣٨.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، ج٨، ص٧٩١. والعيني، عقد الجمان، ص٩٢.

(٥) الذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٧.

(٦) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٤٤.

(٧) المقريزي ، السلوك ، ج١، ق٢، ص٣٩٤.

أعمال.[1] وهناك العديد من الزيجات في البيت الأيوبي والتي احتفل بها احتفالاً عظيماً منها على سبيل المثال لا الحصر:

عندما أبرم العقد للملك الناصر داود على ابنة عمه الملك الكامل وكان ذلك سنة تسع وعشرين وستمائة. فقد نثر من الذهب والفضة الشيء الكثير [٢].

وكذلك في سنة (٦٤٥هـ- ١٢٤٧م) عندما أحضرت بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي عائشة خاتون لزوجها المنصور صاحب حماة، وقد وصلت إلى حماة في تجمل عظيم، وكان الاحتفال للقائها بحماة، احتفالاً عظيماً[٣].

وغير هذه الزيجات الكثير التي احتفل بها وصرفت عليها الأموال الطائلة، والتي تبين مدى البذخ والترف اللذين حظيت بهما احتفالات العقد والزواج.

وقد أولى الأيوبيون مناسبات الأفراح اهتماماً خاصا، وقاموا بعمل أماكن خاصة تقام بها تلك المناسبات، فمن ضمن منشآت الأيوبيين في حماة كانت هناك دار تسمى دار الفرح، تقع في محله باب الجسر، وكانت هذه الدار وقفاً على مناسبات الأفراح والأعراس [٤].

أثاث المنزل:

احتوت البيوت في العصر الأيوبي على الكثيرين من قطع الأثاث والأدوات المنزلية المناسبة للحياة اليومية، وكانت تتفاوت من طبقة إلى أخرى، فالملوك والسلاطين والأمراء وكبار

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٧

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٥، ص١٦.

(٣) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٨٢.

(٤) سبانو، أحمد غسان، مملكة حماة الأيوبية ، دار قتيبة، دمشق، ص١٩٨.

رجال الدولة والتجار يقتنون الأثاث الفاخر والأدوات ذات الصنعة المميزة، أما عامة الناس والطبقة الفقيرة فهي التي تعيش على أبسط الأدوات وأثاث لا يكاد يفي بحاجات من يقطن البيت.

فقد كانت بعض البيوت لا تتجاوز قيمه الأثاث الموجود فيها نحو خمسين درهماً [١]. وهذا شيء لا يذكر مع ما كانت تقتنيه القصورالفارهة. وكان من ضمن أثاث القصور الفرش[٢] والآلات والأواني المتعددة، فقد كانت دار الشخوص بحلب من الأماكن المتميزة في زخرفتها وسعتها وبما تحتوية من آلات وأوان وفرش، ففي سنة (٦٠٩هـ- ١٢١٢م) وبعد زواج ضيفة خاتون احترقت القلعة التي كانت تسكن فيها وأتت النار على جميع ما في القلعة، ثم جددت وأعيدت أجمل مما كانت عليه بما احتوته من زخرفة وأثاث فاخر وآلات، وسميت بعد ذلك بدار الشخوص [٣].

وقد ورد في بعض المصادر أن الأهل من طبقة الخاصة كانوا يساهمون في تجهيز بناتهم عند زواجهن. فقد جهز الأمير حسام الدين لؤلؤ (٥٩٦هـ ١١٩٩م) بناته الأربع بجهاز كاف[٤]. وكذلك فعل المعظم عيسى صاحب الشام (ت ٦٢٤هـ- ١٢٢٦م) عندما زوج ابنته إلى السلطان جلال الدين خوارزم شاه[٥].

ومن قطع الأثاث والأدوات المنزلية التي ورد ذكرها في المصادر نذكر على سبيل المثال:

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١- ٦٧٠.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص٢٦.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٥٥٦.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٥١.

- **السجاجيد والبسط والحصر**

وهي تفرش على الأرض[1]. وهناك نوع من البسط اسمه الزلال فقد ذكره فتيان الشاغوري (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) في شعره حيث قال:

والنّرْجِسُ الغَضُّ على السّنْدُسِ الأخْضَرِ منهُ بُسُطُهُ والزّلال[2]

وكان يقتنيه الناس كل حسب مقدرته المادية. والسجاجيد كانت على انواع منها ما هو صوف ومنها ما هو من أدم [3].

- **الطراحة**[4]: وهي نوع من الفراش للجلوس على الأرض، وقد يصطحبها الشخص معه في السفر للجلوس والنوم عليها [5]

- **المخدة أو الوسادة**: وهي ايضا توضع مع الطراحة للنوم عليها أو كمسنده [6].

- **الأسرة والدكك**: وهي للنوم أو للجلوس [7] والدكة عبارة عن شيء يشبه السرير ويعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون [8] وقد يكون من النحاس

---

(١) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٧٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص٤٢٣. والمقريزي، السلوك، ج١، ق١ ، ص٩٤، ٢٥٨. وصالحية، محمد عيسى، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، حوليات كلية الأداب، جامعة الكويت، الحولية السادسة، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، ص٣٤.

(٢) فتيان الشاغوري، ابو محمد علي بن الاسدي، (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م)، ديوان فتيان الشاغورى، تحقيق أحمد الجندي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٨هـ- ١٩٧٦م. ص٣٨٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٨٢، وصالحية، وثائق مقدسية، ص٣٤.

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٩.

(٥) ابو شامة، الروضتين ، ج٤، ص٧٣، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١- ٦٦٠، ص٥٤

(٦) الأصفهاني ، خريدة القصر، شعراء مصر، ص١٠٠

(٧) ابو شامة ، الروضتين، ج٤، ص٢١٢.

(٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦٠٦.

المكفت[1]. أو من الفضة واحياناً من نحاس أبيض وخشب، ومنها صيني ومنها بلور، ومنها ما يكون من ورق ملون يجلب من الصين[2]

والأواني التي تتكون من النحاس المكفت هي من الأواني الرائجة والمطلوبة في مصر بالذات، فلا تكاد دار تخلو منها ولا بد من هذه الأواني والدكك المكفتة بالنحاس في شورة[3] العروس. إضافة إلى مجموعة من الطاسات عددها سبع قطع من نحاس أصفر مكفت بالفضة احجامها مختلفة بعضها أصغر من بعض [4]. والجدير ذكره أن هناك سوقاً كاملاً في مصر اسمه سوق الكفتيين[5].

- **التخت:** وهو وعاء يوضع به الثياب [6]وهو نوع من الصناديق، وقد قدم الملك الظاهر غازي لابنة عمه ضيفة خاتون يوم زفت إليه من ضمن ما قدم لها عشرين تختاً من الثياب الفاخرة[7].

---

(1) الكفت: وهو ما تطعم به أواني النحاس من الذهب والفضة. المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص606- 607.

(2)المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص607.

(3) شورة من الشوار: وهو متاع البيت وهوهنا يأتي بمعنى جهاز العروس. الرازي أحمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (ت313هـ-925م) ، مختار الصحاح ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص350. والفيروز أبادي القاموس، المحيط، ج2، ص67.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص606.

(5) المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص606.

(6)الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ج1، ص150.

(7) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص214، والحنبلي، شفاء القلوب، ص283.

وكانت الخزائن والأسرة والصناديق الخشبية من ضمن اثاث البيت الضروري والذي لا يخلو منه تقريباً. وكان لشهرة هذا الأثاث سوق يسمى سوق الصنادقيين في مصر يضم تلك القطع من الأثاث [1].

- **المروحة:** ومن الناس من كانت لديه رفاهية بحيث يقتني المروحة اليدوية ليخفف من وطأة الحر[2] و قد تصنع من القش[3]. وهناك بيت للشاعر أبي العلا المعري (ت بعد ٥٥٠هـ- ١١١٥م) [4]. يصف به المروحة:

وقابضةٍ بِعنان النسيم تُصرِّفُه كيف شاءت هُبُوبا[5]

ولآخر :

تجودُ لكن بمُسْعِدٍ ولقَدْ تبْخَلُ إن لم تساعدِ الراحةُ[6]

(١) البغدادي، الإفاده والاعتبار، ص٨٩، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٥٩٩.

(٢) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص٦٦.

(٣) صالحية، وثائق مقدسية، ص٣٧

(٤) ابو العلاء المعري، ابن أبي الندى بن عمر، اشتغل صغيراً بالفقه، وكان في الذكاء عديم النسبة، وكان يدرس في المدرسة النورية بحلب، توفي بعد الخمسين وخمسمائة. الأصفهاني، خريده القصر، ج٢، شعراء بلاد الشام، ص٧١.

(٥) الاصفهاني، خريدة القصر، ج٢، شعراء بلاد الشام، ص٧٣.

(٦) المصدر نفسه، شعراء مصر، ص١٩٨.

- **الكانون والمنقل:** وفي الشتاء يستخدم الكانون والمنقل للتدفئة، والمنقل وعاء لاشعال الحطب فيه[1]، وما زال الاسم يستخدم بنفس المعنى في يومنا هذا.

- **الإجانة:** وهي وعاء لغسل الثياب، استعمل في البيوت لتنظيف الملابس[2]، والجدير ذكره أنه كان هناك صابون ينظف به، ومعامل الصابون كانت منتشرة في الفترة الأيوبية وكان في حلب درب يسمى درب الصبانة، به مطابخ الصابون والتي تزيد على عشرين مطبخاً، وذلك لكثرة اشجار الزيتون، حيث كانت مادة الزيت تدخل في صناعة الصابون [3].

أواني الطعام:

استخدم الناس عدة أوان لطعامهم وشرابهم، منها:

- **الزبدية:** وتختلف أحجامها حسب استخدامها، فقد يكون بعضها كبيراً احيانا يتسع لخروف صحيح، أو يتسع لثلاثة طيور أحياناً[4].
- **الصحون:** وهي أوان لوضع الطعام فيها[5].
- **المنسف:** ويستخدم لوضع الطعام أو الحلوى عليه[6].
- **القدور:** وهي لوضع الطعام بها وطبخه[7].

---

(١) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص١١٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٣١.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٧٧.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٣٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص١١٨.

(٦) المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٦٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج١،ق١، ص٩٤.

- **الكوز:** وهو اناء يسقى فيه الماء ، وقد يصنع أحيانا من تراب الجير[1]
- **المغرفة:** وهي لغرف الطعام وسكبه [2]
- **الجرار:** وتستخدم لحفظ الماء أو الزيت أو السمنه[3] ' واحياناً الجرة قد تسمى حُبُ [4].
- **الروايا:** وهي لنقل الماء للشرب أو لأغراض مختلفة من أماكن وجود الماء سواء أنهاراً أم ينابيع[5]
- **الميزر:** وهو لوضع الخبز عليه[6]. وهو يشبه ما يسمى بالطبق في وقتنا الحاضر.
- **المنخل:** وهو لنخل الدقيق وفصله عن النخالة[7]
- **السكرجة:** وهي اناء صغير توضع على المائدة وتوضع بها الأشياء التي تساعد على فتح الشهية وتساعد على الهضم[8].
- **البرنية:** وهي عبارة عن أناء من خزف[9].

---

(١) كان هناك اعتقاد عند بعض العامة ان الكوز الذي يصنع من تراب قريه عياض بمصر، اذا شرب منه المكسور سيشفى ويجبر عظمه.. القلقشندي، اصبح الاعشى، ج٤، ص٧٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص٣٦٤.

(٤) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٣٣.

(٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٢٥.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٠٢

(٧) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص١٢٣.

(٨) السكرجة: سكرج: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. وهي فارسية واكثر ما يوضع فيها الكوافح ونحوها ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٩٨.

(٩) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٥٣.

والجدير ذكره ان بيوت الاغنياء كانت تختص بالعديد من الأواني التي كانت "قيمة بعضها تساوي أحياناً ألف درهم أو ما يقاربه"[١] وبعض الأغنياء لديهم أدوات "ما يعجز عنها الوصف"[٢].

فقد وصف الذهبي بعض مواد الطعام عند الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزى، وهو من كبار الأمراء بدمشق ، فوصف السماط الذي وضعه على العشاء في احدى الليالي بعد جلسة سماع ومذاكرة؛ فان في القصر عدد من الشموع الكبار الكافوري والأنوار الفضية والمطعمة ما يقصر وصفه، ثم بعد أن مد السماط كان عليه من الأدوات الشيء الكثير من ضمنها نحو مائة زبدية عادلية في الزبدية خروف صحيح ، وقريب ثلاثمائة زبدية في كل زبدية ثلاثة طيور دجاج، وغير ذلك من الأطعمة[٣].

وغير هذه الأدوات العديد والتي تستخدم لأغراض مختلفة في المنازل مع الفارق بين بيوت الأغنياء وبيوت الفقراء والتي قد لا يكون فيها إلا الأشياء الضرورية للاستخدام اليومي.

- **الأطعمة والأشربة**

تنوعت الأطعمة والأشربة في الفترة الأيوبية لكثرة تنوع الخضار والفواكة والبقوليات سواء في مصر أو في بلاد الشام[٤]. وقد كانت المرأة تقوم بتحضير الطعام في المنزل، سواء أكانت ربة بيت أم جارية[٥]، فقد كانت زينب بنت أبي القاسم قاضي حماة زوجة سبط ابن الجوزي

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٩.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص١١٨.

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٦١- ٦٧٠، ص١١٨

(٤)السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص٢٩٤.

(٥)النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٥١.

تتقن الطبخ وصناعة الحلويات، حتى أن الملوك والأمراء كانوا معجبين بما تقوم به من عمل حلويات وأطعمة[1]. وقد كانت الجواري ايضاً يقمن بالطبخ بمهارة كما يقول المقريزي: " ولهن في المطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة"[2].

وبالإضافة إلى صناعة الطعام في البيوت، فقد كان هناك أنواع متعددة من الأطعمة تصنع وتباع في الأسواق، وكتب الحسبة مليئة بأنواع الأطعمة التي كانت تحت رقابة المحتسب[3].

وسوف اذكر بعض أنواع الأطعمة والحلويات التي كانت تستخدم في الفترة الايوبية على سبيل المثال لا الحصر، مع التنويه ان بعض الأطعمة كانت في الفترة الفاطمية وقبلها، واستمرت إلى الفترة الأيوبية وما بعدها، وربما كان بعضها ما زال موجودا حتى اليوم.

الأطعمة:

الهريسة: وهي- كما في القاموس- الحب يدق ويهرس جيداً ثم يطبخ على النار. [4]

وكانت زمن الأيوبيين تصنع من القمح، ولحم الضأن، ولحم البقر؛ لكل صاع من القمح ثماني أواق من لحم الضأن، ورطل من لحم البقر[5]. وهي من الأطباق الرئيسية والمشهورة في تلك الفترة لذلك كانت تخضع لمراقبة المحتسب خوفاً من الغش والتدليس[6].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٦٥

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦٧.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٦٥

(٤) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ- ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٢٦، ص٢٤٧، مادة هرس، والفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص٧٤٩، مادة هرس.

(٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٣٦

(٦)الشيزري، المصدر نفسه، ص٣٦، وأبن العماد شذرات الذهب، ج٥، ص١٤٩.

المضيرة: وهي مريقة تطبخ باللبن المضير، وربما خلط بالحليب[1]. وتتكون من اللحم الذي يطبخ باللبن المضير، أي الحامض، وهي طبخة مشهورة في تلك الفترة [2]

البهطة: وهي الأرز يطبخ باللبن والسمن. والسمن فيها من أساسيات الطبخة[3]

اللبنية: وهي الأرز يطبخ باللبن دون سمن[4].

الجوارش: وهي نوع من الطعام يتخذ من القمح[5]. وقد تسمى القمحية، ويعمل منها نوع من الحلوى يساعد على الهضم[6]، وقد كان الملك العادل يأكل منها في الليل للمساعدة على الهضم حيث كان أكولاً[7]

النقانق: وهي عبارة عن المصارين المحشوة باللحم المدقوق والبصل والأبازير والتوابل المسحوقة، وتقلى بالزيت[8].

المصوص: وهو لحم ينقع في الخل ويطبخ[1]. وقد ذكر هذا الطعام ببيت من الشعر لفتيان الشاغوري:

---

(١) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٣٩.

(٢)ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٣٨١. الشيزري، نهاية الرتبة، ص٣٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٦١-٥٧٠، ص١٤٩.

(٣) الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، (ت ٣٧٨هـ-٩٨٨م). مفاتيح العلوم، تحقيق ابراهيم الابيان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٩٢.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٣٤.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٤٨.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٦٥. ورضا، أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م، ج١، ص٥١٠.

(٧) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٤٨.

(٨) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٣٨.

وما طبخت قدورهم حلالاً فليتهم بها طبخوا مصوصا[2].

- **السمك**: وكان كثير الاستعمال خاصة في مصر، ويقدم مشوياً أو مقلياً[3].

- **الجوذاب أو الجوذابة**: وهو طعام يتخذ من الأرز ومن رقاق الخبز، ويتخذ ببقل وبغير بقل، وبسكر وبغير سكر. وطريقة صنعه أنه يوضع في تنور تحت اللحوم المشوية كالإوز، والجداء، والخراف، فتشوى فيقطر دهنها عليها، لابد من ذلك وإلا فليس جوذابة[4].

- **الثريد**: وهو قطع من الخبز تفت وتسقى بماء اللحم، وقد يوضع عليها بعض الخضار[5].

- **السنبوسك**: وهو رقائق من العجين تحشى باللحم، وقد يوضع بدل اللحم السمك[6].

وإذا صنع السنبوسك في الأسواق فقد يحشى بالفول النابت المقشور والبصل، إلا أن ذلك يعتبر من اساليب الغش ويعرض صاحبه لمساءلة المحتسب، لأن الأساس في الحشو هو اللحم المدقوق[7].

- **رغيف الصينية**: وهو دقيق القمح يعجن بزيت شيرج – الزيت المستخرج من السمسم– ثم يقسم ويبسط في صينية نحاس، ثم يعبأ على الصينية خروف محشي أو أكثر، والحشو

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص93.

(2) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص254.

(3) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص193. والشيرزى، نهاية الرتبة، ص33. وابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص28.

(4) دوزي، تكملة المعاجم، ج2، ص332.

(5)وابن منقذ، الاعتبار، ص88، والشيزري، نهاية الرتبة، ص32. ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص102..

(6) الشيزري، نهاية الرتبة، ص 38.

(7) المصدر نفسه، ص38

يكون باللحم المدقوق والفستق المهروس مع الفلفل والزنجبيل والقرفة والكزبرة والكمون والهال والجوز وغيره من أنواع البهارات، ثم يوضع بين الخرفان دجاج ايضاً محشي وبعضه مطجن بماء الحصرم وبماء الليمون وغيره، ثم يوضع رغيف من العجين فوق الكل ويغلق أطراف العجين جيداً ويوضع في التنور حتى ينضج الخبز ويحمر، وبعد إخراجه من الفرن يمسح باسفنجة ويرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للأكل[1].

ويرى البغدادي أن هذا الطبق من غريب أهل مصر في الطعام، وهو يصلح لأن يحمل مع الملوك والأغنياء في رحلاتهم الطويلة للصيد أو التنزه لأنه سهل الحمل ويحتفظ بالحرارة لمدة طويلة[2].

هذا طرف من المأكولات التي كانت سائدة في ذلك الوقت ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر- كما أسلفت- وقد ذكر الظاهري عدداً كبيراً منها على وجه الاجمال، مثل:

" مأمونية، متوكلية، سفرجلية، رمانية، مسكية، أرز مفلفل، قلقاس، شيش بورك، مكمورة، مرقدة، حصرمية، كمونية، سنبوسك، هليونية، لبنية، سماقية، ملوخية، قرعية، بأمية، قلوبية، قرنفلية، مشمشية، مطجن، مشوي"[3].

---

(١) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص ٧٤-٧٥

(٢) البغدادي، الافادة والاعتبار، ص٧٥.

(٣) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ- ١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٥.

والملاحظ أن معظم الأكلات تسمى حسب نوع الخضار أو المادة المستخدمة في تلك الطبخة، أو قد تنسب إلى شخص ما. فالمأمونية نسبة إلى المأمون[١]، والمتوكلية نسبة إلى المتوكل.[٢] أما السفرجلية فنسبة إلى السفرجل، والرمانية نسبة إلى الرمان، والقرعية نسبة إلى القرع، وهكذا.

المشروبات:

أهتم الأيوبيون بالشراب وتعددت أنواعه، وكان لربيعة خاتون ساقٍ خاصٌ بها ويسمى" شربدار"[٣]. ومن أنواع المشروبات في الفترة الأيوبية:

- **الفقاع**: وهو شراب يتخذ من الشعير يسمى به لما يعلوه من الزبد[٤]. وقد يستعمل منقوع الشعير للعلاج أحياناً، فقد أُعطي الملك الناصر صلاح الدين مقداراً من منقوع الشعير في مرضه[٥].
- **عصير العنب**: وهو من الأشربة المطلوبة، ويكون في غاية الغلاء وخاصة في مصر[٦].
- **المزر**: وهو كما في لسان العرب: " نبيذ الشعير والحنطة والحبوب، وقيل نبيذ الذرة خاصة"[٧].

---

(١) الوهراني، ركن الدين محمد بن محرز، (ت ٥٧٥هـ- ١١٧٩م). منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق ابراهيم شعلان، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٦٨م، ص٢٣٣، ٢٤٣.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٣٨٥.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص٣١٨

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٥٦.

(٥) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٤٤. وابو شامة، الروضتين، ج٦، ص٢١٢.

(٦) الحجاري، عبد الله بن ابراهيم، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٧٢.

إلا انه كان في العصر الأيوبي يتخذ من القمح خاصة في مصر، ويسمى " المزر الأبيض"، وكان يستعمل على نطاق واسع بحيث يرتفع سعر القمح لهذا السبب، عندها كان الوالي يمنع شربه ويكسر أوانيه[١].

- **الفسقة:** وهو شراب فيه ماء وخل، كان يشربه الجنود الرومانيون، وشربه بعض الناس في العصر الأيوبي، وكان مكان في دمشق يسمى بالفسقار بجانب درب القصاعين يصنع به هذا النوع من الشراب[٢].

الحلويات:

ونذكر طرفاً من الحلويات التي كانت موجودة:

- **الخشكنانج، أو الخشكنان:** وهي نوع من الكعك أو الرقائق على شكل حلقات كالهلال، تحشى بالجوز والسكر، أو المكسرات الأخرى مثل الفستق واللوز[٣].
- **رز بلبن:** وهو الرز الذي يطبخ بالحليب[٤]. وما زال موجوداً حتى وقتنا الحاضر.
- **البسيسة:** وهي أن يلت السويق أو الدقيق أو الأقط المطحون بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ[٥]. وما زالت البسيسة معروفة في بعض الأوساط الريفية في الأردن بأن يلت دقيق القمح بزيت الزيتون ويضاف إليها السكر أحياناً.

---

(١)الحجاري، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص٣١.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٩٣.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ- ٨٦٨م). البخلاء، تحقيق طه الحاجري، ط٥، دار المعارف بمصر، ص٣٦٨. وابو شامة، الروضتين، ج٣، ص٥١. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٥. ودوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٤، ص١٠٢.

(٤) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٤٢. وأبو شامة ، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٧٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٤١٢. والمقريزي، الخطط، ج٢، ص١٤٣.

(٥) الرازي، مختار الصحاح، ص٥١-٥٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٦١-٦٧٠، ص١٤٨.

- **خبيص السكر:** الخبيص طعام كان يعمل في الفترات السابقة من التمر والسمن، ثم صار يعمل بالعسل بدلاً من التمر[١]. ثم في الفترة الأيوبية أصبح يعمل من السكر والسمن. وكان هذا النوع من الحلوى مفضلاً عند الملك العادل، فقد كان يأكل منه قبل النوم ما يعادل رطلاً بالدمشقي[٢].
- **النيدة:** وهي حلاوة القمح، وكانت لا تصنع إلا بالقاهرة[٣].
- **قبيط حران:** وهي نوع من الحلاوة المعمولة من العسل[٤]. ونسبت إلى حران[٥].
- **الزلابية:** وتتكون من السميد المعجون والمقلي بالزيت، ثم يوضع في العسل. وأجود ما قليت به زيت الشيرج وهو المتخذ من السمسم[٦].

وكانت الزلابية من الحلويات المشهورة في تلك الفترة، وتعمل في البيوت، وفي المطاعم حيث تخضع لرقابة المحتسب لمنع الغش في مكوناتها ونوعية الزيت الذي تقلى به[٧].

---

(١) الجاحظ، البخلاء، ص٢٠٣- ٤٠١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص٢٦٨. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٤٨.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦٧.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٨٠.

(٥) حران بلدة عظيمة مشهورة بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

(٦) الشيزري، نهاية الرتبة، ص٢٥.

(٧)الشيزري، المصدر نفسه، ص٢٥.

- **القطائف:** وهي عبارة عن حلوى من السميد الذي يحشى بأصناف من المكسرات وتقلى بالزيت [1]وهي من أشهر أنواع الحلويات، واشتهرت بها دمشق أكثر من غيرها. قال فتيان الشاغوري (ت٦١٥هـ- ١٢١٨م):

كم من قطائف كالأماني في دمشق قطفتها

كانت كألسنة الأحبة في الشفاه رشفتها

وببعلبك كأنني ما كنت قد عرفتها[2]

وكانت تشتهر كأيامنا هذه في شهر رمضان، اكثر من غيره، يقول ابن رفاعة (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م)

اهلاً شهر غدا فيه لنا خلف اكل القطائف عن شرب آنية العنب

من كل ملفوفة بيض إلى أخرٍ حمر من القلي تشفى جنة السغب[3]

- **عمل المرأة في المنزل**

لقد ضنت المصادر بخصوص موضوع عمل المرأة في بيتها، وندرت المعلومات بهذا الشأن، ولكن هناك بعض الإشارات المتفرقة والقليلة والتي تعطي فكرة واضحة عن هذا الموضوع، رغم أن عمل المرأة من الناحية المنطقية هو عملها في بيتها، ويمكن ان يكون هذا هو

---

(١) الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص١٦٧.

(٢) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٦٥.

(٣) الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٦٢. والحجاري، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص٢٦٦.

سبب عدم ذكره والخوض به لأن هذا تحصيل حاصل وقد استقر عليه العرف في الفترات المتعاقبة. مع أن المرأة قد يكون عندها في البيت من الخدم والجواري ممن يقمن بالأعمال المنزلية وخاصة في قصور الملوك والأغنياء وعلية القوم، ولكن هذا لا يعني أن الخادمة هي التي تقوم بهذا كله، فرغم وجود هذه الطبقة العاملة كان الإشراف من قبل الزوجة هو الأساس. والجدير ذكره أن بعض النساء تفضل هي القيأم بالأعمال المنزلية في بيتها والاستغناء عن العاملات مع وجودهن أو أمكانية ان تكون هناك من تقوم بمساعدتها.

وسوف أعرض لبعض الأعمال التي تقوم بها المرأة بشكل عام، لقد كان عمل المرأة في بيتها والقيأم بخدمة زوجها وأسرتها هو الأساس والمتعارف عليه، فقد يتزوج الرجل ويعقد على أمرأة لا لرغبة في الزواج، ولكن لتقوم على خدمته، كما فعل الشيخ عيسى بن احمد بن الياس اليونيني[1]. فقد عقد على عجوز فقط لتقوم بخدمته، وهو غير راغب في الزواج، ولم يتزوج سابقاً لأنه كان دائم الاشتغال في العبادة والمطالعة[2]. وهنا سبب زواجه من العجوز واضح وهو الخدمة، وحيث انه لا يجوز أن يكون هو وأمرأة في بيت واحد وتقوم بخدمته وهي أجنبية عنه، لذلك عقد عليها.

وقد أجمل أبو شأمة الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة في بيتها في عدة أبيات مدح بها زوجته ووصف ما تقوم به من الأعمال في منزلها، حيث قال:

---

(١) كان من مريدي الشيخ عبدالله اليونيني وتعلم على يديه. الذهبي ، سير أعلأم النبلاء، ج٢٣، ص٢٩٩.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، ج٢٣، ص٢٩٩.

خدوم بقلب في جميع أمورها مباشرة لكل ما دق أو جلا

ملازمة للشغل في البيت دائماً على صغر من سنها لاتني فعلا

مطرزه خياطة ذهبية مفصلة خطاطه تحكم الغزلا

تنقل في الاشغال من ذا وذا وذا وتفعل حتى الكنس والطبخ والغسلا

وما ذاك من عدم فلم يخل بيتها من أمرأة يكفي إذا شاءت الفعلا

ولكنها اعتادت نظافة شغلها فعافت فعال الكل واحتملت فعلا

مربية حنانة ذات رحمة فكل يتيم واجد عندها فضلا(١)

وهذه الأبيات ذكر فيها قائلها معظم أعمال المرأة في بيتها سواء كانت صغيرة أم كبيرة، عظيمة أم بسيطة، فقد تقوم بتطريز ما يلزم البيت، وإذا احتاجت إلى ملابس سواء هي أم أفراد الأسرة فيمكن ان تقوم بأعمال التفصيل والخياطة، كذلك قد تقوم بما يلزم البيت من أعمال غزل ونسيج وكذلك تتنقل بين أعمال البيت اليومية من كنس وغسل وطبخ أيضاً.

إضافة إلى ذلك فهى -أي المرأة - تقوم بما يلزم تجاه أبنائها من تربية وخدمة وتلازمهم لتلبية حاجاتهم.

---

(١) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص ٣٠١-٣٠٢

وقد كانت المرأة تدبر أمور منزلها من طبخ وغيره وتقوم بذلك بنفسها، فقد كانت زينب بنت ابي القاسم قاضي حماة زوجة سبط ابن الجوزي وتعرف ببنت العكبري وأمها فطلح خاتون بنت سوركين، كانت تتقن الطبخ وعمل الحلويات، لدرجة أن الملوك كانوا معجبين بما تقوم به من عمل حلويات واطعمة[1]

وعملت المرأة في العصر الأيوبي بالغزل والنسيج والتطريز، وكانت تقوم بهذه الأعمال في منزلها[2]. وقد تساعد زوجها أحيانا في العمل خارج المنزل مثل الأعمال في الحقل أو غيره من الأعمال التي قد يمارسها الزوج وتستطيع الزوجة المساعدة[3] أو أعمال الحفر، فقد قامت زوجه ابن الكمال المقدسي[4] بمساعدته يوما وهو يحفر في مكان في جبل الصالحية [5].

وكذلك قد تقوم المرأة بالعمل لتخدم الجماعة اذا كان هناك عمل يخص أسرتها ومجموعة من اقاربهم أو معارفهم أو من تربطهم مصلحة مشتركة، فعند بناء دير المقادسة في جبل الصالحية كانت زوجة محمد بن قدامة تقوم بالطبخ لجميع الرجال والنساء في الجبل ويأكل الجميع[6]، وكذلك قد تقوم المرأة بخدمة ضيوفها والحرص على راحتهم حتى لو كانت زوجة ملك أو أم ملك.

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآه الزمان، ج٨،ق٢، ص٧٦٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٥٩٦.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٥.

(٤) ابن الكمال المقدسي، ابو عبدالله محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي. كان أماماً فقيها محدثا.. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٥.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٠٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص٢٧٠

فعند حجز الملك الصالح أيوب في قلعة الكرك عند الملك الناصر داود سنة (٦٣٧هـ-٢٣٩م) اهتمت والدة الملك الناصر بأمر الملك الصالح، وخدمته أتم خدمة، وتولت ذلك بنفسها، وكانت تطبخ له بيدها، وحلفت على ولدها أنه إن فعل به ما يكره لا أقامت عنده. وقالت له: ما ملكنا البلاد وجعلنا في هذا الحصن إلا والده، تعني الملك الكامل، وكذلك قامت زوجة الملك الناصر بخدمة الملك الصالح الذي كانت ترافقه زوجته شجر الدر في حبسه هذا.[1]

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٧٢، والذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٤٠-٦٥٠، ص٣٤٣.

المبحث الرابع

الملابس والزينة

- الملابس
- الحلي
- العطور
- الحمامات

- الملابس.

اهتمت المرأة في العصر الأيوبي بملبسها وزينتها، وخير دليل على ذلك نوعية وكمية الثياب والمجوهرات التي كانت ترافق العروس أو التي تهدى لها.

والجدير ذكره انه عند الحديث عن الملابس والزينة للمرأة فإنها تختلف بالطبع بين نساء الطبقة الحاكمة ونساء طبقة العامة. ولكن عندما نتكلم عن الملابس فسوف نأخذها بشكل عام وهي المشتركة والتي يمكن ان تلبسها المرأة الغنية والمرأة الفقيرة، مع الفارق في النوعية، وطبيعة الزركشة، أو إذا ما كانت مرصعة بالجواهر عند نساء الملوك أو أنها قطعة عادية تصلح للمرأة غير القادرة على شراء الغالي والثمين. ولقد لبست المرأة القماش بأنواعه المختلفة من الديباج والحرير والأطلس والسندس[1] وكانت الملابس على اشكال متعددة منها:

---

(١) ابن سناء الملك، عز الدين أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن محمد (ت ٦٠٨هـ- ١٢١٢م) ديوان ابن سناء الملك، تحقيق نصر محمد، ابراهيم نصر وحسين محمد نصار، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م. ج٢، ص١٧٣.

غطاء الرأس

وكان غطاء الرأس على عدة اشكال منها:

العصابة:

وهي ما عصب به الرأس [1]، وقد تكون العصابة عمامة أو منديلاً أو خرقة أو تاجا[2] يلف بها الرأس وتربط من الخلف[3]

وقد استعملت العصابة في الفترة الأيوبية، وكانت عصابة بنات الملوك أو زوجاتهم تختلف عن نساء العامة. فعند نساء الملوك تكون العصابة مرصعة بالجواهر الثمينة ومزركشة تختلف عن عصابة نساء العامة التي قد تكون من ابسط ما يكون. وقد تكون لها ألوان مختلفة غير الجواهر والزركشة [4] فقد قدم الملك الظاهر لزوجته الملكة ضيفة خاتون عصابة مجوهرة متميزة ليس لها نظير وذلك لكثرة ما عليها من الجواهر الثمينة. [5]

الوشاح:

وهو ما يعقد على الرقبة أو على الرأس وينسج من أديم ويكون عريضاً ويرصع بالجواهر[6] وقال فتيان الشاغوري ذاكراً الوشاح.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٠٢،٦٠٣، مادة عصب.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٢- ٦٠٣، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج١، ص١٠٩.

(٣) رشدي، صبيحة رشيد، الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، ص٤٣.

(٤) المقريزي ، الخطط، ج١، ص٧٤١.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، مج ٥، ج١، ىص١٢٧، والمقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص١٧٦، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٦) الرازي، مختار الصحاح، ص٧٢٣، ودوزي، معجم الألبسة عندالعرب، ص٤٠٣.

من كلِّ حائلَهِ الْوِشاحِ تَهُزُّ غُصْنَ   الْبانِ في أعلى اَلْكَثيبِ اَلمائرِ[1]

وقد تلبس المرأة أكثر من وشاح في آن واحد. ويبدو أن الوشاح في الغالب لنساء الطبقة الغنية والأميرات[2].

النقاب:

وهو غطاء تضعه المرأة على وجهها بحيث يظهر محجر العينين[3] وإذا أدنت المرأة النقاب إلى عينها يسمى ذلك الوصوصة والبرقع[4]. وقد يصنع من الحرير ويزين بالذهب عند الطبقة الحاكمة[5]. والنقاب ليس خاصاً بطبقة معينة بل تلبسه معظم أو كل النساء[6]. وعند كشف الوجه وازالة النقاب يعتبر ذلك سفوراً من المرأة[7]. وذكر النقاب في شعر ابن سناء الملك حيث قال:

ولقد أحلُّ السُّكر حَلَّ إزارِها   مِنْ بَعد تَحريمي لِحَلِّ نِقَابِها[8]

---

(1) فتيان الشاغوري ديوان فتيان الشاغوري، ص208

(2) العبيدي، حسن، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1401هـ- 1980م)، ص309.

(3) دوزي، رينهارت، معجم مفصل في اسماء الألبسة عند العرب، مكتبة رياض الصلح، بيروت، ص424، وصالحية، محمد عيسى، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، الكويت، ص25.

(4) البرقع: تلبسه نساء الاعراب وفيه خرقان للعينين، ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص9، مادة برقع.

(5) رشدي، الملابس العربية، ص44.

(6) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص142، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة631-640، ص269.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، مج7، ج13، ص157.

(8) ابن سناء الملك، ديوان، ج2، ص22.

اللثام:

وهو ان ترد المرأة القناع على الأنف وإذا ردته على الأرنبة يسمى اللفأم[1]. ومن ذلك نفهم انه لا يغطي الوجه كله. وللمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بيت يصف فيه أمرأة عندما تكون سافرة وعندما تلبس اللثام:

تُرِيكَ الْبَدْرَ إن سَفَرتْ وتَحكي هِلالاً حينَ يَسْتُرُها الْلثام[2]

القناع:

والمقنعة وهو الثوب[3] الذي تضعه المرأة على رأسها وتغطى به محاسنها. ولا فرق في المعنى بين القناع والمقنعة[4]. وقيل القناع أوسع من المقنعه[5]

وكان القناع مطلوباً لدى المرأة الأيوبية وهو من الألبسة الخاصة بالمرأة، أي ليس من الألبسة المشتركة بين الرجل والمرأة، ففي سنة (٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) وعندما أضاف الملك الناصر صاحب حلب دمشق إلى ملكه أشار عليه أتابكه شمس الدين لؤلؤ[6]. أن يصعد مصر

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٥٣٣، مادة لثم.

(٢) الاصفهاني، خريده القصر، شعراء دمشق، بني ايوب، ص١٠٧.

(٣) الثوب: اللباس ، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٤٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٠٠-٣٠١، مادة قنع.

(٥) الرازي مختار الصحاح، ص٥٥٣. وجودى ، محمد حسين، تاريخ الأزياء القديم، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، ط١، ١٩٩٧، ص٨٧. وصالحية، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، ص٢٤.

(٦) شمس الدين لؤلؤ، بن عبد الله مقدم عسكر حلب، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٧. النـويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٤٣.

وينتزعها من الملك المعز عز الدين ايبك التركماني، وقد هون لؤلؤ هذا الأمر على الملك الناصر بقوله: " أنا آخذ الديار المصرية بمائتى قناع"[١].

وهنا يقصد أن الأمر هين عليه وأنه يمكن ان يأخذ مصر حتى ولو سار بمائتي أمرأة، والقناع هنا كناية عن من تلبسه وهي المرأة والقناع يلبس فوق جميع الملابس، والظاهر أن حركته سهلة للبس والخلع[٢]

المئزر:

وهو الإزار : وهو كل ما واراك وسترك[٣] سواء للجسم أو الرأس. ويبين الذهبي أن المئزر استعملته بعض النساء للرأس. وقد أورد قصة عن الشيخ عبدالله اليونيني انه فرق مقنعة زوجته إلى بعض النساء لأنها كانت محتاجة لها وطلبت ذلك من زوجها، بعدها جاءت المرأة التي اخذت المقنعة وجمعت وروداً من حديقتها وأتت بها إلى بيت الشيخ عبد الله، فوجدت زوجته وما على رأسها سوى مئزر معقود تحت حنكها[٤]. وهذا يبين ان المرأة قد تستعمله للرأس إضافة إلى الجسم.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٤٣.. والذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص١٦٨. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٧٤.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٥٥١.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ج٤، ص١٧، مادة أزر. دوزي، معجم الألبسة عند العرب ، ص٢٤.

(٤) ابن منقذ، الاعتبار، ص٢١٦. وابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤١٧.

وفي رواية عن سهل بن سعد قال لقد رأيت الرجال عاقدي أزرهم في أعناقهم مثل الصبيان من ضيق الأزر خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة،فقال يا معشر النساء لا ترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال[1] .

وهذا النص يبين أن الأزر من لبس الرجال كما هو من لبس النساء. وان الأزر من الألبسة القديمة واستمرت إلى فترة البحث، ثم إلى فترات بعدها، وكان له ذكر في الشعر الأيوبي[2]، حيث قال ابن سناء الملك (ت ٦٠٨هـ– ١٢١٢م):

ولقد أحلَّ السُكر حَلَّ إزارها من بَعد تحريمي لِحَلِّ نقَابِها[3].

المعاجر: المعجر والعجار

وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تجلبب فوقه بجلبابها[4]. والاعتجار : هو لي الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك. وهو من البسة الرجال والنساء فعند الرجال الاعتجار لف العمامة دون التلحي، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء. أي انه لفها على رأسه ولم يتَلَحَّ بها[5].والمعجر مثل العصابة له ألوان مختلفة.[6]

كساء الجسد

اتخذ كساء الجسد للمرأة اشكالا متعددة، وأطلق على كل منها اسم خاص به، ومن ذلك:

---

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ– ٨٧٤م)، صحيح مسلم، بشرح النووي، مؤسسة مناهل العرفـان، بيروت، ج٤، ص١٦٠، باب أمر النساء المصليات وراء الرجال.

(٢) ابن سناء الملك ، ديوان ، ج٢، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٤٤ مادة عجر

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٤٤، مادة عجر

(٦) المقريزي ، الخطط، ج١، ص٧٤١.

المرط

وهو الكساء غير المخيط ويكون من خز أو صوف أو كتان، ويقال انه الثوب الأخضر على الخصوص وجمعه مروط[1].

وقد أضاف الجوهري اضافة إلى أنه كساء من صوف أو خز "كان يؤتزر بها" [2]. أي يمكن أن تقوم مقام الإزار، وهناك ذكر للمرط في شعر الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاة فقال في بيت يصف أمرأة تلبس المرط:[3].

لها روضةٌ من نفسها اجتَمعتْ بها   غرائبُ من حُسْنٍ أحاطَ بها الْمِرْطُ[4].

والمرط من الألبسة التي كانت في فترة الرسول صلى الله عليه وسلم واستمرت، فهناك رواية تقول عن النساء اللواتي يصلين الصبح في المسجد: فينصرفن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس[5]. أي لا تعرف فلانة من فلانة[6].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٠٢،٤٠١، مادة مرط. ودوزي، معجم الألبسة عندالعرب، ص٤٠٤.

(٢) الرازي، مختار الصحاح، ص٦٢٢.

(٣) الاصفهاني، خريده القصر، شعراء دمشق، بني ايوب، ص١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، خريدة القصر، شعراه دمشق- بني أيوب، ص١٠٠

(٥) الغلس: ظلمة آخر الليل اذا اختلط بضوء الصباح. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٧٨. مادة غلس. وابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٥٦/ مادة غلس

(٦) ابن العربي، ابو بكر محمد بن عبد الله(ت ٥٤٣هـ - ١١٤٨م)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاري، دون طبعة، دار الفكر، دون تاريخ، ج٣، ص١٣٦٩.

الجلباب

وهو ثوب واسع أوسع من الخمار[1] ودون الرداء،[2] وتغطى به المرأة رأسها وصدرها[3]. وكان للجلباب اكثر من تعريف أو استعمال، فقد قيل من استعمالاته أنه تغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة[4] وقيل هو الخمار وقيل جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها[5]

وقد وضح الخطيب الشربيني في كتابة السراج المنير تلك التعريفات بما يلي:

كل ما يستر به من دثار[6] وشعار[7] وكساء[8] فهو جلباب والكل تصح ارادته هنا فإن كان المراد القميص فإدناؤه اسباغه حتى يغطى بدنها ورجليها وإن كان ما يغطى الرأس فإدناؤه ستر وجهها وعنقها. وإن كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها وإن كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين[9].

---

(١) الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها وتخمرت بالخمار لبسته وخمرت به رأسها غطته. . ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢٥٧، مادة خمر.

(٢) الرداء : الثوب، البستاني، محيط المحيط، ص٣٣٢،

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٧٢، مادة جلب.

(٤) ملحفة وهي قطعة قماش تلف حول الجسم أو حول بعض الأجزاء حسب الحاجة.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٨٩.

(٦)دثار: الثوب الذي يستدفأ به فوق الشعار. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤١٢.

(٧) شعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب. أي هو من الملابس الداخلية، ابن منظور ، لسان العرب، ج٤، ص٤١٢، مادة شعر.

(٨) كساء: كل ما يلبس ويكتسي به، وهو غليظ النسيج. د وزي معجم الألبسة عند العرب، ص٣٨٥.

(٩) الشربيني، الخطيب(ت١٠٢٨هـ- ١٦١٨م)، السراج المنير في الاعانة في معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. بهامشه التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي(ت٦٨٥هـ- ١٢٨٦م)، المطبعة الخيرية، دون تاريخ، ج٣، ص٢١٦.

وهذا النص يبين ان الجلباب يكون حسب حاجة الجسم أو حسب حاجة المرأة وما تريد أن تغطيه، وقد ظهر ذكر للجلباب في الشعر بتلك الفترة، فقد قال الشاعر الشريف ابو الحسن[1]

غزالٌ كحيلُ الطرف أحوى مُفَلَّجٌ تَدَرَّعَ[2] جلبابَ الملاحةِ واكتسى[3]

وذكره ابن سناء الملك في ديوانه بقوله:

ولتُهنني منكَ الكرامةُ إنني اخْطُو وأخطُر مِنْك في جِلْبابها[4]

والجلباب من الألبسة القديمة قبل الإسلام، وقد ظهر ذلك في بيت شعر لجنوب اخت عمرو ذي الكلب ترثيه[5].

تَمشِي النسُورُ إليه، وهي لاهيةٌ مَشْيَ العَذارَى عليهنَ الجَلابيبُ

وقد فرض الجلباب في الفترة الإسلامية، وكان من أسباب فرضه كما يقول ابو شقه انه لتمييز المرأة الحرة عن الأمة، والتي كانت أي الأمة تشكل جزءاً كبيرا من النساء في المجتمع المسلم في الفترة الأولى من الإسلام[6].

---

(١) الشريف ابو الحسن هو علي بن محمد الأخفش المغربي الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٢٣٨.

(٢) الدرع:وهو الثوب الذي تغطى به المرأة جسمها وهو ما يستر البدن ، ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٨٢، مادة درع. دوزي، معجم الألبسة عند العرب، ص١٧٦

(٣) الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٢٣٩.

(٤) ابن سناء الملك، ديوان، ج٢، ص٢٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٧٢، مادة جلب. وابو شقة، عبد الحليم، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ط١، دار العلم للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج٤، ص٢١٦.

(٦) ابو شقه، المرجع نفسه، ج٤، ص٢١٧.

القباء:

الثوب الذي يلبس[1] فوق الثياب، وهو مفتوح من الامام، وله أكمام طويلة، ويضم الوسط بواسطة نطاق[2] . وهو من ملابس الرجال والنساء.[3]

ورغم ان القباء من لباس الرجال والنساء بشكل عام ، فقد كان في الفترة الأيوبية من لبس الجواري المغنيات المميز والأكثر شيوعاً، وكان بعضهن ترتدي الأقبية الفاخرة وقد يكتب على أطرافها الكتابات أو أبيات من الشعر.[4]

الفوطة

والفوطة هي الثوب القصير الغليظ وتستعمله المرأة مثل المئزر ويجلب هذا النوع من السند،[5] ويقال ان الفوطة ثوب من صوف، قال أبو منصور: لم اسمع في شيء من كلام العرب في الفوط، وقال : ورأيت بالكوفة أزرا مخططة يشتريها الجمالون والخدم فيئتزرون بها الواحدة فوطة. قال: فلا أدري أعربي أم لا. [6]

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص٥٢٠.

(٢) النطاق: شقة من ملابس النساء وهو ما يشد به الوسط. الرازي، مختار الصحاح، ص٦٦٠.. وابن حجر العسقلاني شهاب الدين ابي الفضل (ت٨٥٢هـ - ١٤٤٨م)، فتح الباري بشرح البخاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ١٣٧٨م، ١٩٥٩م، ج٧، ص٢٠٨. ومعجم دوزى الالبسة عندالعرب، ص٤٢٠.

(٣) نصر، ثريا سيد، وآخرون، تاريخ الأزياء، بدون طبعة، عالم الكتب ، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٣٤.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١- ٦٧٠، ص١١٩. والعبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، ص٣٠٥.

(٥) السند: بلاد بين الهند وكرمان وسجستان. ياقوت ، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٧.

(٦) ابن منظور ، لسان العرب، ج٧، ص٣٧٢، مادة فوط

ورغم أنه يظهر من تعريف الكلمة ان صناعة الفوط تكون من الصوف ولكنه قد تصنع من حرير. والفوط في العصر الأيوبي قد يلبسها الرجل والمرأة،[١] ولكن بالطبع كل له طابعه الخاص، فالحرير بالتأكيد للمرأة وليس للرجل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير للرجال[٢] .

النطاق:

وكانت المرأة كما هو الرجل تشد على وسطها ما يسمى بالنطاق[٣] . وهو عند نساء الملوك والسلاطين يكون احياناً من الذهب وأحياناً من الفضة. فقد كانت تركة ست الشام هي وبنتها سفرى خاتون وابنها شيركوه من والدهم ناصرالدين ابن شيركوه تركه عظيمة معظمها مناطق ذهب وفضة إضافة إلى جواهر وأموال عظيمة. [٤]

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص٧٤١.

(٢) القشيري، صحيح مسلم، ج٤، ص٣١، باب تحريم الذهب والحرير على الرجل واباحته للنساء.

(٣) النطاق: ما ينتطق به تلبسه المرأة وتشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض والأسفل ينجر على الأرض وتقوم المرأة بذلك عند العمل حتى لا تعثر بذيل ثوبها. والظاهر ان هذا في حالة الناس البسطاء ولكن المرأة التي تتمنطق بالذهب والفضة تلبسة الظاهر مباهاه وتفاخراً وليس لرفع ثوبها للعمل، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٣، ص٢٩٥. وابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٥٥، ودوزى، معجم الالبسة عند العرب، ص٤٢.

(٤) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٨.

لباس القدم

وكان من أشهر ما تلبسه المرأة في قدمها الخف[1] وهو حذاء مصنوع من الجلد مغلق من الأعلى وبهذا يفارق النعل.

والنعل مصنوع أيضاً من الجلد وعليه سيور من أعلى، أي أنه مفتوح[2]

وكان الخف من البسة القدم في الفترة الأيوبية. للمرأة والرجل، ولكن مع الفارق بالتأكيد، لأن هناك إشارة عند ابن منقذ عن رجل ما أراد أن يتنكر بزي أمرأة لحاجة بنفسه، فلبس ازاراً وخفاً[3] وبما أن الخف والإزار من لبس الرجل أيضا، اذن لا بد أن يكون هناك فرق وإلا لما تنكر بهذه الأشياء.

الحلي:

حرصت المرأة في العصر الأيوبي على أمتلاك الحلي ومواد الزينة شأنها في ذلك شأن المرأة في أي مكان، وفي كل زمان .

وقد أمتلكت المرأة الأيوبية الجواهر النفيسة، والمصوغات الذهبية، وكان ذلك في الطبقة الحاكمة أو من لها علاقة بتلك الطبقة، أما طبقة العامة والطبقات الفقيرة فقد أمتلكت الحلي ولكنها كانت على مستوى تلك الطبقات أي الأشياء الرخيصة والبسيطة في آن واحد.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٨١، مادة خف. معجم الألبسة عند العرب، ص١٥٥. والعبيدي، الملابس العربية، ص٣١٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٦٦٧، مادة نعل. ودوزي ــ معجم الألبسة عند العرب، ص٤٢٢.

(٣) ابن منقذ، الاعتبار، ص٢١٦ والشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٧٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٧. والعبيدى، الملابس العربية، ص٣١٩.

ورغم ان المصادر في تلك الفترة ضنت علينا بالمعلومات ولكنها ذكرت بعض الإشارات وبعض ابيات الشعر التي تبين استخدام المرأة للحلي ولمواد الزينة التي تحرص عليها المرأة دائماً كما أسلفت، ومنها:

العقد:

وهو الخيط ينظم فيه الخرز[1] ، وجمعه عقود. قال عدي بن الرقاع:

وما حسينة اذا قامت تودعنا للبيت واعتقدت شذرا[2] ومرجانا[3][4]

ولعرقلة الكلبي[5] (ت ٥٦٧هـ - ١١٧١م).

قمرٌ كلما تبسم قابلتُ عقيقاً حوى من الدُرّ عِقدا[6]

وقد لبست المرأة الأيوبية العقد المجوهر. فقد قدم الملك الظاهر لزوجته الملكة ضيفة خاتون هدية الزواج خمسة عقود جوهر، قيمتها مائة وخمسون الف درهم[7] . وبالطبع المرأة الفقيرة لم يكن هذا هو حال عقودها، بل كانت بالتأكيد أقل قيمة من ذلك.

---

(١) الخرز: فصوص من حجارة. وقيل الخرز فصوص من جيد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه. والخرز الذي ينظم. الرازي، مختار الصحاح، ص١٧٢، مادة خرز، وابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٤٤. مادة خرز.

(٢) شذراً: من الذهب بوزن البحر ما يلقط من الذهب من المعدن من غير إذابة الحجارة. ايضاً الشذر صغار اللؤلؤ، الرازي، مختار الصحاح، ص٣٣٣، مادة شذر.

(٣) المرجان: صغار اللؤلؤ. المصدر نفسه، ص٦٢٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٤٤

(٥) عرقلة الكلبي: أبو الندى حسان بن نمير متوفي سنة ٥٦٧. الأصفهاني، خريدة القصر،ج١، شعراء الشام، ص ١٨٧

(٦) المصدر نفسه، شعراء الشام، ص١٨٧

(٧) ابن الفرات، تاريخ، مج٥، ج١، ص١٢٧. والمقريزي، السلوك ، ق١، ج١، ص١٧٦، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

القلادة:

وهي ما جعل في العنق، قد تكون من العنبر[1] المذهب، أو من العنبر من غير ذهب وقد قدم الملك الظاهر صاحب حلب لعروسه ضيفة خاتون ليلة زفافها عشر قلائد من العنبر المذهب وخمساً غير مذهب[2] والظاهر من التعريفات لمادة العنبر انه يكون أحياناً مادة صلبة إذا كسر أو طحن يعطي رائحة طيبة[3]

وقد ذكر الشيزري مواد اخرى تخلط مع العنبر مثل المسك والشمع. وقد يعمل من العنبر أشكال تمثال، أو ينظم قلائد، أو غير ذلك[4]

وقد استعملت الأحجار الكريمة وأنواع متعددة من الخرز في الفترة الأيوبية في نظم العقود،[5] منها الزمرد[6]أو الزبرجد، والياقوت وهناك نوع من الحجارة الكريمة اسمه البلخش[7]. وجد منه قطع في قصر العاضد عند تولي صلاح الدين عليه[8]

---

(١) العنبر: من الطيب معروف. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٥٦. مادة عنبر. والفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١٠٠، وابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٦١٠. مادة عنبر.

(٢) ابن الفرات، تاريخ ، مج٥، ج١، ص١٢٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٦١٠، مادة عنبر.

(٤) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٥٠-٥١

(٥) ابن منقذ، الاعتبار، ص١٩.

(٦) الزمرد: وهذا المعدن يوجد في مصر وقد ذكره القلقشندي عندما ذكر خواص مصر وعجائبها حيث قال: أما خواصها فمن اعظمها خطراً معدن الزمرد الذي لا نظير له في سائر الأقطار. القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ص٣١٠. والعلي، زكية عمر، التزيق والحلى عند المرأة في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام العراق، (ت ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦)، ص١٠٩.

(٧) البلخش: ويسمى اللعل: وهو نوع من المعادن يقال : انعقاده في الأصل ليكون ياقوتاً الا انه ابعده عن الياقوته علل من اليبس والرطوبة وغيرها. ومنه الأخضر والأحمر. وهو نادر الوجود، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٠٣-١٠٤.

(٨) ابو شامة، الروضتين ، ج٢، ص١٣٧.

ويجب ان نراعي ان هناك فرقاً بين العقد والقلادة. فالعقد من الخرز أوالحجارة الكريمة أو حتى الخرز العادي. بينما القلادة تختلف بحيث يكون فيها صياغة.

العصابة:

وقد تزينت المرأة بالعصابة المرصعة بالجوهر ولبستها كلحي، أي انها علاوة على أنها غطاء للرأس ولكنها رصعتها بالحجارة وزركشتها بأجمل الألوان[١] .

السوار:

وهو حلية تلبسه المرأة في زندها[٢] وحرصت المرأة في العصر الأيوبي على لبس الأساور سواء أكانت المرأة حرة أم جارية. وقد ذكر الشاعر فتيان الشاغوري الإسواره عندما كان يصف جارية اسمها شمس النهار:

وساقيةٍ كغُصنِ البانِ قدّاً سبتنا باحورارٍ واحمرارِ

وقد غصَّ السّوارُ فعض زنداً لها، مَنْ لي بِتقبيلِ السّوارِ[٣]

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٢٧.

(٢) البستاني، محيط المحيط، ص٤٣٩.

(٣) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص١٦٣.

الدملج:

حلي يلبس في العضد،[1] ويقال له المعضد، أو الصواب في المعصم.[2] وكان من حلى النساء في الفترة الأيوبية، وأقبلت النساء عليه لدرجة ان بعض الكتاب مثل تاج الدين ابن الجراح (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م)[3] كتب به لغزاً[4] وكانت الدماليج تزين كلا العضدين وتكون عادة غليظة وترصع احيانا بالجواهر[5].

الخاتم:

حلي للإصبع يتخذ من الذهب أو الفضة أو غيرهما، وقد يحفر على احد أطراف الخاتم اسم اللابس أو اسم شخص آخر[6]. واهتمت المرأة وحرصت على أن يكون الخاتم من ضمن أدوات الحلي والزينة لديها. ولبس الخاتم كل من المرأة والرجل مع وجود فارق في نوعية المادة المصنع منها هذا الخاتم، لأن الذهب من المواد المحرمة في زينة الرجل[7]. وهذا بالطبع لا ينفي

---

(١) العضد: الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف. ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٩٢، مادة عضد

(٢)البستاني، محيط المحيط، ص٢٩٣.

(٣) تاج الدين ابن الجراح، هو أبو الحسين يحيى بن أبي علي منصور بن الجراح بن الحسين بن محمد داود بن المصرى، كتب في ديوان الإنشاء بالديار المصرية، مدة طويلة وكتب الكثير، وكان خطه في غاية الجودة (ت٦١٦هـ- ١٢١٩م).. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٧١.

(٤)المصدر نفسه، ج٥، ص٧١

(٥) العلي، التزيق والحلي، ص١٩٤.

(٦) البستاني، محيط المحيط، ص٢١٧.

(٧) القشيري، صحيح مسلم، ج٤، ص٦٥. باب تحريم خاتم الذهب على الرجال.

ينفي ان هناك من الرجال من خالف الأوأمر الشرعية ولبس الذهب. وقد يركب فص[1] للخاتم من الجواهر الثمينة لاستخدأم نساء الطبقة الغنية عامة[2] وهذا يزيد من جمال الخاتم.

قال فتيان الشاغوري في مدح الفقيه شهاب الدين أبي المجاهد اسماعيل الطوسي، وهو من فقهاء العصر الأيوبي:

وَلَهُ فضولٌ مِن مَواعِظَ جَمَّةٍ كخَواتِمٍ زِيَنتْ بِخَيْرِ فُصوصِ[3]

وله أيضاً من قصيدة يهجو بها أهل الشاغور:

ولو أنَّا نُصافِحُ خَيِّريهِمْ لَسَلُّوا من خَواتمِنا الفُصُوصا[4]

وهذان البيتان يبينان أن الخاتم قد يزين ببعض الأحجار الكريمة. ولكنه قد يكون من المعادن الخالصة، وقد يسمى الحلق وهو الخاتم الذي يصنع من الفضة بدون فص[5].

القرط:

والقرط الذي يعلق في شحمة الأذن.[6] قال فتيان الشاغوري من قصيدة يمدح الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك الطاهر:

---

(١) فص الخاتم: ما يركب فيه من المعادن كالياقوت ونحوه. والمولدون يسمونه قلب الخاتم البستاني، محيط المحيط، ص٦٩٢، مادة فص.

(٢) نصر، تاريخ الأزياء، ص١٣٥.

(٣) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٢٤٩

(٤)المصدر نفسه، ص٢٥٤.

(٥)البستاني، محيط المحيط، ص١٨٨

(٦)الرازي، مختار الصحاح، ص٥٣٠.

هي البدرُ تجلو شمسَ راحٍ بكأسِها وفي أُذنها نجْم الثريا لها قرطُ[1]

وقال في جارية اسمها مهرو:

طَويلَةُ مُهْوى الْقُرْطِ خُمصانَةُ الحشا أسيلَةُ مجْرى الدَّمعِ يَحْسُدُها الْبَدرُ[2]

وفي البيت السابق يقصد بطويلة مهوى القرط أي كناية عن طول العنق، فهنا يصف الجارية بأوصاف النعومة، وأنها نحيلة الخصر، وطويلة العنق، وهذه كلها من علامات جمال المرأة. وقال سعادة بن عبدالله الأعمى[3]

فكأنهن عرائسُ مَجْلوّةٌ وكأنها الأقراط في آذانها[4]

وقد يسمى القرط الحلق، والحلقة.[5] وهناك من اشتهر بهذا الاسم أي ابو حليقة لأنه كان يعلق في اذنه حلقه[6].

وقد يسمى القرط خرصاً. ويكون الخرص بحبة واحدة عادة[7].

---

(١)فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٢٥٦

(٢) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٢٠٧.

(٣) سعادة بن عبد الله ويكتب على قصائده سعيد بن عبد الله، وكان مملوكا لبعض الدمشقيين قال هذا البيت من ضمن قصيدة انشدها أمام الملك الناصر صلاح الدين سنة (٥٧٢هـ- ١١٧٦م). الاصفهاني خريدة القصر، شعراء دمشق، ص٤٠٧

(٤) المصدر نفسه، شعراء دمشق، ص٤٠٧.

(٥) الوهراني، منامات الوهراني، ص١٩٥.

(٦) ابو حليقة، هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن أبي فانه كان أوحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية متقننا في العلوم والآداب.ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء، ص٥٤٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٣٢٢. والمقريزي، الخطط،ج٣، ص٤٥٣.

(٧) ابن منظور ، لسان العرب، ج٧، ص٢٢، مادة خرص، والعلي، التزيين والحلى، ص١٣٧،

قال الشاعر فتيان الشاغوري يمدح الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي، ويذكر همته في عمارة الجامع وباب البريد والفوارة:

إلى الأُفقِ الأعلى تَعالَتْ مُنيفَة فَنَحنُ نَرَى الْجوزاءَ في أُذنِها خُرصا[1]

الخلخال:

وهو من حلي المرأة الذي تحلي به ساقها، شكله كالإسورة[2].

قال عمارة اليمني (ت ٥٦٩هـ - ١١٧٣م):

إن قلت قد خرِستْ خلالُ ساقِها فاسمع لما يوحيه نطقُ نطاقِها[3]

وقال فتيان الشاغوري:

طِفْلَةٌ جالَ وِشاحاها على خَصرِها النَاحِلِ والخَلْخَالُ غَصْ[4]

وقال بعض الشعراء:

تَتَرَدَّدُ الأبصارُ فيها حيرةً في الحُسْنِ بين الخالِ والخلخال[5]

وقد اهتمت المرأة بشكل عام بالحلي والمجوهرات اهتماما كبيرا، وأمتلكت بعضهن منها الشيء الكثير. فقد كانت ضيفة خاتون صاحبة حلب ممن عرف عنها كثرة المجوهرات

---

(١) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٢٤٦.

(٢) البيروني، ابو الريحان، محمد بن أحمد (ت٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٣٧. ولبستاني، محيط المحيط، ص٢٤٧.

(٣) عمارة اليمنى، نجم الدين أبي الدين أبي محمد بن ابي الحسن الحكمي (ت ٥٦٩هـ - ١١٧٣م)، النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية. تصحيح هرتويغ د، فرغ. طبعة الأوفست مكتبة المثنى، بغداد. ص٣٠١.

(٤) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري. ص٢٥٢.

(٥) الاصفهاني، خريده القصر، شعراء مصر، ص٨٢

والمصوغات،[١] وكذلك ابنة الأشرف، فقد أوصى لها والدها بجيمع الجواهر التي كانت لديه[٢] وشجر الدر كان لديها مجوهرات كثيرة لدرجة انها عندما عرفت انها مقتوله سحقت جزءاً منها في الهاون لئلا ينتفع بها المنصور بن المعز ايبك[٣]. وهناك بعض نساء العامة كانت تمتلك قيمة كبيرة من المجوهرات تقدر بخمسة الآف[٤]. ولكن لم تحدد المصادر هل هي خمسة الآف درهم أم دينار، المهم أن القيمة كبيرة بالنسبة إلى نساء العامة إلا إذا كانت من طبقة التجار الأغنياء.

المكاحل والمرايا والأمشاط والعطور:

المكحلة:[٥]

اهتمت المرأة في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي بكل ما يجعلها تظهر جميلة، وحرصت على اقتناء كل أدوات الزينة المتاحة في تلك الفترة من المكاحل والمرايا والأمشاط والعطور.

وكان أولى اهتمامات المرأة بجمالها هو جمال العين، لأن العين هي أكثر جزء في الوجه يمكن أن يظهر أثناء سير المرأة في الخارج أو حتى في جلوسها في بعض المناسبات والاجتماعات وفي الأسواق . لأن طبيعة غطاء الوجه قد يظهر منه أحيانا العيون لتستطيع المرأة

---

(١)ابن الفرات، تاريخ ، ص١٢٧١، المقريزي، السلوك،ج١، ق١، ص١٧٦.

(٢) النوريرى ، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٣

(٣)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٩٩. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٧.

(٤)الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٣١.

(٥) الكحل: ما وضع بالعين يستشفى به والمكحال والمكحل الآلة التي يكتحل بها والمكحلة: الوعاء. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٥٨٤.

السير. لذلك ركزت المرأة على استخدام ما يظهر العين جميلة وهو الكحل، وما يوضع به وهو المكحلة.

وكان يكتحل بحجر الإثمد[1] · تكتحل به النساء كثيراً، وقد يكتحل به الرجال. قال العماد الكاتب الأصفهاني صاحب كتاب خريدة القصر يمدح القاضي الفاضل:

وتكحّلَتْ ليلاً بإثمِدِهِ عينٌ لهُ مَرِهَتْ[2] من السّهدِ[3]

وهناك ذكر أيضا للوعاء الذي يحفظ الكحل وهو المكحلة فمن قصيدة قالها فتيان الشاغوري يصف حبه لنهر الزبداني ووادي بردى:

ألا إنَّ في الوادي ظِباءٌ جُفونُها بها كَحَلٌ أزرى بما في المَكاحِلِ[4]

النقش:

وقد تزينت المرأة بشيء آخر في الوجه واليدين قد يستعمل فيه الكحل أو نوع آخر من الصبغات، وهو النقش. والنقش يأخذ معنيين:

أحدهما: نقش الشيء لونه بلونين أو أكثر أو نمنمه[5] أي وضع فيه لوناً أو أكثر. وإذا كان ذلك فهنا يكون تغيرفي لون الجلد.

---

(١) الاثمد: حجر يتخذ منه الكحل أو قيل ضرب من الكحل، وقيل هو نفس الكحل، وقيل شبيه به. ابن منظـور، لسان العرب، ج١١، ص٥٨٤.

(٢) مرهت العين: أي خلت من الكحل. البستاني محيط المحيط، ص٨٤٨.

(٣) الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٤٠.

(٤) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٣٧٤.

(٥) الرازي، مختار الصحاح، ص٦٧٦. وابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٥٧. والبستاني، محيط المحيط، ص٩١٢.

وهذا قد يشبه إلى حد ما الوشم[١] أو هو الوشم. وقد يكون النقش بالحناء وما يسمى بالخضبات[٢] وهذا تغيير في اللون لفترة ليست دائمه كالوشم وإنما لفترة مؤقتة، المهم ان المرأة استخدمت النقش وكانت هناك من النساء من تمتهن هذه المهنة وتكسب قوت يومها. فقد عملت بنت شاه أرمن عندما جار عليها الزمان في نقش النساء[٣]. وكانت المرأة ترسم الصور على وجهها وهذا بالطبع يكون بطرق النقش والوشم أو الحناء.

فقد صور على وجه جارية صورة حية. وقد أنشد فيها بعض الشعراء أمثال أبي طاهر الحميرى (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)،[٤] والأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م)[٥]

قال ابو طاهر الحميري:

تبدّت لنا من جانب السجف غادةٌ لها الشمسُ وجه والكواكب خالُ

---

(١) الوشم: وهو غرز الابرة أو المسلة في المناطق المراد وشمها وتغير لونها، وعندما تتأثر المنطقة من غرز الابرة، تصبغ تلك المنطقة بمادة ملونة مثل الكحل أو النيل أو مايسمى بالنؤور- وهو دخان السحم. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٣٨. مادة شم.

(٢) الخضاب، ما يخضب به من حناء وكتم ونحوه. وخضب الشيء غير لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٥٧، مادة خضب.

(٣) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٢٥. تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٢٦٩. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٧٥.

(٤) ابو طاهر الحميري، اسماعيل بن علي بن يوسف ابو الطاهر من المغرب، سكن مصر وقرأ بها الأدب. وكان فاضلا حسن الاخلاق، (٦٣٥هـ- ١٢٥٥م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٧٠، ١٧١.

(٥) الأسعد بن مماتي: أبو المكارم ابن الخطير أبي سعيد مهذب بن هشنا بن زكريا ابن ابي مليح- الكاتب الشاعر، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية. كان أحد رؤساء الأعيان، وأصله من نصارى أسيوط، له مصنفات عديدة (ت ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٩

فقلت وقد لاحَ الهلالُ بوجهها: متى طلعتْ شمسُ الضحى وهلال؟[1]

الهلال الأول من أسماء الحية، والثاني أحد النيرين.

وقال الأسعد بن مماتى في تلك الجارية أو لعله في جارية أخرى رسمت على وجهها صورة حية. قال:

نقشتْ حيَّةً على روضِ خدٍّ مزخْرفٍ

فبدت آية الكليم على وجه يوسف[2]

أما المعنى الآخر للنقش فهو النقش بالمنقاش وهو الملقط،[3] وهو أن تخرج المرأة الشعر الزائد من وجهها وجسمها أو تزيله بواسطة المنقاش. وهذا قد يستعمل أكثر شيء للوجه والحواجب وهو ما يسمى بالنسبة للوجه بالحف[4] وللحواجب بالنمص[5]. وكانت المرأة تغير لون أظافرها وأناملها وشعرها بالخضاب والحناء قال الشاعر:

تَنْضُو السّحائبَ عَنْ بدرٍ وأنْجمِه وتمسَحُ الطَّلَّ عَنْ وَرْدٍ بِعُنّابِ[6]

المرآة:

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٧٠-١٧١.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٧١.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، ص٦٧٦. وابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٥٨.

(٤) الحف والحفاف: المرأة تحف وجهها. تزيل عنه الشعر بالموسى وتقشرة، واحتفت. المرأة وأحفت: تأمر من يحف شعر وجهها نتفا بخيطين.. ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٥٠. مادة حفف.

(٥) النمص: نتف الشعر من الوجه. والنامصة هي التي تزين النساء بالنمص.

(٦) الأصفهاني، خريدة القصر،ج١، شعراء بلاد الشام، ص٥٧٥.

وحتى تكتمل زينة المرأة وتضبط كان لابد لها من مرآة، لذلك اقتنت المرأة المرآة وحرصت على وجودها لديها، وقد ذكرت المرآة في اشعار الأدباء لأن المرآة ليست حكراً على المراة بل هي ضرورة للرجل والمرأة معاً، وقد ذكر فتيان الشاغوري المرآة أكثر من مرة في شعره فقال:

قد كانَتِ المِرآةُ فيما مَضى تُهدي إلى عيني الشبابَ الحَسَنْ

والآنَ قدَ صرتُ أراها وقدْ كَحّلتِ الطَّرْفَ بشَيْخٍ يَفَنْ

قُلْتُ لها أينَ الذي كانَ مِنْ قبلُ فقالت لي مَحاهُ الزَّمَنْ[1]

وقال ايضاً:

أتوْثِرُ أنْ تَنَزَّهَ في رياضٍ تَفوقُ بِحُسْنِها جَناتِ عَدْنِ

خُذِ المِرآةَ تَنْظُرْ مِنكَ وجهاً حَباكَ اللهُ فيه بِكُلِّ حُسْنِ[2]

وكانت المرايا تصنع من مادة الحديد في الغالب عند طبقة العامة، ولكن بالطبع عند الطبقات الغنية يختلف الحال، فقد تصنع من الخشب أو الصلب أو الخزف المطعم بالذهب والفضة وترصع الأطر بالحجار الكريمة[3] وقد تزخرف المرآة من الجهة الخلفية للجهة المصقولة

---

(١) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٥٥٠.

(٢) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٥٥٠.

(٣) احمد، نريمان عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

برسومات وزخارف نباتية، وأحيانا قد يكتب على الجهة المصقولة بعض العبارات القرآنية أو أي كتابات اخرى[1] .

الأمشاط

لم تذكر مصادر الفترة الأيوبية شيئاً عن الأمشاط، وكيف هي، ومم تصنع. ولكن المقريزي يذكر أن هناك سوقاً انشئ بعد الفاطميين حيث كان في العهد الفاطمي يسمى سوق الصيارف وسمي بعد ذلك سوق باب زهوة كان من ضمن هذا السوق حوانيت متخصصة لبيع الأمشاط وسميت بسوق الأمشاطيين[2] وهذا يدل على اهتمام الناس رجالاً ونساء بشراء واقتناء الأمشاط[3] وكذلك كانت من تقوم بتزيين النساء وتسريحهن تسمى الماشطة.[4] وقد وُجدت أمشاط كثيرة في متحف الفن الإسلامي في القاهرة، وكانت الأمشاط تصنع من الخشب أو السن أو القرن أوالأبنوس[5] ولكن الخشب هو الأكثر شيوعاً نظرا لرخصه، أما الأمشاط التي تصنع من المواد الأخرى فهي بالطبع تلائم الطبقة الغنية في المجتمع[6] وللأمشاط ألوان قد يكون ابيض وقد يكون أسود[7]. أما أشكال الأمشاط فهي قد تكون مستطيلة أو تميل إلى المربع وتشبه ما يسمى في الوقت

---

(١) عبد الرزاق احمد، المرأة في مصر المملوكية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م. ص١٦٢-١٦٣.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٧٧

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٨٤.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٦١-٦٧٠، ص١١. والمقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٢١.

(٥) احمد عبد الرازق، المرأة في مصر المملوكية، ص١٥٨.

(٦) المرجع نفسه، ص١٥٩.

(٧) الاصفهاني، خريده القصر،ج١، شعراء بلاد الشام، ص٥٦٨.

الحالي في مصر أو حتى في بلاد الشام في القرى والمناطق الشعبية بالفلاية،[1] أو الكف لدينا في بلاد الشام. ويكون المشط له جهه للأسنان الناعمة الرفيعة وجهة للاسنان السميكة والقوية. ويزين المشط في وسطه ببعض الرسومات والكتابات والتي قد تكون أحياناً كتابات تجلب الفأل، أو ألقاباً، مثل الستر العالي، والحجاب المنيع، بالنسبة لنساء الطبقة الحاكمة[2].

وكان اهتمام المرأة بالمشط بقدر اهتمامها بجمالها وبظهورها بأجمل صورة، لذلك حرصت على ان تصفف وتسرح شعرها بعدة اشكال منها ما يسمى:

بالشكل: وهو ان تقوم المرأة بضفر خصلتين من مقدم رأسها عن يمين وعن شمال، ثم تشدّ بهما سائر ذوائبها[3]. ومنها ما يسمى الضفائر: وهي الجدائل. أو العقائص[4].

وقال فتيان الشاغوري:

مُتهادياتِ الْخَطْوِ يَكْسُونَ الْبَرا طِيْبَاً بِسَحْبِ مَعاجِرٍ وضَفائِرِ[5]

العطور:

وكان اهتمام المرأة برائحتها وبطيبها لا يقل عن اهتمامها بكل وسائل الزينة والحلي المتاحة. وقد وجدت أنواع من الروائح والعطور مثل الزعفران والمسك والعنبر والكافور والعود

---

(١) المصدر نفسه، شعراء بلاد الشام، ص١٥٩. واحمد عبد الرازق، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص١٦٩.

(٢) احمد عبد الرزاق، المرأة في مصر المملوكية. ص١٦٠-١٦١. واحمد عبد الرازق، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص١٦٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٥٩.

(٤) العقاص: هو الخيط الذي يعقص به أطراف الذوائب. لذلك سميت الجدائل بالعقائص. ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٥٦. مادة عقص.

(٥)فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص٢٠٨.

الهندي مما يتطيب بروائحها[1] وكانت هناك حوانيت خاصة لبيع العطور والروائح التي تستخرج من الأزهار[2]، لكثرة تلك الأزهار الموجودة في بلاد الشام ومصر. فقد وجد الورد والنرجس والنسرين والبنفسج وغيرها من الأزهار والورود التي تستخرج منها العطور.[3] وللعطور أوان خاصة بها قنينات من بلور وزجاج مزخرف[4]

قال فتيان الشاغوري:

يفغَمُ المسك من ثناياه والعنبرُ وهناً فمن تُرى عَطّارُه[5][6]

وقال أيضاً:

فَشَمَمْنا وقدْ تأرَّجَ منهُ نَشْرُ مِسْكٍ باتتْ تُذَبَّحُ فارُه[7]

الحمامات:

انتشرت الحمامات في الدولة الإسلامية بشكل كبير، وكان الاهتمام بها بقدر الاهتمام بنظافة الجسم وطهارته[8]. وكان انتشارها في مصر وبلاد الشام بشكل واضح وقد اهتمت بها

---

(١) عمارة اليمني، النكت العصرية ، ص١٩٣. والشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٥٠-٥٤. والنويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥.

(٢)الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص٨٤

(٣)الحجاري، النجوم الزاهرة في حضرة القاهرة، ص٣١

(٤) أحمد عبد الرازق، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص١٦٨

(٥) فارة المسك: وهما نافجة المسك. والتي تهز لاستخرج المسك منها. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٢، ص١١٠. والبستاني، محيط المحيط، ص٦٧٤. مادة فأر.

(٦) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص١٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ص١٦٧.

(٨) يقال أن أول من بنى الحمامات بالقاهرة هو العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ثاني خلفاء الدولة الفاطمية، (ت ٣٨٦هـ- ٩٩٦م)،المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٤٦.

الدولة وراقبتها عن طريق المحتسب، ووضعت لها قوانين وضوابط لما للحمامات من أهمية كبيرة على النواحي الشرعية والصحية في آن واحد[1].

وقد اهتمت المرأة اهتماماً بالغاً بالحمامات وحرصت على ارتيادها لما لها من دور كبير في تجميل المرأة حيث كانت الحمامات بمثابة دور التجميل والصالونات في وقتنا الحالي، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كانت فرصة سانحة للمرأة لإظهار جمالها وإبراز حليها وزينتها التي حرصت على اظهارها دائماً.

وكانت الحمامات قد تكون مشتركة بين الرجال والنساء كل له فترة محددة، أو ان يكون الحمام خاصاً بالنساء دون الرجال. وقد ذكرت المصادر العديد منها. وسوف أذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

ففي مصر كان حمام مقابل حمام الفاضل كان مخصصاً لدخول النساء[2]. وفي دمشق كان حمام يعرف بست الشام، وحمام عاتكة، وحمام العرايس[3]. وفي حلب هناك حمام العرائس[4] ايضا، وحمام خاص بحريم الملوك[5].

وهنا يجب ملاحظة ان هناك حمامات خاصة بالعرائس قد تكون هذه خاصة فقط لتزيين العرائس، أو قد يكون الاسم هذا كنوع من الدعاية لجذب النساء بشكل عام إليه. ففي سنة (٦٢٩هـ - ١٢٣١م) جاءت أمطار غزيرة في حلب ودخلت إلى حمام العرائس هذا فمات أعداد

---

(١) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص٨٦.

(٢) المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٩٩.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ق١، ص١٣٠.

(٥) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٥٤٦.

كبيرة من النساء والصبيان[١] وهذا يدل على أن المرأة تصطحب معها أطفالها عندما تذهب إلى الحمأم لأنها قد تقضي به فترة طويلة.

وكذلك هناك حمأمات خاصة بنساء القصور فلا يختلطن أو يستخدمن الحمامات التي تستخدمها نساء العامة[٢]. ومثلما كان لحمأم الرجال المزين أو ما يسمى بالبلان، فهناك ما تسمى بالبلانة للمرأة وهي لإزالة شعر جسم المرأة والعناية بها وتجميلها وقد وضعت لها قواعد وشروط يجب أن تتوفر بتلك المرأة[٣].

وكان الحمأم بشكل عام عبارة عن بناء تتوسط واجهته بوابة ضيقة فيها زخارف تدل على أن هذا حمأم، وقد يكون له بوابتان إذا كان الحمأم مشتركاً للرجال والنساء ليدخل كل منهما من بوابته الخاصة[٤].

وفي داخل الحمأم تكون مشرفة لتحافظ على ملابس ونقود الزبائن،ويشتمل المبنى على قاعة كبيرة يأخذ الزبون فيها قسطاً من الراحة من قبل الحمأم وبعده. ثم هناك قاعة صغيرة لنزع النساء ملابسهن فيها ولبس الازار لستر العورة. ثم تذهب المستحمة إلى غرفة الحمأم المسماة بيت حرارة. وفي تلك الغرفة تقوم البلانة بتدليك جسم المرأة بقشور الرمان وغيره ثم غسله بالماء الساخن في المغطس ثم تقوم بتنشيف الجسد بالمناشف بعدها تقوم البلانة بنزع الشعر بواسطة النورة[٥].

---

(١)الحلبي، المصدر نفسه، ج١، ص١٤٨.

(٢) الحلبي، كنوز الذهب، ح١، ص١٤٨.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص٨٨.

(٤) أحمد عبد الرزاق، المرأة في مصر المملوكية، ص١٤٦.

(٥) النورة: من الحجر الذي يحرق ويسوّى منه الكلس ويحلق به شعر العانه. ابن منظور، لسان العـرب، ح٥، ص٢٤٤.

وبعد ان تنتهي المرأة من ذلك تعود إلى القاعة الأولى. فقد تجد أو قد تحتاج إلى ماشطة لتتم زينة المرأة هناك[1]. ونلاحظ أنه قد تشترك أكثر من أمرأة في تجميل المرأة من بلانة وماشطة، وهذا يدل على ان الحمامات كما اسلفت قد تكون مثل الصالونات أو دور التجميل بوقتنا الحالي.

(١) أحمد عبد الرزاق، المرأة في مصر المملوكية، ص١٤٧.

الفصل الثاني

الوضـــــع العلمـــــي للمـــــرأة في العصر الأيوبي

وفيه مبحثنان

المبحث الأول: أنواع العلوم

المبحث الثاني: وسائل تعلم المرأة

ازدهرت الحياة العلمية في مصر وبلاد الشام في العصر الأيوبي لعوامل عدة، يخرجنـا الخوض فيها عن موضوع الدراسة. وقد تم إنشاء الكثير من المؤسسات التعليمية في أرجـاء الدولة، وساهمت المراة ببناء عدد كبير من المدارس والمساجد والخانقاوات التي كان لها دور تعليمي واجتماعي في نفس الوقت، ووقفت عليها أوقافاً كثيرة. وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثالث من هذه الدراسة عند الحديث عن المنشآت وسنركز هنا علـى أنـواع العلوم التي برزت بها المرأة، وعلى وسائل تعلمها.

المبحث الأول

أنواع العلوم

*العلوم الدينية:

- القرآن وحفظه
- الحديث
- الفقه
- التصدق
- الوعظ

* العلوم الأدبية والاجتماعية

- الكتابة
- الشعر
- النحو
- التاريخ

* الألقاب العلمية:

- الشيخة
- العالمة
- المسندة

*العلوم الدينية:

برزت المرأة في العصر الأيوبي في جميع مجالات العلوم الدينية وأجادت في هذا المجال، فقد قرأت وحفظت القرآن الكريم، وكانت محدثة، وفقهية. والجدير ذكره أن المرأة قد تحفظ القرآن، وتكون محدثة، وفقيهة، وشاعرة في الوقت نفسه. وسوف أذكر بعض هؤلاء النسوة اللواتي برزن في هذه المجالات:

القرآن وحفظه:

كانت أمته بنت الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة (ت ٦٣١هـ- ١٢٣٣م) مقرئة للقرآن، وكانت تحفظ القرآن وتعلمه للبنات بالدير، وهو دير المقادسه الحنابلة بجبل قاسيون. وكانت تلك المرأة صالحة عابدة. ويظهر أنها كانت مقيمة بالدير[1]. روت بالإجازة عن أبي الفتح بن البطي[2] (ت٥٦٤هـ - ١١٦٨م)(ت ٥٦٣هـ-١١٦٧م)وابن المقرب[3]. قرأت القرآن على والدها، الشيخ ابو عمر المقدس الزاهد محمد بن احمد بن محمد بن قدامة الحنبلي.(ت ٦٠٧هـ - ١٢١٠م)، حفظ القرآن والفقه الحديث. وكان اماما فاضلاً مقرئاً زاهدا عابداً. كان بعض جزء من دفنه الملئ بالنشاطات الدينية للتعليم[4]

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٥٦.

(٢) ابن البطي: هو محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، ابو الفتح،(ت ٥٦٤هـ - ١١٦٨هـ) شيخاً صالحا حسن الطريقة، محبا للحديث، صدوقاً أمينا، الصفدي الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٠٩.

(٣) ابن المقرب: هو أحمد بن المقرب بن الحسين بن الحسنى الكرخي، ابو بكر ابن أبي منصور الصوفي (ت ٥٦٣هـ - ١١٦٧م). كان صدوقاً حسن الاخلاق.الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص١٨٦.

(٤) الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٥. والنعيمي، الدارس، ج٢، ص٣٣٥.

دهن اللوز (ت ٦١٤هـ- ١٢١٧م) حافظة للقرآن الكريم وفقيهة، وكان لها خطب ومواعظ لعامة الناس، تشارك في الحياة العامة حتى انها اختيرت للكلام وإلقاء خطبة في عزاء السلطان الملك العادل[١] وقد وصلت إلى مستوى اقتصادي بارز حتى انها كانت صاحبة أموال وقفتها على تربة اختها بنت العصبة وهي من المشهورات أيضا"[٢]

ولشهرة العالمة فقد اشتهر ابنها قاضي الخليل محمد بن عبد القادر بن ناصر بن الخضر بن علي الانصاري الشافعي شهاب الدين وقد عرف بابن العالمة[٣]. ودهن اللوز هذه هي جدة زين الدين قاضي حلب، وكان زمن الذهبي.[٤] وهذا يدل على عراقة هذا البيت العلمي وان معظم أفراد هذ العائلة هم فقهاء وعلماء.

وأخت الضياء الشيخة أم أحمد أمنه وقيل آسيه ابنه الشيخ احمد بن محمد بن قدامة المقدسية (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) أيضاً كانت تحفظ القرآن الكريم، وكانت تقوم بتلقينه للنساء والجواري، فهي متعلمة ومعلمة[٥]. وقد منحت الإجازات لعلماء كثر من بينهم المنذري صاحب كتاب التكملة.[٦]

وفي ترجمة الصفدى لأسماء بنت عماد الدين محمد بن سالم بن الحافظ حصري وهي أم محمد التغلبية الدمشقية والمولودة سنة (٦٣٣هـ- ١٢٣٥م) يقول الصفدى: "سمعت خمسة أجزاء

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٨٦.

(٣) الصفدى، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص١٨٥.

(٥) المنذري، التكملة، مج٣، ج٤٨، ص٣٧١، والذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٤٣١. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٧.

(٦) المنذري، التكملة، مج٣، ج٤٨٧، ص٣٧١.

من مكي بن علان (ت ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م) [١] وتفردت وحدثت اكثر من خمسين سنة. وحجت مرات ولها. برومعروف وكانت تقرأ في المصحف وربما كتبت الإجازات. [٢] ' فهي عالمه بقراءات القرآن والحديث حتى أنها اجازت غيرها من العلماء.

وزوجة الضياء آسية بنت الشهاب محمد بن خلف بن راجح (ت ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م) أيضا كانت تحفظ القرآن الكريم وتعلمه [٣]. ولها رواية في الحديث روى عنها مجموعة من العلماء منهم الشمس بن الكمال، وأجازت لمجموعة من العلماء، [٤]. وكانت أختا الضياء أيضاً على مستوى من التعلم.

الحديث:

وقد برزت المرأة في مجال علم الحديث وروايته، وأثبتت في ذلك قدرة علمية أكثر من غيره من العلوم الدينية.

فقد برزت في هذا المجال الشيخة أم محمد رابعة (ت ٦٢٠هـ - ١٢٢٣م) ابنة الشيخ أبي العباس احمد بن محمد بن قدامة [٥]. المقدسي والمتوفاة سنة(ت٦٢٠هـ- ١٢٢٣م) [٦]. وقد بحثت رابعة وتعلمت وحصلت على الإجازات العلمية من عديد من العلماء الكبار. فقد أجاز لها

---

(١) مكي بن علان: سديد الدين أبو محمد مكى بن المسلم ابن مكي بن خلف القيسى الدمشقي. سمع من الحافظ ابن عسكر وأبي الفهم بن ابي العجائز. واجاز له ابو طاهر السلفى. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٨٦.

(٢) الصفدى، الوافي بالوافيات، ج٩، ص٥٨.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص١٤٣.

(٤) الذهبي، المصدر نفسة، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص١٤٣.

(٥) لقد اشتهرت أسرة ابن قدامة بالعلم وبينت كتب التراجم العديد من العلماء والعالمات من بني قدامة فهي اسرة عريقة بالعلم.

(٦) المنذري، التكملة، مج٣، ج٣٨، ص١٠٩، ١١٠.

ثابت ابن بندار وغيره العديد[1] وقد وصلت الشيخة إلى درجة متقدمة في علم الحديث بحيث أصبحت تمنح الإجازات لطلاب العلم أمثال المنذري، فقد بعث له الإجازة من دمشق[2]. وكانت رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة أيضاً راوية من راويات الحديث[3]

وكانت زينب أم محمد تروى الحديث روت بالإجازة من صالح بن الرحلة[4] وغيره. وزينب هذه اخت الضياء وأخت آسية بنت عبد الواحد التي كانت تحفظ القرآن وتعلمه. وزينب وآسية الأختان رآويتان للحديث. وقد شهد الضياء لأخته زينب وكتب عنها بأنها وفية خيرة ذات مروة وسعة خلق. وتوفيت سنة(٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)[5].

وقد أهتم الآباء وحرصوا على تعليم بناتهم الحديث، وأسمعوهن منهم ومن غيرهم من العلماء، ومنهم من بالغ باسماع بناته مثلما فعل والد الشيخة المسندة أم عبد الكريم فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري الأندلسي البلنسي (ت ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م). فقد أحضرها والدها في أصبهان ثم بغداد من مجموعة كبيرة تزيد على خمسة عشر عالماً وعالمة، وفي خراسان وغيرها[6].

---

(١) المنذري، التكمله، مج٣، ص١١٠.

(٢) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٨، ص١١٠.

(٣) المصدر نفسه، مج٣، ج٣٨، ص١٢٤.

(٤) ابن الرحلة: هو ابو محمد صالح بن المبارك المرخي المقرئ (ت٥٧٢هـ- ١١٧٦م). الذهبي، العبر، ج٤، ص٢١٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٣.

(٦) المنذرى، التكمله، ج١٦، مج ٢، ص١٥. والذهبي، سير اعلام النبلاء، ح٢١، ص٤١٢.

ويقول المنذرى: وبالغ والدها في إفادتها حتى اسمعها الخبر الواحد من الشيخ الواحد ثلاث مرات يعيده لها[1]. وحدثت بدمشق والقاهرة ومنحت اجازات لعلماء أمثال المنذري[2]. وتزوجت من أبي الحسن بن نجا (ت ٥٩٩هـ- ١٢٠٢م)[3]، وروت الحديث[4] ونشرت علماً كثيراً[5].

وقد قامت الباحثة بإحصاء لجزء واحد من تاريخ الإسلام للذهبي، والذي فيه وفيات سنة ٦٤١هـ -١٢٤٣م إلى ٦٥١هـ- ١٢٥٣م، فوجدت أن فاطمة بنت سعد الخير حصلت على أكثر من ثلاثين إجازة من علماء عصرها في بلدان مختلفة، ومنحت من الإجازات لغيرها نحو هذا العدد..

وفاطمة بنت سعد الخير (ت ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م)، تنقلت بين أصبهان وبغداد ودمشق ومصر. وتلقت علمها من شيوخ وعلماء تلك البلاد[6]. وقد اسمعها ابوها كما اسلفنا، ثم سمعت بعد أبيها من مجموعة من العلماء، وحدثت بدمشق ومصر حيث انها بعد زواجها من ابن نجا ارتحلت إلى دمشق ومصر وحدثت هناك[7].

---

(١) المنذري، التكمله، ح١٦، مج ٢، ص١٥.

(٢) المنذري، المصدر نفسه، ح١٦، مج ٢، ، ص١٥

(٣) هو زين الدين أبو الحسن علي بن ابراهيم بن نجا الدمشقي الواعظ المفسر المعروف بابن نجية، ولد بدمشق وعاش بمصر. كان يمتلك أموالاً كثيرة وجواري. الذهبي، سير اعلأم النبلاء، ج٢١، ص٤١٢. وانظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٠.

(٤) الذهبي، العبر، ج٤، ص٣١٤.

(٥) المنذري، التكمله ج١٦، مج ٢، ص١٥. والذهبي، العبر، ج٤، ص٣١٤.

(٦) الذهبي، سير اعلأم النبلاء، ج٢١، ص٤١٢. والذهبي، تذكرة الحفاظ، ح٤، ص١٣٦٩. والذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ- ١٣٧٤م)، المعين في طبقات المحدثين، تحقيق همأم عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م. ص١٨٤.

(٧) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٧.

وقد كان وضع ابن نجا الواعظ الاقتصادي ميسورا حيث كان تاجراً، لذلك عاشت عيشة العز والجاه[1]. وهذا باعتقادي دعم وضعها وجعلها تقوم بدورها العلمي بشكل أفضل ولمكانتها العالية في رواية الحديث استحقت أن توصف بالمسندة، وهذه رتبة علمية لا تستطيع الوصول إليها كل أمرأة. وكانت وفاتها سنةستمائة[2].

وأم الخير خديجة (ت ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م) بنت المحدث أبي الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن وردان المصرية رأوية للحديث أسمعها أبوها من جماعة أمثال عبد اللطيف بن ابي سعد الصوفي، وغيره وسمعت حضوراً من البوصيري (ت ٥٩٨هـ -١٢٠١م)[3]. وروى عنها جماعة. وتوفيت سنة(ت ٦٤٨هـ- ١٢٥٠م)[4].

ولها اخت ايضاً رأوية للحديث وهي عائشة أم الحسن المصرية[5]. وهناك رآوية أخرى على مستوى من العلم هي كنانة بنت مرتضى بن ابي الجود حاتم بن السلّم أم ابراهيم الحارثية المصرية. أيضاً أسمعها أبوها من مجموعة وأجاز لها مجموعة أخرى من العلماء. وروى عنها أيضاً مجموعة منهم الحافظ المنذري وغيره[6]

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٤١٢.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٦٩. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٧.

(٣) البوصيري: ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الانصاري الكاتب الأديب، حسن الديار المصرية سمع من ابي صادق المديني ومحمد بن بركات السعيدي وتفرد في زمان أو رحل اليـه. ت ٥٩٨هـ - ١٢٠١م. الذهبي، العبر، ج٤، ص٣٠٦.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ح٦٤١-٦٥٠، ص٣٩٢.

(٥) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٣٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ح٦٤١-٦٥٠، ص٢٩٢.

ولم يقتصر الاهتمام بالبنت أو المرأة على الأب، بل تعدى إلى الأخ وإلى الزوج فقد كانت الشيخة أم الكمال الحسنة (ت ٦٣٠هـ- ١٢٣٢م) ابنة القاضي أبي الحسن على بن عثمان القرشي المخزومي محدثه، وقد أجاز لها بإفادة أخيها الأشرف أبي القاسم حمزه مجموعة من العلماء منهم أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وفخر النساء شهده بنت أحمد الكاتبه[1] وغيرهم العديد من العلماء[2].

والشيخة أم الكمال كانت محدثة من بيت معظم أفراده لهم باع في الحديث والعدالة والكتابة والتقدم، فقد حدث والدها ومجموعة من أخوتها[3].

وحرص الزوج كذلك على تعليم زوجته. فقد حرص مرتضى ابن العفيف حاتم أبي الجود على إسماع زوجته غُضيبه بنت عنان بن حميد أم الحسن السعدية المصرية (ت٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) وكانت تدعى عزّيه وعزيزه، حرص على اسماعها من مجموعة من المحدثين أمثال منجب بن عبد الله المرشدي، وأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد السبتي، وغيرهما العديد[4].

---

(١) شهدة بنت احمد بن عمر بن الأبرى المدعوة فخر النساء الكاتبه، كانت عالمه: تكتب الخط وتتقنه، وسمع منها خلق كثير من العلماء، وعمرت حتى قاربت المائة، توفيت سنة اربع وسبعين وخمسمائة. ابن الجوزي، ابو الفروفيات سنةعبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر أباد، ط١، ت ١٣٨٥هـ- ١٩٣٩م، مج ١٠، ص٢٨٨. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ- ١٢٢٨م). معجم الادباء، ارشاد الأريب إلى معرفة الاديب، تحقيق أحسان عباس، ط١، دار العرب الإسلامي، بيروت (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)، ج١، ص١٤٢٢، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٧.

(٢) المنذري، التكمله، مج ٣، ج٤٦، ص٣٢٧، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص٣٨٦.

(٣) المنذري، التكمله، ح٤٦، مج ٣، ص٣٢٨.

(٤) المنذري، التكمله، ح٥٢، مج ٣، ص٤٦٥ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، تراجم سنة٦٣١-٦٤٠، ص٢٥١.

ومن النساء من لاقت احتراماً وبولغ في إكرامها نتيجة علمها ونتيجة علم والدها، فقد قدمت مصر الشيخة خديجة ابنة الحافظ السلفي(ت ٦٢٣هـ - ١٢٢٦م) [١] قادمة من الاسكندرية بعد وفاه والدها مسند الإسكندرية وفريد عصره، ولاقت احتراماً زائداً، وأكرمت اكراما شديداً، ومنحت اجازات لبعض المحدثين والفقهاء منهم المنذري[٢].وهناك عائلة منها محدثتان على مستوى عال من العلم هما اسماء بنت أبي البركات محمد بن الحسن بن الرّان الدمشقية (ت ٥٩٤هـ - ١١٩٧م) واختها أمنه (٥٩٥هـ - ١١٩٨م)[٣]. وأمنه هذه هي والدة قاضي القضاة محي الدين أبي المعالي محمد بن الزكي[٤]. وأسماء هي والدة فخر الدين ابن عساكر عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر[٥]. وقد سمعت كل منهما من خيرة الفقهاء والمحدثين والقضاة.

سمعت اسماء من قاضي دمشق أبي المفضل يحيى بن علي بن علي بن عبد العزيز القرشي جدها لأمها[٦]. وروت عن مجموعة منهم جدها المفضل، وروى عنها مجموعة منهم النسابة عز الدين محمد بن احمد وهو حفيدها[٧].

---

(١) السلفي: هو الأمام العلامة المحدث الحافظ، شيخ الإسلام، أشرف المعمرين، ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الاصبهاني، قدم دمشق سنة تسع وخمس مئة، فاقام بها سنين، ثم استوطن الاسكندرية بضعاً وستين سنه إلى ان مات. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص١٠٥. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٥. وتذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٩٨.

(٢) المنذري، التكمله، ج ٤١، مج ٣، ص١٨٧. والذهبي، تاريخ الإسلام، تراجم سنة٦٢١-٦٣٠، ص١٥١.

(٣) المصدر نفسه، مج ١، ح١٠، ص٣١٤-٣١٥. ابن كثير، البداية والنهاية، مج ٧، ح١٣، ص١٠٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، تراجم سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٥٦-١٥٧.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٣، مج ٧، ص١٠٩.

(٦) المنذري، التكمله، ح٤١، مج ٣، ص٣١٤-٣١٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٥٦-١٥٧.

(٧)الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٧٩.

وكذلك أمنه أختها سمعت من جدها القاضي المفضل ومن غيره، وروى عنها مجموعة علماء منهم ولدها القاضي محيي الدين بن الزكي[1]. وكانت ذات مال وثروه. بحيث انها وقفت رباطاً بدمشق[2]. وكانت وفاة الأختين في فترات متقاربة توفيت اسماء سنة (ت ٥٩٤هـ- ١١٩٧م)، أمنه سنة (ت ٥٩٥هـ- ١١٩٨) أي بعدها بسنة[3].

ومن خلال تراجم أسماء وأختها أمنه، نلاحظ ان هاتين المرأتين من بيت علم ورئاسه معظم أهله فقهاء ومحدثون وقضاة.

والشيخة الصالحة أم الفضل كريمة ابنة الشيخ أبي صادق عبد الحق ابن الشيخ أبي الفضل هبة الله بن ظافر بن حمزة الشافعي. مصرية سمعت من الشيخ المسند أبي الطاهر اسماعيل بن قاسم الزيات وحدثت بالكثير. ويقول المنذري[4]: سمعت منها. وكانت كريمة من بيت الحديث، فقد حدثت هي ووالدها وجدها وأخوها[5]. توفيت سنة (ت ٦٤١هـ- ١٢٤٣م) بمصر[6]. وفاطمة بنت الحافظ عماد الدين علي بن القاسم ابن مؤرخ الشام أبي القاسم بن عساكر(ت ٦٨٣هـ -

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٨٠.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٥٩١-٦٠٠، ص١٨٠.

(٣)المنذري، التكمله، ج ١٠، مج ١، ص٣١٥-٣٣٣. والذهبي، تاريخ الإسلام وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٥٧-١٨٠.

(٤) المنذري، التكمله، ج٥٩، مج ٣، ص٦٣٢.

(٥) اخوها هو ابو عبد الله محمد المعروف بالزنبوري وهذه النسبة إلى مسجد زنبور المشهور بظاهر القاهرة. المنذري، المصدر نفسه، ج٥٩، مج٣، ص٦٣٣.

(٦) المنذري، المصدر نفسه، ج٥٩، مج ٣، ص٦٣٢.

١٢٨٤م). سمعت من ابن طبرزد (ت ٦٠٧هـ - ١٢١٠م)[١] ومن جماعة غيره، وأجاز لها مجموعة[٢]. فهي أيضاً من بيت معظم اصحابه مؤرخون وفقهاء، وغيره من علوم الشريعة[٣].

والفضل زينب بنت ابراهيم القيسي (ت ٦١٠هـ - ١٢١٣م)، وهي زوجة الخطيب ضياء الدين الدولعي[٤]، (ت ٦٣٥هـ - ١٢٣٧م) هي ايضاً رأوية للحديث، سمعت وإجاز لها مجموعة من العلماء، فهي ايضاً من اسره تتميز بمستوى عال من التعليم[٥].

وحال هذه العائلة كثير من العائلات التي نستيطع القول انها عائلات علمية، ومعظم أفراد العائلة اتقن هذا العلم أو ذاك. الشيخة أم محمد خديجة (ت٦١٨هـ - ١٢٢١م) ابنة القاضي أبي المكارم المفضل بن علي

بن مفرج المقدسية الأصل، الاسكندرانية المولد والمنشأ، كانت محدثة، فقد أجاز لها مجموعة من العلماء منهم فخر النساء شهدة، وقد خرج لها المنذري جزءاً عن جماعة من شيوخها المجيزين لها، وقد حدثت به هي وسمعه منها المنذري[٦].

---

(١) ابن طبرزد: مسند العصر أبو حفص موفق الدين عمر بن محمد بن معمر الدار قزي- نسبة إلى محلة ببغداد- المؤدب روى الكثير، قدم دمشق في آخر أيامه. كان طريفاً كثير المزاح، توفي في بغداد(سنة٦٠٧هـ - ١٢١٠م). ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٢. والذهبي، العبر، ج٥، ص٢٤.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٤،

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤٤.

(٤) ضياء الدين الدولعي: عبد الله بن زيد بن ياسين التغلبي، الموصلى الشافعي تفقه وسمع من الفقيه نصر المصيصي، درس بالغزالية عمر وتوفي سنة (٥٩٨هـ - ١٢٠١م) وله احدى وتسعون سنة؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٣٠٤. الحسيني، طبقات الشافعية، ص٢١٤.

(٥) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٢.

(٦) المنذري، التكمله، مج٣، ح٣٥، ص٤١-٤٢.

وخديجة هذه هي أخت الشيخ الحافظ أبي الحسن علي بن المفضل المقدسي. وهو من شيوخ المنذري كما يقول[١]. وقد أثنى عليها أخوها وجماعة من الصالحين من حولها، حيث كانت من المشهورات بالزهد والإيثار والصلاح، وكانت تنفق ما بيدها في وجوه البر[٢].

وقد تميزت بعض عالمات العصر الأيوبي بتفوقهن في العلوم حيث وصفت بعضهن بمسندة الشام كما مر، وهذه مرتبة عليمة كبيرة لا تصل إليها إلا من تميزت بعلم واسع كبير، وروت الحديث بأسناده. فقد كانت كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر(ت ٦٤١هـ-١٢٤٣م)، أم الفضل القرشية الزبيرية، وتعرف ببنت الحبقيق هي مسندة الشام في عصرها[٣]. والشيخة كريمة سمعت من مجموعة من العلماء[٤]، فقد سمعت من ابي يعلى حمزة بن الحبوبي (ت ٥٥٥هـ - ١١٦٠م) [٥] ، وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني (ت ٥٥٨هـ - ١١٦٢م) [٦]، وروت عنهم[١]. وروت أيضا كتابة عن مجموعة كبيرة جدا من العلماء[٢] وقد خرج لها الحافظ أبو عبد الله البرزالي مشيخة في ثمانية اجزاء،[٣] وهذا انتاج علمي واسع وكبير.

---

(١) المنذري، التكمله، ج٣٥، مج ٣، ص٤١.

(٢) المنذري، المصدر نفسه، ج٣٥، مج ٣، ص٤١.

(٣) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٧٠. والمعين، في طبقات المحدثين، ص٢٠١.

(٤) وقد ذكر المنذري مجموعة كبيرة ممن روت عنهم وممن أجاز لها. المنذري، التكمله، ج٥٩، مج ٣، ص٦٢٣.

(٥) ابو يعلى، حمزة بن علي بن هبة الله بن حسن بن علي الدمشقي البزاز المعروف بابن الحبوبي سمع أبا القاسم بن أبي العلاء، وابا الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي (ت ٥٥٥هـ - ١١٦٠م) الذهبي، محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م)، المشتبة في رجال، اسمائهم وانسابهم، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) ج١، ص٢٥٦. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٧.

(٦) الداراني: هو عبد الرحمن بن ابي الحسن بن ابراهيم الكيناني ابو محمد عبد الرحمن بن ابي الحسن بن ابراهيم بن عبد الله الكناني الدمشقي، سعه خاله محمد بن ابراهيم النسائي من سهل بن بشر الاسفراييني،

وقد حدثت الشيخة اكثر من ستين سنة[٤]، وقيل اربعين سنة، وأخذ عنها بتلك الفترة أئمة وحفاظ[٥]. وشهد لها بذلك مؤرخو تلك الفترة فأبو شامة يقول: سمع عليها ابني محمد صحيح البخاري وغيره بقراءتي وقراءة غيري[٦].

والمنذري يقول عندما كان يترجم لوالد كريمه ابن الحبقيق: هو والد شيختنا أم الفضل كريمة[٧]. والذهبي وابن العماد يعرفون ابن الحبقبق ايضاً بأنه والد كريمة[٨]. وكريمة من بيت علم فهي ابنة الحبقيق كما أسلفنا، وهي ابنة أخي الحافظ أبي المحاسن عمر بن على ابن الخضر الدمشقي أيضاً[٩].

=وعبد الله بن عبد الرازق وابي الفضل بن الفرات، وأخذ عنه ابن عساكر وكريمة وآخرون. توفي سنة (٥٥٨هـ -١٢٦٢م). ابن عساكر ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، توفي (٥٧١هـ - ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت،(١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)ج٣٤، ص٣٠٦.

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٩٣.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٩٣. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٢.

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٩٣.

(٤) المنذري، التكمله، ج٥٩، مج ٣، ص٦٢٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤٠-٦٥٠، ص٩٣.

(٦) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٦٦.

(٧) المنذري، التكمله، ج٦، مج١، ص٢٠٢.

(٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٥٦. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٢.

(٩) المنذري، التكمله، ج٦، مج١، ص٢٠٢. والذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٣٠.

ولكريمة أخت أيضاً من الشيخات المعدودات بالعلم وسعة المعرفة، وهي الشيخة صفية بنت العدل عبد الوهاب أم حمزه القرشية الدمشقية ثم الحموية (ت ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م). وهي زوجة قاضي حماة محيي الدين حمزه البهراني[1]. وهي اصغر من أختها كريمة[2]. واجاز لها مجموعة من العلماء، وكما يقول عنها أبن العماد: " وتفردت في زمانها"[3]. وكريمة واختها من المعمرات [4].

وقد وصفت أم عبد الله فاطمة بنت سليمان ابن عبد الكريم الانصارى (ت ٧٠٨هـ-١٣٠٨م) المقرئ بدمشق بأنها مسندة بدمشق، وكانت من المعمرات، وقد اشرفت على التسعين[5]، وهناك معمرة مسندة أخرى توفيت ايضا بنفس السنة هي أم عمر خديجة بنت عمر بن احمد بن أبي جراده(ت ٧٠٨هـ- ١٣٠٨م)، توفيت بحماة وكانت تزيد على الثمانين سنة[6] وقد ذكر ابن طولون مجموعة من المسندات من أهل الصالحية معظمهن توفين في نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي.[7].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣١٠. الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، ص٢٠٤.

(٢) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣١٠

(٣) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٨٨. وابن العماد، شذرات الذهب،ج٥ ص٢٣٤.

(٤) المنذري، التكمله، ج٥٩، مج ٣، ص٦٢٣. واليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي المكي (ت ٧٦٨هـ- ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبر اليقظان. وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م. ج٤، ص٨١٧، الذهبي، العبر، ج٥، ص١٨٨.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٨٥

(٦) الذهبي، المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٨٥.

(٧) ابن طولون، الجواهر المضيئة. ج٢، ص٤٢٣

وكريمة بنت الحافظ أبي محمد بن احمد بن عبد الباقي وهو المعروف بابن الخاطبة، لقبت الحافظة، وقد أخذ عنها العديد من العلماء والعالمات فمنهم فاطمة بنت سعد الخير أم عبد الكريم المسندة[١].

الفقه

لقد برزت المرأة في مجال الفقه مثلما برزت في مجال الحديث، وإن كان اقبال المرأة على دراسة الحديث وعلومه أكثر من أي مجال آخر كما أسلفت. فكانت خديجة بنت يوسف بن غنيمة(ت ٦٩٩هـ - ١٢٩٩م) فقيهة وأطلق عليها لقب العالمة، وكانت عالمة بالعلوم الشرعية، مثلما أنها أجادت النحو، وأتقنت الخط أيضا. وتوفيت العالمة خديجة وقد جاوزت السبعين عاماً.[٢]

وكانت العالمة أمة للطيف ايضا من اللواتي برزن في العلم، ولم تحدد المصادر مجال هذا العلم، ولكن من خلال ترجمة العالمة نستطيع أن نقول أنها برزت في الفقه الحنبلي، لأنها قامت بإنشاء مدرسة للحنابلة، وكان والدها من علماء الحنابلة أيضاً، وهو الذي قامت ربيعة خاتون بوقف مدرستها عليه[٣].

وكان للعالمة انتاج علمي كما ورد في بعض المصادر.[٤] وكانت زينب بنت إبراهيم القيسي (ت ٦١٠هـ- ١٢١٣م) زوجة الخطيب ضياء الدين الدولعي (ت ٥٩٨هـ- ١٢٠١م)[٥].

---

(١) المنذري، التكمله، ج١٦، مج٢، ص١٥. والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٦٩.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٥، ص٤٤٧.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٤٥.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٤٥.والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٣. وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٧، د يوسف محمد خيرا المؤلفات من النساء، ومؤلفاتهن، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ص٢٨.

(٥) الذهبي، العبر، ج٤، ص٣٠٤.

وتدعى أم الفضل سمعت هي وزوجها من نصر الله المصيصي وحصلت على إجازة علمية من مجموعة كبيرة من الفقهاء[1].

وقد يكون لها ولزوجها اتجاه نحو الفكر السني الأشعري وكذلك أسماء بنت الران (ت٥٩٤هـ- ١١٩٧م) وأختها أمنه (ت٥٩٥هـ- ١١٩٨م) علاوة على انهما محدثتان كبيرتان نستطيع القول أنهما فقيهتان ايضا[2] نظراً لكثرة سماعهن من مجموعة كبيرة من القضاة والفقهاء[3] وكانت العالمة دهن اللوز ايضاً ممن برزن في مجال الفقه[4]. وخديجة بنت الحسين بن علي بن محمد بن عبد العزيز أم البقاء القرشية الدمشقية(ت ٦٤١هـ - ١٢٤٣م) اشتغلت بالفقه، قارئه تحفظ القرآن[5]

التصوف:

اتجهت المرأة في العصر الأيوبي إلى التصوف احياناً، وقد اعتكفت بالزاوية والرباط، رغم ان الأربطة والزوايا كان لها جانب اجتماعي للمرأة الفقيرة، ورغم ذلك فقد سكنتها المرأة لغاية دينية وهي التعبد.

فقد كانت زهرة بنت محمد بن احمد بن حاضر(ت٦٣٣هـ- ١٢٣٥م)، شيخة صوفية من الصالحات وكانت تسكن بعض الأربطة الخاصة بالنساء[6]، وكانت الشيخة زهرة هذه رأوية،

---

(١)الذهبي، العبر، ج٤، ص١٣١، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٢.

(٢)المصدر نفسه، ج٥، ص٣٥

(٣)المنذري التكملة، مج٣، ج٤١، ص٣١٥. والذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٥٦

(٤)الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٩.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٦٤١-٦٥٠)، ص٧٥. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٩٧.

(٦) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٣٣.

روت عن مجموعة وكان عمرها تسعاً وسبعين سنة ولعل الرباط هذا هو ايضاً رباط زهرة السابق الذكر[1].

وكانت بنت قاضي القضاه عبد الله بن عطا الحنفي (ت٦٣٣هـ- ١٢٣٥م) [2].، كانت شيخة رباط صفية القلعية وهو بالقرب من المدرسة الظاهرية.[3]. وهذا يدل على أن المرأة تقيم بالرباط للتعليم، وللحاجة، وأحيانا تكون هي شيخة الرباط للتعليم. فقد كانت الشيخة عابده (ت ٦٦٢هـ - ١٢٦٣م)[4] مقيمة برباط زهرة خاتون[5]، وكانت الشيخة عابدة هذه أمراة فاقدة البصر مقعدة عذراء لم تتزوج، وهي من النساء المشهورات بوقتها[6].

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٣. واليافعي، مرآة الجنان، ح٤، ص٦٧. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٥٨. ونلاحظ ان تاريخ وقفية رباط زهرة هو سنة (٦٥٠هـ) وزهرة هذه التي ينقل انها كانت تقيم فيه توفيت سنة ٦٣٣هـ مما يثير بعض التعارض حيث انها قبل ان يوقف. إلا انني ارجح ان الرباط كان موجودا فعلا وانها اقامت فيها كما تذكر المصادر ولكن الوقفية تأخرت إلى سنة خمسين وستمائة.

(٢) لم يذكر اسمها.

(٣) النعيمي، الدارس، ح٢، ص١٥١. العلبي، خطط دمشق، ص١٤٠.

(٤)عابدة اسم أمرأة، وهي بالباء وليست بالياء، من العبادة

(٥) رباط زهرة خاتون كان بالقرب من دار الأمير مسعود ابن الست عذراء صاحبة المدرسة. النعيمي، الدارس، ح٢، ١٥١. والجدير ذكره ان النعيمي لم يذكر دار الأمير مسعود اين تقع بدمشق وبالنسبة إلى واقفة الرباط ربما تكون هي عصمة الدين زهرة بنت الملك العادل الأيوبي، صاحبة المدرسة العادلية. وتاريخ الوقف سنة خمسين وستمائة. العلبي، خطط دمشق، ص٤١٠.

(٦) ابو شامه، ذيل الروضتين، ح٥، ص٣٤٧.

الوعظ:

ومن النساء من كانت ثقافتها تؤهلها لأن تكون واعظة، كالعالمة دهن اللوز (ت ٥٧٥هـ-١١٧٩م) كما أسلفنا. وعلّم أم المبارك (ت ٥٧٥هـ - ١١٧٩)[١]. زوجة الشيخ محمد بن يحيى الزبيدي، والتي تزوج بها في دمشق وذهبت معه إلى بغداد، وهي من المعمرات[٢]. وقد كانت أم مبارك تتصف بالزهد والصلاح[٣]، وهذا ساعد على ان تكون واعظة ناجحة.

وخديجة بنت يوسف بن غنيمه بن حسين بنت القيم (ت٦٩٩هـ - ١٢٩٩م) كانت واعظه تعظ النساء وتجيد الخط وتحفظ القرآن، قرأت مقدمتين في العربية أو أكثر، وأعربت على النحاة وتفردت برواية المقامات الحريرية، عمرت فهي من مواليد (٦٢٨هـ- ١٢٣٠م)[٤]

* العلوم الأدبية والاجتماعية:

الكتابة:

وهناك من كانت توصف بأنها كاتبة عاملة. ومنهن أمة العزيز خديجة بنت يوسف بن غنيمة البغدادي، توفيت بدمشق سنة (ت ٦٩٩هـ- ١٢٩٩م)، وكانت ذات خط حسن متقن[٥].

---

(١) والمبارك هو ابن الزبيدي الشيخ مسند الشام سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر بن محمد بن يحيى الحنبلى، وقد حدث عنه مجموعة كبيرة من العلماء منهم مجموعة من المشهورات من النساء أمثال زينب بنت الاسعردى، وفاطمة بنت جوهر أو هدية بنت عسكر، وست الوزراء بنت المنجى وغيرهم العديد. الذهبي، تاريخ الإسلام، سير اعلام البنلاء، ج٢٢، ص٣٥٧- ٣٥٨.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٧١-٥٨٠، ص١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٧١-٥٨٠، ص١٧٢.

(٤) الصفدي الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٩٦.

(٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٨٨

الشعر:

ظهر في العصر الأيوبي بعض النساء الأديبات الشاعرات[1] ومنهن:

تقية بنت غيث الصورية (ت ٥٧٩هـ - ١١٨٣م) [2] وهي: أم علي ابنة غيث بن علي بن عبد السلام الأرمنازي[3].وكانت تلقب بست النعم[4]. اصلها من صور وسكنت الاسكندرية[5]. وهي من بيت علم وحديث، فهي ابنة أبي الفرج غيث بن علي الصوري المعروف بالارمنازي،وكان فاضلاً عالماً وخطيب صور وهي أم الشيخ أبي الحسن علي بن فاضل الصوري المصري الإسكندراني، وهو قارئ متمكن بالنحو.

وقد وصفت تقية الشاعره والمدعوه بست النعم، بانها من الشاعرات المجيدات والفاضلات والمشهورات[6]، وقد أشاد بفضلها عدد من الحفاظ والعلماء أمثال الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، والحافظ ابي الحسن المقدسي وغيرهم[7].

---

(١) المنذري، التكملة، ج١٩مج٢، ص١٠٠.

(٢) المنذري، المصدر نفسه، التكملة، ج١٩، مج٢، ص٩٩. وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٧. والذهبي، العبر، ج٣، ص٧٧، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٦٥. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٥.

(٣) الارمنازي: نسبة إلى ارمناز: وهي قرية من اعمال دمشق. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٩.

(٤) صقر، عبد البديع، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، الدوحة، ط١، ١٣٨٧- ١٩٦٧م، ص٣٧.

(٥) الاصفهاني، خريدة القصر، ح٢، ص٢٢١، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ح٢١، ص٩٤. والصفدي، الوافي بالوفيات، ح١٠، ص٣٨٤. وابن العماد، شذرات الذهب، ح٤، ص٢٩٥.

(٦) المنذري، التكمله، ج١٩، مج٢، ص٩٩. وصقر، شاعرات العرب، ص٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ج١٩، مج ٢، ص٩٩

وكان للشاعره قصائد ومقاطيع [1] وقد جمعت بكراسة فالأصفهاني يقول: أتحفني القاضي أبو القاسم حمزة بن القاضي على بن عثمان المخزومي المغربي المصري، وقد وفد إلى دمشق بكراسة فيها شعر تقية بنت غيث، قد سمعه منها، وخطها عليه بسماعه منها، بتاريخ محرم سنة تسع وستين وخمسمائة بالاسكندرية، وأنشدني ذلك رواية عنها[2]. وسوف أذكر شعرها في مكانه.

وقد تميزت تقية بسعة العلم، وجزالة الشعر، وقوة الشخصية أيضاً وحسن التصرف. حيث يقول عنها الذهبي: كانت أمرأة برزة جلدة[3]. وقد تنوعت أغراض شعرها، فأنشدت للحرب والوفاء ووصفت ومدحت، فقد مدحت الملك المظفر تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بقصيدة وكانت القصيدة خمرية صوفية[4]، وبهذه القصيدة وصفت مجلس الخمر وما يتعلق بذلك، فلما وصلت القصيدة للملك المظفر قال: "الشيخة تعرف هذه الأحوال من صباها"[5]. فعندما علمت بذلك نظمت قصيدة حربية. ووصفت ما يدور بالحرب بأكمل وصف وبعثت بها إلى الملك وقالت له: علمي بهذا كعلمي بهذا[6].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٧. والسيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين. ت ٩١١هـ، ١٥٠٥م، نزهة الجلساء في اشعار النساء، دون طبعة، مكتبة القرآن، القاهرة، ص٣٤.

(٢) الاصفهاني، خريدة القصر، ج٢، شعراء مصر، ص٢٢١-٢٢٢

(٣) الذهبي، العبر، ج٤، ص٢٣٧. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص ٢٦٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٤. والسيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٥.

(٦) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٥. السيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤. والعاملي، زينب بنت علي بن حسين فواز (ت ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م). معجم اعلام النساء، تحقيق ملى محمد "الخراط، مكتبة التوبة الرياض، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص١٩٠.

وقد تميزت تقية بشيء لم تقم به إلا القليل من السيدات من أجل العلم، ألا وهو صحبة أهل العلم للاستفادة من علمهم، وهذا في تلك الفترة شيء لم يكن معتاداً، وان دل على شيء فإنما يدل على الحرية الكبيرة التي كانت تتمتع بها المرأة وخاصة بما يتعلق بالعلم.

فقد صحبت تقية الشيخ السلفي لفترة من الزمن في الاسكندرية، وذكرها السلفي في بعض تعاليقه، وأثنى عليها[1].وذكرها السلفي في بعض كتاباته وقال :

عثرت مرة فانجرحت إخمصي، فشقت وليدة -أبي جارية- في الدار خرقة من خمارها، وعصبته فأانشدت تقية تقول[2]:

لو وجدتُ السبيل جُدت بخدّي	عِوضاً عن خمارِ تلك الوليدة
كيف لي ان أُقبل اليوم رِجلاً	سلكت دهرها الطريق الحميدة

ولتقية في الوصف:

خد من اهواه يحكى زحلاً	صبغوه من دمى كالعندم
ولمْاه عسل فيه الشفا	وحماه كعبتى بل حرمي[3]

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٧. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ٣٨٤. والسيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص٢٩٧، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة(٥٧١-٥٨٠، ص٢٨٠. والسيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٦٥.

(٣) العمري، ياسين بن خير الله (ت ١٢٣٢هـ- ١٨١٦م)، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء تحقيق رجاء محمود السامرائي. الدار العربية للموسوعات، بيروت، دون طبعة، ص٢٨٦.

ولها أيضاً:

نأيت وما قلبي عن النأى بالراضى ... فلا تغترر مني بصدّي وإعراضي

وإني لمشتاق إليهم متيمٌ ... وقد طعنوا قلبي بأسمر عَرّاضِ

وإذا ما تذكرت الشام وأهله ... بكيت دماً حزناً على الزمن الماضي

وقد غبتُ عن وادى دمشق كأنني ... يُقرض قلبي كل يوم بمقراض[1].

ولتقية أبيات من الشعر تمدح بها الشيخ الحافظ أبا طاهر السلفى، وتعتذر إليه لانقطاع ولدها أبي الحسن بن صمدون عن مجلسه[2]

تـالله مـا غبـتُ عـنكمن ملـلاً ... ولا فـؤادي عـن الـدنوّ سـلا

وكيـف أنـسى جمـيلكم ولكـم ... علـيّ فـضل يُبلّـغُ الأمـلا

أنقـذتموني مـن كـل مهلكـه ... فلـست أبغـي بقـربكم بـدلاً

داركـم مُـذحللت سـاحتها ... كـأنني الـشمس حلّـت الحمـلا

أسحب ذيلـي فـي عزّهـا مرحـاً ... وكنـت قـدماً لا أعـرف الخُـيلا

وإنمـا غبـت عـنكم خجـيلاً ... لأنّ ذنبـي يزيـدني خجـلا

تقـول عينـي ودمعهـا وكـفٌ ... لمـا رأت عبـدكم قـد انـتقلا

وزدتُ فـي عذلـه لأردعـه ... وهـو عـصيّ لا يـسمع العـذلا

حتـى إذا زدت فـي ملأمتـه ... وظـنّ قلبـي بأنـه اعتـدلا

قلـت لـه والـدموع واكفـة ... والقلـب منـي للبـين قـد وَجـلا

كيـف تطيـق البعـاد عـن رجـل ... حـوى جميـع الفنـون واكـتملا؟

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص384. والسيوطي، نزهة الجلساء، ص35.

(2) الصابوني، جمال الدين محمد بن علي (ت 680هـ - 1281م) ، تكملة اكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، وهو تكملة الإكمال لأبن ماكولا (ت 475هـ - 1082م) ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1990م) ج7، ص23.

الحافظ الحبر والذي اكتملت ... به المعالي وزين الدولا

أولادك فضلاً وسؤدداً وحجاً ... فصرت في الناس أوحد الفضلا

فقال حظّي لديه محتقر ... إن قلت قولاً اجاب عنه بلا

يرفع دُوني والعين تنظره ... ولم ازل صابراً ومحتملا

وكل واشٍ أتساه في سببي ... صدّقه وهو قائل زللا

كأنني "المشركون" إذ خدَمُوا ... لا يرفع الله عنهم عملا

فضُنت عرضي بنُقلتي أسفاً ... ولم اجد مسلكاً ولا سُبُلا

حتى كأنّ البلاد لستُ أرى ... في ساحتيها سهلاً ولا جبلاً

ثم قرأت العلوم منعكفاً ... كيلا يقول الوشاة قد بَطَلا

فهو امامي ولا يرى احد ... بين فؤادي وبينه خَلَلا

أمدحُه ما حَييتُ مجتهداً ... في كل نادٍ ومحفِل ومَلا

فإنْ حباني يزيدني شرفاً ... وإن قلاني فليسِ ذاك قلى

فالله يبقيه دائماً أبداً ... وزاده الله رفعةً وعُلا

ما لاح برق وما دجا غسقُ ... وما همى وابل وما هطلا

وكانت تقية الصورية الشاعرة أوحد أهل زمانها بالأدب كما وصفها العمري في كتابة الروضة الفيحاء[1]. وهي شاعرة محسنة، وشعرها مشهور ومعروف يتداوله الشعراء وغيرهم[2]. وكانت واثقة من نفسها بأنها وصلت إلى مرحلة عالية من العلم، وانها متمكنة في قول الشعر بجميع أغراضه: المدح والهجاء وغيره. وقد كتب لها شخص بعض الأبيات وقد مدحت نفسها. فقال:

---

(١) العمري، الروضة الفيحاء، ص٢٨٦.

(٢) الذهبي، العبر، ج٤، ص٢٣٧.

وما شرفٌ أن يمدح المرءُ نفسه ولكن افعالاً تُذمُ وتُمدحُ

وما كلُّ حين يصدقُ المرءَ قلبهُ ولا كل أصحاب التجارةِ تربحُ

ولا كلُّ من ترجو لغيبكَ حافظٌ ولا كلٌّ من ضم الوديعة يصلحُ

فردت عليه ببعض الأبيات:

تعيبُ على الإنسان إظهار علْمه أبالجدّ هذا منك أم أنت تمزحُ

فدتك حياتي قد تقدم قبلنا إل مدحهم قومٍ وقالوا فأفصحوا

وللمتنبي أحرفٌ في مديحه على نفسهِ بالحق والحقُ أوضحُ[1].

أروني فتاةً في زماني تفوقني وتعلو على علمي وتهجو وتمدحُ

وهذه الأبيات تثبت كم هي معتدة بنفسها وواثقة من تفوقها بالعلم والأدب. وتتحدى من كتب لها وتقول له أرني من هي أفضل وأعلى مرتبة في العلم والأدب في زماني مني وكانت تقية الشاعرة تجاوز شعراء عصرها شعراً، فقد أهدت إلى شخص توتا فكتب إليها.

---

(١) الاصفهاني، خريده القصر، شعراء مصر، ص٢٢٣.

وتوتٍ أتانا ماؤهُ في احمرارهِ كدمعي على الأحباب حين ترحّلوا

هدية من فاقت جمالاً وفطنةً وابهى من البدرِ المنير وتعدِلُ

فلا عَدِمت نفسي تفضُّلها الذي يقصر وصفي عن مداه ويَعدِلُ[1].

وردت عليه فكتبت:

أتاني مديحٌ يُخجلُ الطرفَ حُسنُهُ كمثل بهىً الدرِّ في طيِّ قِرطاسِ[2].

وقد أعارت شخصاً دفتراً، ولم يعده اليها بسرعة بل حبسه عنده عدة أشهر. فكتبت إليه تقول:

قل لذوي العلم وأهل النهى ويحكم لا تبذلوا دفترا

فإن تعيروهُ لذى فطنةٍ لا بدَّ أن يحبِسه أشهُرا

وإن تعوُدوا بَعْدَ نُصحي لكم تخالفوني فالبراءَ البرّا[3].

وكانت تحاور اهل العلم والأدب، فقد سألت الشيخ الامام العالم ابا الطاهر اسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر فقال لها: هو كلأم ان تكلمت بحسن فهو لك، وإن تكلمت بشر فهو عليك[4].

---

(١) الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٢٢٢

(٢) المصدر نفسه، شعراء مصر، ص٢٢٢

(٣) المصدر نفسه، شعراء مصر، ص٢٢٢

(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج١، ص٢٩٨.

- ربيعة خاتون بنت أيوب:

وهي أخت السلطان صلاحج الدين، والملك العادل، توفيت في شعبان سنة ٦٤٣هـ-١٢٤٥م، وقد جاوزت الثمانين سنة، ودفنت بمدرستها في الجبل[1]. وكان لربيعة خاتون بنت أيوب تواليف ومجموعات من شعر، ومن شعرها: [2]

فيا مانع الاسلام صبراً فإنما	بصبرك في كل المواطن يقتدى
ولو كان غير الموت دافعت دونه	بطعن يرد السمهرى مُقصداً
وغادرت جفن الأفق بالسمرأ وطغاً	وخد المعرض بالنجيع مورداً
ولكنه دهر إذا ما نعيمه	تحول بؤساً هد ما كان مُشيداً

- حسناء المصرية:

ومن الشاعرات في العصر الأيوبي أيضاً حسناء المصرية، وكانت تكتب الأبيات والمقطوعات الشعرية وتغنيها في مجالس السمر واللهو، وقد عدها الأصفهاني في ضمن الطبقة الأولى من المغنيات.[3]، وكانت حسناء من مواليد اليمن، وتربت بالحجاز، وكان تعليمها ببغداد، واشتهرت بمصر، فهي من شعراء مصر. وكانت من الشاعرات اللواتي يحسبن من بين الشعراء،

---

(١) الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٤٥، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٧٠، وابن العماد، شذرات الـذهب، ج٥، ص٢١٨.

(٢) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٣.

(٣)الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٢٢١.

وتناقش الشعراء الكبار.ورغم انه لم يصل من شعرها إلا القليل إلا أن ترجمة الأصفهاني لها تدل على أنها شاعرة متميزة في الشعر والغناء، ومن شعرها الذي تغنت به.[1]

سلامٌ على من ليس يدرى بأنهُ هواي من الدنيا وقاصيةُ المُنى

كتبت اليكم خاطباً لرضاكمُ فردُوا جواباً بالنجاح معنوناً[2].

النحو:

اهتمت المرأة في الفترة الأيوبية بالنحو، لأن اللغة العربية هي وسيلة تعلم العلوم الدينية والأدبية، فلا بد من اتقان النحو لكل فقيه أو محدث أو أديب أو شاعر، وقد كانت الأديبة الشاعرة نقية الصورية تتقن النحو أيضاً[3]. وهذا لابد منه لواحدة مثل نقية باعتبارها شاعرة مجيدة.

وكانت خديجة بنت يوسف بن غنيمة وتدعى أمة العزيز سابقة الذكر عالمة، راوية حديث، مهتمة في النحو، حيث قرأت أكثر من مقدمة في النحو، وتعلمت الخط على أصوله على جماعة، وتوفيت خديجة سنة (ت ٦٩٩هـ-١٢٩٩م) عن نيف وسبعين سنة[4].

---

(١) الاصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٢)الاصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٣) العمري، الروضة الفيحاء، ص٢٨٦.

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤٧.

التاريخ:

اهتمت المرأة في الفترة الأيوبية بعلم التاريخ، وبرزت بعض النساء بهذا المجال. فكانت رقية بنت أحمد بن محمد بن قدامة، وهي أخت زينب ووالدة الضياء الذين كان لهم باع طويل في مجال الحديث، كانت علاوة على انها راوية للحديث تؤرخ للمقادسة تؤرخ للمواليد والوفيات حتى عدة مرجعا لهم في ذلك وعلى الأخص آل قدامة. قال عنها ابنها الضياء: كانت أمرأة صالحة تنكر المنكر يخافها الرجال والنساء وتفصل بين الناس في القضايا(١).

وهذا يبين انها كانت تقضي بين الناس في الأمور الشرعية والعشائرية وفي مستجدات أمورهم اليومية، وكان أمرها نافذاً؛ أي لها سلطة على من حولها.

العلوم الأخرى:

أما العلم الاخرى كالطب والهندسة فلم اعثر على نص صريح يدل على اقدام المرأة الأيوبية عليها. إلا إشارة واحدة عند الترجمة لشخص يعرف بابن الطبيبة، وهو علي بن أبي بكر بن محمد بن محمود أبو الحسن الصنهاجي الاسكندراني المعروف بابن الطبيبة والمتوفي سنة (ت ٦٣٩هـ - ١٢٤١). كانت تمارس صناعة الطب، فعرف بها(٢).

ومن خلال ما تقدم نلاحظ مدى ما وصلت إليه المرأة الأيوبية من علم، فكانت حافظة للقرآن، ومحدثه، وفقيهة، وشاعره، وأديبه إلى غير ذلك من العلوم الدينية والإنسانية. وقد نالت مراتب علمية رفيعة في هذه المجالات.

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص٥٩.

(٢) الذهبي، تاريخ ا لإسلام، وفيات سنة(٦٣١-٦٤٠)، ص٤٠٧.

وكانت المجتمع الأيوبي يشجع المرأة على التعلم ويهيئ لها السبل لذلك، ويؤيد ويعجب بالانجازات المتميزة التي تحققها. وقد أوردت بعض المصادر خبر أمرأة وصلت إلى مصر وكانت تكتب باصابع رجليها إذ كانت يداها مقطوعتين، فأعجب الناس من ادائها ونالت حظوه وتقديراً. [1]

الالقاب العلمية:

أضفي على عدد من النساء الأيوبيات القاب علمية تدل على بروزها في فن من فنون العلم والأدب، ومن هذه الألقاب:

الشيخة:

وقد أطلق على العديد من النساء لقب الشيخة والشيخة الصالحة[2]، والشيخة الأصيلة والشيخة الزاهدة[3] وقد ترجم المنذري لعدد كبير من الشيخات في الفترة الايوبية أمثال: أم عبد الكريم فاطمة ابنة الشيخ أبي الحسن سعد الخير الانصاري[4].

والشيخه الزاهدة أم احمد أمنه ابنة الشيخ الفقيه أبي عمر محمد بن قدامة المقدسية. والشيخة الأصيله خديجة بنت الحافظ أبي طاهر أحمد السلفي[5]. وغيرهن العديد.

---

(1)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٦١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٩.

(2) المنذري، التكمله، ج١٦،مج ٢، ص١٤. وابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٤٧.

(3) المنذرى، التكمله، ج٤١، مج ٣، ص١٨٧.

(4) المنذري، المصدر نفسه،ج١٦،مج٢، ص١٤.

(5)المنذري، المصدر نفسه، ج٤١،مج٣، ص١٨٧.

وقد وصف عدد من الكتاب والمؤرخين لهذا العصر العالمة المعروفة بدهن اللوز بنت نورجان (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) بشيخة العالمات[١]. بل وفي بعض المصادر شيخة العلماء[٢]. أي رجالاً ونساء، وهذه رتبة علمية متميزة وشهادة كبيرة بحق تلك المرأة.

وعندما ترجم المنذري للشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن أبي الحسن المعروف بالحبقبق[٣] قال: والد شيختنا أم الفضل كريمة[٤].

وعندما ترجم الذهبي لعيسى بن موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي الصالحي قال: آخر من روى عنه بنته عائشة شيختنا[٥]. وكذلك عندما ترجم لعماد الدين التنوخي الحنبلي قال: أخو شيختنا ست الوزراء[٦].

---

(١) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٦٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١-٦٢٠، ص١٩٥.

(٣) الحبقبق: عبد الوهاب بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي العدل ابو محمد القرشي الأسدي الدمشقي، والد كريمة وصفية، روى عنه اخوه أبو المحاسن عمر بن علي الحافظ وولداه علي وكريمه. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة (٥٨١-٥٩٠)، ص٣٨٢. العسقلاني، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ- ١٤٤٨م)، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق، محمد زينهم محمد عزب، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤٦١هـ- ١٩٩١م)، ص٩٥.

(٤) المنذري، التكملة، ج٤١، مج ٣، ص١٨٧.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة سنة ٦١١-٦٢٠، ص٢٥٤. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٩.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٦١-٦٧٠، ص٢١٦.

العالمة:

وقد اشتهرت بعض النساء بهذا اللقب الذي يدل على درجة عالية من العلم فقد عرفت دُهْن اللوز بهذا اللقب، بل عرفها الذهبي بأكثر من ذلك حيث قال: شيخة العُلماء بدمشق[1].

وقد اشتهرت أمة اللطيف بنت الناصح عبد الرحمن الحنبلي أيضاً: بلقب عالمة[2]. وكذلك المعمرة خديجة بنت يوسف بن غنيمة العالمة[3].

المسندة:

المسندة: هو لقب آخر من الألقاب العلمية، الذي أطلق على بعض النساء في العصر الأيوبي. وأشهر من تلقبت بهذا الاسم هي الشيخة أم الفضل كريمة ابنة الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن أبي الحسين الزبيرية الدمشقية[4]. وقد سميت مسندة الشام[5].

وكذلك اشتهرت مسندة أخرى في الفترة الأيوبية وهي المسندة أم عبد الكريم فاطمة بنت سعد الخير بن محمد الأنصارية بمصر[6]. والمسندة فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصاري (ت ٧٠٨هـ- ١٣٠٨م) بدمشق. وأم عمر خديجة بنت عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٧٠٨هـ- ١٣٠٨م) بحماة. وهاتان المسندتان من المعمرات وطال بهن العمر إلى سنه (٧٠٨هـ- ١٣٠٨م)[7].

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص١٩٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١- ٦٦٠هـ، ص١٤٥.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٤٧.

(٤) المنذري، التكمله، ج٥٩،مج ٣، ص٦٢٣.

(٥) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ- ١٣٤٨م. تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، ج٤، ص ١٤٣٤. والذهبي، العبر في خبر من غبر، ح٥، ص١٧٠. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠. ص٩٣. وانظر ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٢.

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ. ج٤، ص١٣٦٩.

(٧)الذهبي، المصدر نفسه،تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٤٨٥.

المبحث الثاني

وسائـــــل تعلــــم المــــــــرأة

- التعلم الذاتي في نطاق الأسرة
- التعلم في المدارس
- التعلم عن طريق المجالس العلمية والإجتماعية
- التعلم عن طريق الرحلات العلمية ومصاحبة العلماء
- الإنتاج العلمي للمرأة

لقد تعددت وتنوعت وسائل تعلم المراة في العصر الأيوبي، وكانت متشعبة المصادر. فقد كان الأساس في تعلم المرأة هو تعلم ذاتي من خلال المنزل وعن طريق الأسرة سواء من الوالدين أو عن طريق الأسرة الممتده أي أحد الاقارب سواء من الجد أو غيره. وهناك تعلم عن طريق الأماكن المخصصة للتعليم كالمدرسة. أو عن طريق حضور المجالس العلمية والاجتماعية. أما أولى تلك الطرق فهي.

- التعلم الذاتي في نطاق الأسرة:

لقد كانت النصوص الصريحة بخصوص وسائل تعلم المرأة قليلة، ولكن يظهر من خلال إشارات بعض النصوص أن أكثر الطرق شيوعاً هي التعلم الذاتي من خلال أحد أفراد الأسرة أو الأقارب. والنساء اللواتي تعلمن بهذه الطريقة كثيرات لأنها هي الطريقة الأوسع والأكثر شيوعاً كما أسلفت.

فقد تعلمت الشيخة أم أحمد زينب ابنة الامام صدر الإسلام أبي الطاهر اسماعيل بن مكي بن عوف القرشية الإسكندرية (ت ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م) تعلمت من والدها أبي الطاهر، وهذا التعليم أثمر بحيث أنها أخذت العلم عن غيره، وأجاز لها العديد من العلماء فيما بعد، وكانت تلك الاجازات من علماء ينتمون إلى أماكن متعددة ومشهورة بالعلم في ذلك الحين، فقد حصلت على إجازات من علماء خراسانيين، وأصبهانيين، وبغداديين، وهمذانيين. وهذا جميعه ظهرت نتائجه بحيث اصبحت من المحدثات المجيدات، وقد حدثت في الاسكندرية[١].

---

(١) المنذري، التكمله، ج١٣، مج٦، ص٤٠٦.

والشيخة خديجة ابنة الحافظ ابي طاهر السلفي (ت ٦٢٣هـ- ١٢٢٦م)، كذلك أخذت العلم من أبيها، وكان تعليمها الأساسي في منزلها، حيث سمعت من والدها، وعندما وصلت إلى درجة تعطيها القدرة على نقل ما تعلمته حدثت، وقد قدمت إلى مصر حيث انها كانت تسكن الاسكندرية وهي مكان سكني والدها السلفي. فعندما قدمت إلى مصر وجدت احتراماً كبيراً[١]. وهذا يرجع إلى احترامها لنفسها ولعلمها، وكذلك يرجع ايضا إلى مكانه والدها العلمية، وقد وصلت الشيخة خديجة لدرجة علمية بحيث انها كانت تمنح الاجازات العلمية لعلماء كبار كالمنذري[٢].

وقد يكون البيت أشبه بالمدرسة لكثرة الأبناء الذين يدرسون به، فقد أخذ أبناء الخشوعي[٣] إبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الله، وست العجم، وستهم، أخذوا جميعهم العلم عن أبيهم،[٤] وجميعهم تقدم بالعلم بحيث أصبحوا من رواة الحديث المتميزين، وقد برز منهم بشكل خاص الشيخة ستهم (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) والتي وصلت إلى درجة من العلم بحيث تمنح الإجازات العلمية، وقد كتبت إجازة علمية إلى المنذري من دمشق[٥].

وأخذت أمة الله بنت أحمد بن عبد الله بن علي الأنبوس العلم عن والدها، وروت الحديث عنه وتفردت عنه[٦]. وهذا يدل على تمكنها. وأخذت زينب بنت ابي الجوز ندي بن عبد الغني بن

---

(١) المنذري، التكملة، ج٤١، مج٣، ص١٨٧. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٢١-٦٣٠. ص١٥١.

(٢)الذهبي، المصدر نفسه، ج٤١، ج٣، ص١٨٧. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص١٥١.

(٣) الخشوعي: مسند الشام، ابو طاهر بركات ابن ابراهيم بن طاهر بن بركات بن ابراهيم الدمشقي. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٥٦.

(٤) الذهبي، المصدر نفسه، ج٢١، ص٣٥٦.

(٥) المنذري، التكملة، ج٥٨، مج٣، ص٦١٥.

(٦) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١١٩.

علي وهي تدع أم الكرام الانصارية المصرية. سمعت في نطاق اسرتها من والدها، وأخذت من غيره، وكانت وفاة زينب سنة (٦٥٨هـ- ١٢٥٩م)[١].

وهناك من أخذت عن أبيها وجدها أو عن جدها دون ابيها، فقد اخذت شامية أمة الحق بنت الحافظ ابي علي الحسن بن محمد البكري عن ابيها، وعن جدها.ثم اخذت عن غيرهم من العلماء أمثال ابن طبرزد[٢]، وروت الحديث بعد ان اصبح لديها القدرة العلمية المؤهلة لذلك. وقد تفردت عن ابن طبرزد بعدة اجزاء[٣]. توفيت سنة (٦٨٥هـ-١٢٥٩م)[٤].

وأخذت عزيزة بنت علي بن أبي محمد يحي بن علي بن الطراح المدير اخت ست الكتبة العلم عن جدها، ثم حدثت وتوفيت سنة (ت٦٠٠هـ- ١٢٠٣م) [٥]. واسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر بن الران الدمشقية تعلمت وأختها أمنه، تعلمتا في البداية على نطاق الاسرة، فقد أخذتا العلم عن جدهما لأمهما أبي المفضل يحيى بن على القاضي، اضافة إل علماء آخرين[٦].توفيت أسماء (ت ٥٩٤هـ- ١١٩٧م) هي وأختها في نفس السنة[٧]. وتعلمت المحدثة عائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ الموفق المقدسي في اسرتها عن طريق جدها وغيره[٨].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٣٤٣.

(٢) ابن طبرزد: مسند العصر أبو حفص موفق الدين عم بن محمد بن معمر الدارقزى المؤدب، قدم دمشق في اخر أيامه فازدحموا عليه، (ت ٦٠٧هـ- ١٢١٠م). الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٤. والدارقزي: نسبة إلى محلة في بغداد. وهي دار القز. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٢٢.

(٣) الذهبي، العبر، ج٥، ص٣٥٢. ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٩١.

(٤) ابن العماد، المصدر نفسه،ج٥، ص٣٩٠.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص٤٦٥.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٥٧-١٨٠.

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص ١٥٧-١٨٠.

(٨) ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٣٨.

وكانت بعض النساء تتعلم في نطاق الأسرة، فاذا لم يكن من الأب أو الأخ والجد فقد يكون أحياناً المولى، فقد اخذت ست العرب بنت يحيى بن قيماز وتدعى أم الخير الدمشقية الكندية (ت ٦٨٤هـ- ١٢٨٥م) أخذت العلم من مولى لهم يدعى التاج الكندي[١]، وأخذت من غيره مثل ابن طبرزد الغيلانيات[٢]. وتوفيت عن خمس وثمانين سنة[٣]

وهكذا نلاحظ من خلال تراجم النساء السابقة، أن المرأة قد تبدأ تعليمها أولاً في المنزل عن طريق أحد افراد الأسرة الضيقة أو الممتدة، ثم تأخذ عن غيره من العلماء الموجودين ممن تستطيع الوصول اليهم، وأحياناً تأخذ عن طريق المنزل وعن طريق العلماء بذات الوقت.

- **التعلم في المدارس**

رغم قلة المعلومات عن هذا الموضوع في المصادر، فان بعض الإشارات التي وردت فيها تفيد بان المرأة تعلمت في المدارس، وكان لها فيها حضور. فهناك نص عند أبي شامة أورده في ذيل الروضتين يقول فيه.

---

(١) هو زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي المقرئي المحدث الحافظ، ولد ببغداد سنة (٥١٦هـ- ١١٢٢م)، (ت ٦١٣هـ- ١٢١٦م)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ-١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ج٢، ص١٩-٢٠.

(٢) الغيلانيات أو الفوائد كتاب في الاحاديث النبوية جمعها ابو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غيلان البزاز (ت ٤٠٤هـ- ١٠١٣م) عن شيخة الأمام المحدث محمد بن عبد الله بن ابراهيم، سند العراق أبي بكر البغدادي الشافعي المولود سنة (٢٦٠هـ- ٨٧٣م)، والمتوفي سنة (٣٥٤هـ- ٩٦٥م). واشتهرت هذه الفوائد الغيلانيات لأن ابن غيلان تفرد برواية الشيخة عن شيخه أبي بكر الشافعي.

(٣) الذهبي، العبر، ج٥، ص٣٤٧. وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٥.

"في سنة (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) الأمير بدر الدين بن الحسن المعزى الميروقي، وكانت له بنت عندنا بالمدرسة العادلية، ودفن بالجبل بمقبرة ابن يعمور رحمه الله، وهو من أقارب المبروقي الملك المشهور ببلاد الغرب) [1]

وهذا النص واضح يؤكد ان البنات كن يدرسن في المدارس مثل الأولاد. ولكن لم يبين النص فيما اذا كان الأولاد والبنات يدرسون في مكان واحد أم لكل منهما فصل ومكان، كذلك لم يبين النص لم يبين المدرسة العادلية هل هي العادلية الكبرى[2] . أم هي العادلية الصغرى،[3] كذلك لم يبين النص اذا ما كانت البنت صغيرة أم كبيرة، فإذا كانت صغيرة فهذا يدلنا على ان بعض البنات كن يتلقين التعليم في المدارس منذ الصغر وبشكل منتظم.

وهناك اشارة أخرى تدل على حضور النساء بعض الدروس في المدارس، فعندما بنت الصاحبة ربيعة خاتون المدرسة المعروفة بالصاحبية،[4] بنتها ووقفتها على الناصح الحنبلي، فبدأت الدراسة فيها في سنة (٦٢٨هـ- ١٢٣٠م)[5]وكان يوم افتتاح المدرسة يوماً مشهوداً، وقد حضرت ربيعة خاتون هذا الافتتاح والدرس الذي القاه الحنبلي ولكن كانت من وراء الستر[6]

---

(١) أبو شامة ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠٠.

(٢) يتم تعريفها في المراكز العلمية.

(٣) تم تعريفها في منشآت النساء.

(٤) تم تعريفها عند ذكر منشآت النساء.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآ الزمان، ج٨، ص٦٦٦.

(٦) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٦٤، والعماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص١٦٤. وعبد المهدي، عبد الجليل، المرأة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي متعلمة معلمة. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عد ٣٨، السنة الرابعة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص٤١.

وهذا النص نتبين منه أنها حضرت الدرس، ولكنها بالطبع ليست دراسة بانتظام، فقد تكون هي أو غيرها تحضر بعض الدروس التي تدرس بهذه المدرسة، فالإشارة بهذا النص أقل دلالة على تعلم البنات في المدارس من النص الذي سبقه. ولكنها تعطينا اشارة الي حضور النساء إلى المدارس. ومن الإشارات التي قد يتبين منها وجود مدارس للبنات ما ورد في أبيات من الشعر العالي للشاعر ابن الطفال[١] يقول فيها:

في ذي المدرسا ... جماعة نسا

إذا أمسى المسا ... ترى فرقعة

نسا الزمان ... عجيب يافلان

يكونوا ثمان ... يصيروا أربعة[٢]

وهذا يبين ان هناك مدرسة فيها مجموعة من النساء، وليست المدرسة طوال النهار، فهي لفترة الصباح، وتفرغ المدرسة في فترة المساء من هؤلاء النسوه.

- التعلم عن طريق المجالس العلمية والاجتماعية:

لقد كانت المجالس العلمية والاجتماعية هي الطريقة الأكثر شيوعاً بعد التعليم الذاتي أو في المنزل، ومعظم المتعلمات يأخذن العلم عن طريق تلك المجالس سواء العلمية أو الاجتماعية .

---

(١) ابن الطفال، عمر بن محمود، سمع الحديث من الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي، ومن الشيخ ابسي الفـتح القشيرى قاضي القضاة، ورحل في خدمته إلى دمشق وسمع الحديث معه من أشياخها. (ت ٧٢٢هـ- ١٣٢٢م). الادفوى ، كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨هـ -١٣٤٧م) الطالع السعيد الجامع لأسـماء نجبـاء الـصعيد. تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦، ص٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٥٧.

وكانت هذه المجالس تعقد في المساجد، أو دور الحديث، أو الخوانق، والربط، والزوايا، أو في غيرها من الأماكن التي قد تجتمع بها النساء، لحضور بعض النساء أو الرجال، وهم يفسرون القرآن الكريم، أو يعلمون الخط، أو يلقون الشعر والخطب والمواعظ.

أما بالنسبة إلى الخوانق والأربطة، فقد كانت النساء تجتمع بها. أو كانت تقيم بها، وكان لهذه الأربطة دور اجتماعي لسكنى بعض النساء الفقيرات ودور علمي تجتمع النساء بها لتلقي الدروس، وتتعلم المقيمات فيها قراءة القرآن والحديث.

وقد ذكر ابن شداد عدداً كبيراً من هذه الربط في دمشق وفي حلب. ففي دمشق هناك أربطة مثل رباط زهرة خاتون، ورباط صفية، ورباط بنت السلار، ورباط عذراء. ورباط بنت الدفين، ويقع داخل المدرسة الفلكية، ورباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل[1].

وكان يجتمع بتلك الأربطة شيخات صوفيات. مثل الشيخة زهرة بت حمد بن احمد بن حاضر، توفيت سنة (٦٣٣هـ- ١٢٣٥م)، وكانت الشيخة زهرة تقيم بالرباط وهي راوية للحديث[2]، وهذا يبين أنها كان لها دور علمي في هذا الرباط.

والجدير ذكره أن معظم تلك الربط التي ذكرتها كانت من انشاء نساء، ومعظم سكان تلك الربط نساء ايضا.

---

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص١٩٥-١٩٢.

(٢) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٣٣. وابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص١٥٩.

وهناك خوانق أيضا أنشئت في بلاد الشام في دمشق[1] وحلب[2] والقدس ايضا،[3] فكان بها رباط بالمدرسة التنكزية[4] يسكنه مجموعة من النساء، وكان هناك شيخة تؤم النساء في الصلاة، وكانت هؤلاء النسوة يجتمعن لتلاوة القرآن والمذاكره وطرح الأسئلة وتلقى الإجابة[5]. وكان بدير المقادسة بجبل قاسيون من النساء من تقوم بتعليم البنات اللواتي في الدير. فقد كانت أمنه بنت عمر بن أحمد بن محمد بن قدامة مقرئة، وكانت تعلم البنات القرآن الكريم، وكن يقرأن عليها. حيث كانت أمنه تجيد قراءة القرآن وتحفظه أيضا[6]. وهناك العديد من المدرسات، وكانت البنات يقرأن ويتعلمن منهن أيضاً، فقد كانت آسية بنت عبد الواحد أم احمد ايضا تحفظ القرآن وتقوم بتلقينة للنساء والجواري،[7] وكذلك ست العز بنت الرئيس أبي الغنائم هبة الله بن حضرى كان لها طلبة يسمعون منها.[8]

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص١٩١-١٩٢.

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١، ص٩٣، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٧٨-٤٠٢.

(٣) عبد المهدى، المرأة في بلاد الشام، ص٤٣.

(٤) التنكزية: تقع بالقدس عند باب الحرم، وتنسب إلى إبي سعيد تنكز بن عبد الله الناصري (ت ٧٤١هـ-١٣٤٠م)، وهو نائب السلطنة بالشام وكان من أركان دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون. وهي من اتقن الأبنية في المدينة المقدسة، اتخذت مركزاً للقضاة والنواب وديواناً للقضاة ودار سكن لهم في عهد السلطان قايتباي. الحنبلي، مجير الدين (ت ٩٢٧هـ- ١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٨٣م، ج٢، ص٣٥. والعسلي، كأمل جميل، وثائق مقدسية تاريخية، عمان.١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، منشوارت الجامعة الاردنية، ص١٠٨. وعارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١م، ص٢٢٤. وصالحية، محمد عيسى، سجل أراضي لواء القدس، عمان،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، ص٩٢.

(٥) عبد المهدي، المرأة في بلاد الشام، ص٤٣.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٥٦.

(٧)المنذري، التكملة، ج٤٨، مج٣، ص١١٤،، ص والذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٤٣١

(٨)الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص١٠٠.

وكذلك كريمة بنت المحدث عبد الوهاب وهي مسندة الشام، فقد كان لها طلبة يستمعون إليها، وتُسَمِّعُ لهم دروسهم، وكانت لا تضجر، فقد كانت كما يصفها الذهبي (طويلة الروح إلى الغاية على الطلبة). [1]

وهناك طريق آخر قد يكون تعليما فردياً ومع مجموعة محدودة، وهو ما يسمى جلسات السماع، فقد تذهب المرأة مع أبيها أو أخيها أو زوجها لتسمع من أحد الفقهاء والعلماء، وقد تكون جلسات السماع في البيت أو في أي مكان آخر. وكانت تلك المجالس مشهورة وذكرها بعض المؤرخين كثيراً[2]. وهناك العديد من النساء اللواتي سمعن على علماء، وقد ذكرت منهن العديد من خلال تعليم المرأة أصناف العلوم المختلفة في الحديث والفقه والشعر وغيره. ومنهن على سبيل المثال لا الحصر؛ سماع اسماء بنت عماد الدين الصصرى أم محمد التغلبية خمسة اجزاء من مكي بن علان[3](ت ٦٥٢هـ- ١٢٥٤م) وتفردت وحدثت أكثر من خمسين سنة وسمعت أيضاً من غيره[4]

---

(١) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٩٣.

(٢) لمزيد من مجالس السماع والتي ذكرها الزبيدي كثيراً انظر: الزبيدي، ترويح القلوب، ص٧٥.

(٣) مكي بن علان، الشيخ الجليل العدل المعمر بن سديد دين أبو محمد مكي بن المسلم ابن مكي الدمشقي،سمع من الحافظ ابن عساكر، وابن فهم بن ابي العجائز وعلي ابن خلدون وتفرد بهم، وأجاز لها ابو طاهر السلفي. روى الكثير وكان شيخاص معتبراً وافر الحرمة من بيت تقدم ورواية، ورواياته صحيحة. الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢٨٦.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٣١٤-٣١٥.

وسمعت الشيخة اسماء بنت محمد بن الحسن الدمشقية من قاضي دمشق ابي المفضل يحيى بن على وهو جدها لأمها وغيره،[1] وخديجه بنت المحدث أبي الميمون عبد الوهاب بنت عتيق سمعت من عبد اللطيف بن أبي سعد الصوفي وغيره[2].

وكانت مجالس العلم مستمرة تتعلم المرأة فيها .وتتلقى دروسها وتعليمها ثم تصبح هي معلمة وتسمع للطلبة.

فقد تلقت السيدة الخاتون أم الحسن فاطمة بنت الملك المحسن بن صلاح الدين هي وأخوها، وكان صغيراً، تعليمها في مجالس السماع على ابن طبرزد (ت ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م)[3].

ثم عندما أصبحت أم الحسن فاطمة قادرة علمياً ومتمكنة، صارت هي تقوم باسماع الطلبة، فقد أسمعت ابنها تقي الدين عمر بن أرسلان[4] في تلك المجالس العلمية.[5] والجدير ذكره أن البيت الأيوبي اهتم بتعليم البنت اهتماما كبيراً بحيث وصلت إلى درجة ان تكون عالمة محدثة كمؤنسة خاتون والمعروفة بدار اقبال بنت الملك العادل بن ايوب وغيرها الكثير[6].

وقد تتلقى المرأة العلوم في المناسبات الاجتماعية. فقد كانت البنات يتلقين بعض الخطب والدروس التثقيفية من خلال جلسات الوعظ التي تلقيها بعض النساء في مناسبات اجتماعية مثل مناسبات العزاء. مثلما فعلت العالمة دهن اللوز التي كانت تعظ في مناسبات العزاء مثلما فعلت في

---

(١) المنذري، التكملة، مج١، ج١٠، ص٣١٤-٣١٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠١، ص٣٩٢.

(٣) الزبيدي، ترويح القلوب، ص٩٢.

(٤) ارسلان، الملك المعظم، زين الدين ابن الملك الزاهر أبو سليمان داود بن يوسف.. الزبيدي، ترويح القلـوب، ص٧٥.

(٥) الزبيدي، المصدر نفسه، ص٧٥.

(٦) تيمور ، احمد باشا، التذكره التيمورية (معجم الفوائد المسائل) دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٣، ص٤٠٩.

عزاء الكامل، كذلك علم زوجة الشيخ الزبيدي والتي كانت واعظة، والواعظة أم الفتح الحلبية فقد كانت تعظ النساء في بعض المناسبات[1] وهذا الطريق في تعليم البنات كان طريقاً مهما وخاصة ان بعض النساء لا تجيد القراءة والكتابة، فكان هذا الأسلوب بسماع المواعظ والإرشادات طريقاً سهلاً بالنسبة للمرأة.

- التعليم عن طريق الرحلات العلمية، ومصاحبة العلماء:

تنقل بعض المصادر رحلاتٍ قامت بها المرأة من بلد إلى آخر طلباً للعلم أولاً، ثم للتعليم فيما بعد، مثلما تنقل حالات عن صحبة المرأة للعلماء من أجل الاستفادة من علمهم مما يعكس قدراً كبيراً من الحرية في طلب العلم، ومن الثقة في المرأة. ومن هذه الحالات:

- فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري (ت ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م) فقد حضرت حلقات العلم في أصبهان، وخراسان، ثم بغداد، ودمشق، والقاهرة. وتلقت علمها عن علماء تلك البلاد[2]. ثم حدثت وعلمت في دمشق، والقاهرة، ومنحت اجازات لعلماء أمثال المنذري[3]، وروت الحديث ونشرت علماً كثيراً[4].

- نعمة ابنة الشيخ أبي الحسن علي بن الشيخ أبي الحسن بن الشيخ أبي محمد يحيى بن علي بن الفراح البغدادي المدير، وكنيتها أم عبد الغني (ت ٦٠٤هـ- ١٢٠٧م). [5] و كان لها حضور واضح في مجال العلم وخاصة الحديث وتنقلت في سبيل ذلك، فقد حدثت في بغداد،

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٧١-٥٨٠، ص١٨٢، ج٦٤٠-٦٥٠، ص٤٠٥. والصفدي الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٦٩،

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٤١٢، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٦٩.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٤١٢.

(٤) المنذري، التكملة، مج ٢، ج١٦، ص١٥. والذهبي، العبر، ج٤، ص٣١٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٠١- ٦١٣، ص١٤٦

ودمشق والحجاز، وغيرها من الأماكن[1]. وقد اطلق عليها ست الكتبة[2]. وقد استحقت هذا اللقب لجهودها العلمية. وقد كانت ست الكتبة من أسرة علم ورئاسة، فهي من بيت الحديث كما يقول المنذري[3]. فقد حدثت هي وأبوها، وجدها أو جد ابيها، وأخوها أبو جعفر محمد، واختها عزيزه، واختها جوهرة[4].

وقد سمعت ست الكتبة من جدها ومن غيره أمثال أبي شجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي وغيره الكثير[5]. سمعت من جدها بعض الكتب القيمة والتي تدل على مقدار علمها وعمقه، فقد سمعت كتاب الجهر بالبسمله، وكتاب الجامع. وكتاب الكفاية للخطيب، ومسألة الاحتجاج بالشافعي، وكتاب السابق واللاحق، والبخلاء للخطيب ايضاً، وكتاب القنوت، والصوم يوم الشك[6].

وروت كتاب الشمائل للترمذي عن ابي شجاع عمر البسطامي[7]. وكانت جملة مسموعات ست الكتبة من تصانيف الخطيب هي مما أجاز الخطيب لجد ست الكتبة[8].

---

(١) المنذري، التكمله، ج٢٠، مج٢، ص١٣٠.

(٢) المنذري، المصدر نفسه، ج٢٠، مج٢، ص١٣٠، وابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٩٥، والذهبي، سير اعلأم النبلاء، ج٢١، ص٤٣٤. وأبن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص١٢.

(٣) المنذري، التكمله، ج٢٠، مج٢، ص١٣٠.

(٤) المنذري، المصدر نفسه، ج٢٠، مج٢، ص١٣٠. والذهبي، العبر، ج٥، ص١٠.

(٥)ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٩٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص١٤٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص١٤٦. ٢- سير اعلأم النبلاء، ج٢١، ص٤٣٤.

(٧) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٩٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص١٤٦.

(٨) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص١٤٦.

وإجاز لها مجموعة من العلماء أمثال محمد بن علي بن أبي ذر الصالحاني ، والحسين بن عبد الملك الخلال[1]. وسمع منها وحدث عنها مجموعة من العلماء المشهود لهم، وقد ترجم لمعظم هؤلاء الذهبي في كتبه المختلفة: تاريخ الاسلام،و العبر، و سير أعلام النبلاء.

ومن هؤلاء الذين سمعوا وحدثوا من ست الكتبة الشريف شرف الدين ابو الفضل القرشي البكري[2]. وابن قاضي اليمن[3]، وشمس الدين ابو عبد الله الدمشقي[4]. وأبو بكر النشبي المؤذن بجامع دمشق[5]. وغيرهم العديد.

وإضافة إلى أن ست الكتبة كانت راوية للحديث فقيهة، فقد كانت زاهدة عابدة. وكانت مشهورة بصلاحها وزهدها.[6].

- تقية الصورية الشاعرة (ت ٥٧٩هـ- ١١٨٣م):

وقد صحبت تقية الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد السلفي (ت ٥٧٦هـ- ١١٨٠م) لفترة من الزمن في الاسكندرية للاستفادة من علمه. وقد ذكرها السلفي في بعض كتاباته وأثنى عليها[7]

---

(١) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٢١، ص٤٣٤، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص١٤٦.

(٢) هو محمد بن محمد بن أبي الفتوح محمد بن عمرو، (ت ٦٦٤هـ-١٢٦٥م). الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٢٠٥.

(٣) هو اسحاق بن عبد الله بن عمر بن عبد الله أبو ابراهيم الدمشقي، (ت ٦٦٦هـ- ١٢٦٧م). الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٢٢٠.

(٤) هو محمد بن أبي الفتح الحسن الحافظ الكبير ثقة الدين أبي هاشم علي بن هبه الله بن عساكر(ت ٦٦٨هـ- ١٢٦٩م) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٦١-٦٧٠، ص٢٦٧.

(٥) هو محمد بن علي بن المظفر بن القاسم (ت٦٧٠هـ- ١٢٧١م). الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٣١٥.

(٦) المنذري، التكمله، ج١٦، مج٢، ص٣٤.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٢٩٧. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٤. والسيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤.

- **الشيخة أم ابي العباس عزيزة بنت عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القرشيه:** وقد قدمت إلى مصر ومكثت بها سنين كثيرة، وهناك صحبت عزيزة الشيخ أبا اسحاق ابراهيم بن طريف مدة من الزمن وقامت بخدمته، كل ذلك للاستفادة من علمه، وقد أثنى عليها كثيراً مجموعة من الشيوخ والفقهاء[1].

وعزيزة هذه واحدة من المحدثات والفقيهات والعالمات والتي تعطي مثلاً واضحاً على مدى حرية المرأة وقدرتها على أخذ العلم من مصادره، وكانت عزيزة أمرأة صالحة وزاهدة كما يصفها الذهبي[2]، وتوفيت عزيزة (٦٣٤هـ- ١٢٣٦م)[3].

الانتاج العلمي للمرأة:

من خلال دراسة الحياة للمرأة في الفترة الأيوبية، ومن خلال دراسة تراجم النساء المتعلمات، نجد ان بعض النساء قد صنفن في العلوم الدينية والأدبية على وجه الخصوص، ومع أن فهارس المكتبات لم تحو كتباً محصورة بالنساء، فان في تراجم بعض النساء وبعض الرجال ما يفيدنا بتأليف أو تصنيف بعض النساء لمؤلفات.

فقد كان لأمة اللطيف بنت الناصح بن الحنبلي انتاج علمي، ولكن المصادر لم تذكر ما هو هذا الانتاج، فمعظم الذين ترجموا لها قالوا: لها تصانيف ومجموعات وتآليف[4].إلا ان الحصيلي

---

(١) المنذري، التكمله، مج ٣، ح٥٢، ص٤٥٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٠٥.

(٢)الذهبي، المصدر نفسه، ح٦٣١-٦٤٠، ص٢٠٥

(٣) المنذرى، التكلمه، مج ٣، ح٥٢، ص٤٥٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٠٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ح٨، ص٧٥٧. والحنبلى شفاء القلوب، ص٢٢٣. ويوسف، محمد خير، المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن. دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ص٢٨.

صاحب كتاب منتخبات التواريخ بدمشق ذكر أن لها كتاب التسديد، وكتاب بر الوالدين[١]. وعندما ترجم الحنبلي في كتابه شفاء القلوب لربيعة خاتون قال ايضاً: ان لها تواليف ومجموعات، وذكر بعض ابيات من شعرها[٢].

وكريمة بنت عبد الوهاب القرشية، خرج لها الحافظ ابو عبد الله البرزالي مشيخة في ثمانية اجزاء[٣]. وكيف لا وهي من النساء اللواتي لهن باع طويل في العلم وخاصة رواية الحديث والمحاورات اكثر من ستين سنة، وأخذ عنها حفاظ وائمة[٤].

ونقية الصورية أم علي الشاعرة لها شعر وقصائد ومقاطيع، وقد ذكرت بعضاً من شعرها[٥]. وكذلك قذالة بنت محمد بن الياس بن عبد الرحمن الشيرجي أم محمد الدمشقية، خرج لها جمال الدين الصابوني أربعين حديثا بالاجازات من شيوخها[٦].

وزينب بنت احمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال[٧]. لها مشيخة، وهذا يبين من كثرة مروياتها ومسموعاتها واجازاتها. وسيدة بنت موسى بن عثمان الماراني أم محمد، وهي من المعمرات (ت ٦٩٥هـ- ١٢٩٥م) في القاهرة، لها مشيخة[٨].

---

(١) الحصيني، محمد أديب آل تقي الدين، كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، دار الافاق الجديدة، بيروت،١٩٧٩م، ج١، ص٤٠٣.

(٢) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٣.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٩٣.

(٤) المنذري، التكمله، مج ١٣، ح٥٩، ص٦٢٤. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٩٤.

(٥) السيوطي، نزهة الجلساء، ص٣٤.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٣٢٧.

(٧) يوسف، المؤلفات من النساء، ص٤٥.

(٨) يوسف، المؤلفات من النساء، ص٤٥.

الفصل الثالث

الوضـــــع الاقتـــصادي للــــــمـــــرأة في العصر الأيوبي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الثروات

المبحث الثاني: مصادر دخل المرأة في العصر الأيوبي

المبحث الثالث: مظاهر ثراء المرأة في العصر الأيوبي

المبحث الأول

الثروات:

تمتعت المرأة في الفترة الأيوبية- وعلى الأخص نساء البيت الحاكم- بقدر من الرفاه الاقتصادي، وأمتلحكت بعضهن أموالاً طائل حتى كان لها ديوان خاص يشرف على أموالها وعلى الأوقاف المتعلقة بها[1].

ومن النساء الثريات نذكر:

- ست الشام بنت أيوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م)

وقد ملكت ثروات كبيرة، وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عند ترجمته لأبي بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله الأنصاري ابن الشيرجي أنه " تولى ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب، وفوضت إليه أمر أوقافها"[2]. مما يدل على ثرائها وكثرة أوقافها.

وإلى ست الشام تُنسب مدرستان واحدة داخل دمشق والأخرى بظاهرها[3]. وبعض المصادر تذكر المدرستين بالبرانية والجوانية[4]. وقد وقفت عليهما أوقافاً كثيرة وخاصة المدرسة التي بظاهر دمشق وهي المدرسة التي دفنت بها عند وفاتها[5]. ولكثرة أوقاف ست الشام وصفها ابن تغرى بردى بـ " صاحبة الأوقاف والأربطة بدمشق وغيرها"[6].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٤٣

(٢) ابن كثير، المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٣) ابو شأمه، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٨٠.

(٤) ابو الفداء، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٩٢.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص٢٩٠. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٦٧.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢١٧.

وقد كانت ست الشام تمتلك ثروة كبيرة. بحيث أنها كانت تعمل في دارها في كل سنة ما قيمته ألوف من الدنانير الذهبية من الأشربة، والمعاجين، والعقاقير، وتوزعها على الناس[1].

وقد أنفقت ست الشام أموالاً عظيمة على نقل جثمان أخيها السلطان صلاح الدين من دمشق التي دفن فيها سنة ٥٨٩هـ- ١١٩٣م، إلى تربته التي أعدها له الملك الأفضل قرب الجامع. وكان ذلك يوم عاشوراء سنة ٥٩٢هـ- ١١٩٥م أموالاً عظيمة في تلك العملية[2].

وعرف عن ست الشام أنها كثيرة الصدقات والاحسان للمحتاجين[3]. وقد وصفها بذلك ابو شامه بقوله:" كثيرة البر، والصلات، والإحسان، والصدقات"[4]. وهذه الصفات إن وجدت بشخص فإنه يحتاج إلى أموال حتى يستطيع تحقيق ذلك. وهذا ما تمتلكه ست الشام حسب ما ورد في المصادر.

وبسبب الثروة الطائلة التي كانت تمتلكها ست الشام كانت محل اهتمام الملك المعظم، وذلك ليستولي على أموالها وأملاكها، ولهذا فقد منعها من الخروج من دمشق، وكان يتهمها ان عندها من الجواهر ما لاتحصى قيمته، وأن مصدر تلك الجواهر كان من القصور بالقاهرة، رغم أن المعظم كان كثير الإحسان والبر بعمته ست الشام[5].

---

(١) ابو شامه، ذيل الروضتين،ج٥، ص١٨٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٩٢. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢١٧.

(٢) ابو شامه، الروضتين،ج٤، ص٢١٦. وابو الفداء المختصر، ج٢، ص١٧٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، مج٧، ص٩٢.

(٤) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٨٠.

(٥) النويري، نهاية الأرب،ج٢٩، ص٦٣.

- ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م).

وممن عرف من نساء بني أيوب انها تمتلك ثروة كبيرة الملكة ضيفة خاتون، إضافة إلى أنها كانت تحكم البلاد وتتصرف تصرف السلاطين لمدة ست سنوات، لذلك من الطبيعي أن تكون لها قدرة مادية كبيرة. ولكن عرف أن لديها أموالاً وأوقافاً أخرى قبل ذلك.

ويكفي أن نذكر ما قدم معها عند زواجها من الظاهر من مصاغ وجواهر وأقمشة وجوار وغيرها لنعرف مقدار ثروتها المادية. ففي سنة ٦٠٩هـ -١٢١٢م. وعند وصول الخاتون إلى حلب بعد عقد العقد فقد كان يرافقها:

"(.... وقدم معها من القماش والآلات وأنواع المصاغ ما يحمله خمسون بغلا ومائة بختي وثلثمائة جمل، ومن الجواري والوصائف والأماء والحرائر في المحاير[1] والكلجاوات[2] ما يحملهن مائة جمل) [3] وقد ذكرت بعض المصادر أنه كان يخدم- ضيفة خاتون مائتا جارية، مائة مطربات، ومائة أخرى يتقن الصنائع البديعة والمتميزة[4].

وعند قدوم ضيفة خاتون إلى زوجها الظاهر إلى قلعة حلب قدم لها خمسة وخمسين عقد جوهر قيمتها مائتان وستون ألف درهم، أي ربع مليون ويزيد من الدراهم، وعصابة مجوهرة،

---

(١) المحاير: والمَحَارةُ: شبه الهودج، والعامة يشددون أو يجمع بالألف والتاء. الزبيدي، محمد مرتضى عبد الكريم الحسني، ت ١٢٠٥هـ- ١٧٩٠م، تاج العروس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار الجيل، الكويت، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م. ج١١، ص١٠٦.

(٢) الكاجاوات، لم أجدهما ولكنها من سياق الكلام مثل الهودج والمحاير.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٢١٤. والحنبلي، احمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ- ١٤٧١م، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ- ١٩٩٦م. ص ٢٨٣.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٢١٤. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣. والنعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج١، ص٢٦٠.

وعشر قلائد عنبر وخمس عشرة مذهبة، ومائة وخمسين قطعة من الذهب بالفضه، وعشرين تختاً من الثياب الفاخرة، وعشرة خدأم وعشرين جارية، إضافة لما قدم معها[1].

- **ربيعة خاتون (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م)**

وهي ربيعة خاتون بنت أيوب بنت شادي، أخت الملك الناصر والملك العادل، وأخت ست الشام[2]. وقد وصفت بأنها كان لها أموال جمه"[3]. وهي صاحبة الأوقاف الكثيرة[4] ويكفي أن نقول إن بعض من خدمها أصبح ثرياً فقد كانت تخدم ربيعة خاتون أمة اللطيف بنت الناصر ابن الحنبلى العالمة فأحبتها ربيعة خاتون وحصل لها من جهتها أموال عظيمة[5].

أما أمة اللطيف العالمة (ت ٦٥٣هـ- ١٢٥٥م) فقد كانت تمتلك من الثروة الشيء الكثير والأموال العظيمة، وقد لاقت بعد وفاة سيدتها ربيعة خاتون من المضايقات والمصادرات، ومطالبة بالأموال، حتى أنها سجنت بقلعة دمشق لمدة ثلاث سنوات بسبب تلك الأموال[6].

---

(١) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١- ٦٥٠، ص١٦٢.

(٣) ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي، ت ٨٠٩هـ- نزهة الانأم في تاريخ الإسلام: تحقيق سمير طبّاره. المكتبة العصرية، بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م. ص١٦٢.

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ح٦، ص٣١٣.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٢. وابن دقماق، نزهة الانأم. ص١٦٢. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٢، والنعيمي، الدارس، ح٢، ص٦٢.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٢. والنويري، نهاية الأرب، ح٢٩، ص٢٠٥.

ووجد لأمة اللطيف من الأموال بعد وفاتها جواهر ويواقيت ما يعادل ستمائة ألف درهم غير الأملاك والأوقاف الكثيرة[1]. وهكذا نلاحظ مدى ثراء تلك المرأة الذي قد يصل إلى أكثر من نصف مليون درهم غير الأملاك والأوقاف.

- أرغون الحافظية (ت ٦٤٨هـ- ١٢٥٠م):

وكانت أرغون الحافظية[2] تمتلك أموالاً كثيرة، وكما قال ابن كثير "جزيله عظيمه"[3]. وقد صادرها الصالح اسماعيل فأخذ منها أربعمائه صندوق من المال، وكان لها أوقاف كثيرة وقفتها على التربة والمسجد بعد أن انشأتهما بالبستان الذي اشترته من النجيب ياقوت الذي كان خادماً للشيخ تاج الدين الكندي[4]، وكانت أمرأة صالحة مدبرة[5].

وهكذا يتبين أن تلك المرأة كانت تمتلك من الأموال الشيء الكثير، فأربعمائة صندوق من المال بتلك الفتره تعتبر ثروة طائلة.

---

(١) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر بن قزا وغلى التركي، ت ٦٥٤هـ- ١٢٥٦م، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثماني، بحيدر آباد الدكن- الهند، ط١، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م، ج٨، ص٧٥٧. والنويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٠٥. وابن دقماق، نزهة الأنام، ص١٦٣. والنعيمي، الدارس، ج٢، ص٦٣.

(٢) سميت كذلك: لتربيتها وخدمتها للملك الحافظ صاحب قلعة جعبر. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٣٥١، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٩٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٩٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٩٢.

(٥) ابن كثير، المصدر نفسه، ص١٩٢. وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٠.

- **شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م):**

وكانت شجر الدر تمتلك الأموال والمجوهرات الكثيرة، فقد تصدقت بأموال جزيلة عن زوجها الصالح نجم الدين ايوب عندما نقل إلى تربته بمدرسته سنة تسع وأربعين وستمائة[١].

كذلك عندما قتل المعز وأيقنت شجر الدر أنها مقتولة، أخذت أمواله، أودعت جزءاً منها، ثم أخذت المجوهرات النفيسة، واللآليء الثمينة وأتلفتها، حتى لا يتمتع بها غيرها[٢]، وبالأخص الملك المنصور ابن المعز ايبك وأمه، فإنها كانت تكره المنصور ووالدته[٣].

- **الخاتون عصمة الدين (ت ٥٨١هـ-١١٨٥م):**

وهي عصمة الدين الخاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين لها أوقاف كثيرة[٤]، وكان لها صدقات ورواتب للفقراء[٥]، وهذا لا يتأتى للمرأة إلا بوجود أموال تستطيع التصرف من خلالها.

وقد تركت بعد وفاتها أملاكاً وتراثاً وأوقافاً وأمتعة وأثاثاً كثيراً[٦].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٦٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٢١٢، وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة،ج٦، ص٣٣٦.

(٣) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣٧.

(٤) ابو شامه، الروضتين، ح٣، ص١٦٠. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ح٦، ص٩٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ح٤، ص٢٧٢.

(٥) ابو شامه، الروضتين، ح٣، ص١٥٧.

(٦) ابو شامه، المصدر نفسه، ح٣، ص١٦٠.

- **ملكة خاتون:**

ملكة خاتون ابنة الملك الأشرف (ت ٦٩٤هـ - ١٢٩٤م) وعندما أحس بقرب وفاته اوصى لها بجميع الجواهر[1]. ووقف على تلك البنت دار فروخشاه التي يقال لها دار السعادة وبستان النيرب[2].

- **ابنة السلطان علاء الدين:**

وفي سنة احدى وخمسين وستمائة، قدمت ابنة السلطان علاء الدين من الروم، إلى زوجها الملك الناصر، وكان جهازها وأمتعتها على ألف جمل، ومحفتها بأطلس مكللة بالجواهر والذهب. وهي بنت ابنة السلطان العادل[3].

- **عصمة الدين مؤنسة خاتون:**

وقد تركت الست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون، شقيقة الملك الأفضل قطب الدين أحمد مالاً جزيلاً بعد وفاتها وكانت صاحبة صدقات كثيرة في حياتها[4].

وهكذا نلاحظ أن المرأة في العصر الأيوبي كان لها قسط وافر من الثراء وكثرة الأموال وتتمتع بوضع اقتصادي عالي المستوى.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٣، الحنبلين شفاء القلوب، ص٣٢٥. النيرب: قرية مشهوره بدمشق في وسط البساتين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٣. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٢٥

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٦-٧

(٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٥٠.

المبحث الثاني

مصـــــــادر دخــــــل المــــــرأة في العصر الأيــــوبي

- الإنفاق من رب الأسرة
- الميراث
- الوصية والوقف
- الأعطيات والهدايا
- العمل

لقد تعددت مصادر دخل المرأة وتنوعت في الفترة الأيوبية. وكانت بعض النساء تصل إلى مرحلة عالية ومتطورة في وضعها الاقتصادي بحيث ان بعضهن تصل القيمة النقدية لثروتها من الأموال والذخائر واليواقيت أكثر من نصف مليون درهم عدا الأوقاف والأملاك[1]. مثل أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي وهي العالمة المشهورة صاحبة التصانيف والمجموعات[2] هذه المرأة كانت تخدم ربيعة خاتون بنت أيوب وقد حصلت على أموالها من سيدتها. فإذا كان هذا حال أمة اللطيف فكيف كان حال السيدة من الناحية الاقتصادية وهي من عرف عنها الثراء وكثرة الأموال؟

وهناك أمثلة كثيرة لنساء ثريات، وقد ذكرت عدداً منهن في موضعه من البحث، أما مصادر معيشة المرأة فنستطيع ان نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الأنفاق من رب الأسرة

يعتبر إنفاق رب الأسرة على أفرادها هو الأمر المعتاد على مر العصور وكان الزوج هو المكلف بالانفاق على الزوجة حسب قدرته المادية ، والجدير ذكره أن بعض الرجال في الفترة الأيوبية اشتهر بكثرة الأموال أمثال القاضي الفاضل[3]، وابن نجية الواعظ زوج فاطمة بنت سعد الخير وهي رأوية الحديث المعروفة[4]، والأمير حسام الدين لاجين وهو من كبار الأمراء بدمشق،

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٥-١٤٥. الذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٤٥

(٢) المصدر نفسه، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٤٥. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣١٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص١٢٨.

(٤) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٥٤. والذهبي، العبر،ج٥، ص٥٤. وابن العماد ، شذرات الذهب، ج٤، ص٣٤٠.

كان يمتلك ثروة كبيرة وخلف تركه عظيمة[1]. وغيرهم العديد ممن يمتلك ثروة هائلة، وهذا بالطبع ينعكس على عائلاتهم من أولاد وزوجات.

وهناك بعض الروايات والتي يتبين منها أن بعض مصادر دخل المرأة هو من انفاق الزوج على الزوجة، أي ان الزوج هو الذي يقوم بالانفاق على الزوجة من أمواله الخاصة فهناك بيت من الشعر لأبي شامة من قصيدة كتبها في زوجته ست العرب حيث يقول:

تغار من أسباب النقائص كلها   وتحفظ مال الزوج والنفس والأهلا[2]

وهذا يبين أن الزوج هو الذي ينفق على اسرته بمن فيهم زوجته وأن الزوجة المحمودة هي التي تحفظ مال الزوج، وتحافظ على نفسها وأسرتها.

وعند ترجمة بعض المؤرخين لعبد الله بن عبد العزيز اليونيني الزاهد. وعندما تحدث عن زهده وأنه من الأولياء الصالحين وردت رواية للشيخ على الشيليى وقال فيها: (احتاجت زوجتي إلى مقنعة وطالبتني، فقلت : علي دين خسمة دراهم فمن اين أشترى لك...) [3] وهذه الرواية تبين أيضا أن نفقة المرأة كانت على الزوج إلا أنها كانت قليلة نظراً لضيق ذات يده.

وفي رواية أن زوجة نور الدين محمود بن زنكي طلبت منه بعض المال فأعطاها ثلاثة دكاكين كان يمتلكها في حمص، وكانت أجرة تلك الدكاكين حوالي عشرين ديناراً في السنة ولكن زوجته لم يعجبها لقلة الأجر المأخوذ من تلك المحلات ولكن نور الدين قال لها: (ليس لي إلا

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص١١٨.

(٢) أبو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٨. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٧٤.

هذه، وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين) [1] وهذا يبين أن المرأة تعتبر ان لها حقاً عند الزوج وتطالب بحقها في أمواله.

وقد تصادر أموال ومجوهرات الزوجة على اعتبار أن تلك الأموال تكون من الزوج أو لأي سبب آخر قد يكون سياسياً أحياناً.

فقد صادر قطز جواهر وأموالاً كثيرة من زوجة الملك الناصر حاكم دمشق، وكذلك أخذ أموالاً كثيرة من نساء الأمراء القيمرية، وعاقب بعضهن. وكان هذا في سنة ثمان وخمسين وستمائة[2]. إلا أن هؤلاء النسوة ملكن أموالهن في الفترة الأيوبية.

وهذه النصوص جميعها تبين أن الإنفاق يكون دائماً يكون من الزوج وأن دخل المرأة يكون من جهة زوجها إلا بالطبع في بعض الحالات تكون الزوجة موسرة وحالتها المادية أفضل من زوجها فهنا يكون مصدر دخل الأسرة من قبل الزوجة وهي التي تنفق على زوجها أو تكون مصدراً لثروته كما حصل للحافظ الكبير السلفي، فقد حصلت له ثروة بعد فقر، حيث رحل إلى الإسكندرية، وهناك تزوج أمرأة ذات يسار، وحصلت له ثروة ووجاهة بعد أن كان فقيراً متصوفاً[3].

وقد تحصل الأمة على أموال من سيدها أو سيدتهال تقديراً لها، كما حصل للعالمة أمة اللطيف أو الحافظية أرغون عتيقة الملك العادل، وهي من كانت تمتلك الأموال الطائلة بحيث أن

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٦١-٥٧٠، ص٣٧٧.

(2) المقريزي، السلوك، ق٢، ج١، ص٤٢٦.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٦١. والذهبي: سير اعلام النبلاء ، ج٢١، ص٢٥: وتاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٧١-٥٨٠، ص٢٠٢.

الملك الصالح إسماعيل صادرها وأخذ منها أموالاً كثيرة. وكانت قد حصلت علىٰ هذه الأموال عطاء من سيدها الملك العادل[1].

- **الميراث:**

ومن مصادر دخل المرأة الميراث، ولقد حدد الشرع الميراث حسب قواعد وأصول لا داعي لذكرها لأن ذلك ليس مجال بحثنا. ولكن الواقع أن المرأة قد يكون ميراثها هو من ضمن دخلها الذي تستيطع العيش منه. وقد وردت بعض الإشارات والنصوص التي تبين وصول مبلغ من المال أو عقار معين للمرأة من زوجها أو من أبيها مثلاً. وسوف أذكر بعض الحالات والتي كان المبلغ المستحق مجزياً وكبيراً بمقاييس تلك الفترة.

فقد ترك محمد بن شيركوه صاحب حمص ابن عم السلطان صلاح الدين تركة تزيد على مليون دينار، وكان لمحمد هذا ابن اسمه شيركوه على اسم جده وبنت اسمها سفري خاتون، وزوجته الحسامية وهي ست الشام اخت السلطان صلاح الدين وهؤلاء ورثه محمد بن شيركوه[2] وقد طلب السلطان صلاح الدين من اخية العادل وقال له: (قسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى)[3]. فقد كان نصيب الزوجة الثمن والباقي بين البنت والابن[4].

وقد ورثت بنات حسام الدين لاجين العزيزى، مبلغاً كبيرا من تركة أبيهن. – مع ملاحظة أن المورث والورثة عاشوا في الفترة الأيوبية، وامتدت حياتهم بعدها–. وقد وجب للديوان في سنة

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٧، والصفدي، الوافي بالوفيات،ج٨، ص٣٥١. وابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص١٩٢.

(٢) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٦٣.. وابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٤.

(٣) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٦، ص٩٤.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٦٣، وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٣.

اثنتين وستين وستمائة مبلغ اربعمائة ألف درهم. وسمح به السلطان قطز وذلك استجلاباً للقلوب، ويقصد من وراء ذلك أن يفهم الأمراء أن من مات وهو في خدمة السلطان وعلى ولائه له، ينظر في أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه(1).

وهذا النص وسابقه يتبين منهما أنه كان السلطان قد يأخذ احياناً أموالاً من الورثة وذلك حقاً للديوان. وهذا يرجع إلى رأى الحاكم أو السلطان.

- الوصية والوقف:

تعتبر الوصية والوقف من مصادر الدخل عموماً، ورغم أن المصادر لم تذكر عن هذا الموضوع كثيراً ولكن هناك بعض الإشارات القليله التي تبين حصول المرأة على مقادير من المال عن طريق الوصية لها أو الوقف عليها.

فقد أوصى الملك الأشرف لابنته ملكة خاتون(2) بجميع الجواهر ووقف الأشرف أيضا على ابنته دار فروخشاه والتي يقال لها دار السعادة وكذلك وقف عليها بستان النيرب(3)(4)

---

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص509.

(2) ملكة خاتون هي بنت الاشرف الوحيدة، تزوجها ابن عمها الجواد يونس بن ممدوح بن العادل، ثم طلقها وتزوجها ابن عمها المنصور، ابن الصالح إسماعيل، هي أم ولديه، وهي التي اثبت ناصر الدين المقدسي سفهها في دولة المنصور قلاوون، (ت 694هـ-1294م). ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص145. والحنبلي، شفاء القلوب، ص325.

(3) النيرب: قرية مشهورة بدمشق في وسط البستانين، أنزه موضع. الحموي، معجم البلدان،

(4) النويري، نهاية الأرب، ج29، ص143، الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة631-640، ص271.

ووقف سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر المدرسة الخاتونية على أخته عصمة الدين بنت معين الدين أنر[1] وكان شرط الوقف أنها على الخاتون طوال حياتها ثم من بعدها على عقبها ونسلها، لكنها لم تعقب[2].

وقد وقفت ست الشام المدرسة الشامية الجوانية على نفسها ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ثم على أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين أي ان المرأة تأخذ نصف نصيب الرجل[3] وغير ذلك من الأوقاف يطول شرحه.

- الأعطيات والهدايا.

وللمرأة مصادر مالية أخرى ولكنها ليست كثيرة أو لم تذكرها المصادر بشكل كبير، ولكن توجد اشارات بسيطة لها، فقد يصل للمرأة الهدايا أو الأعطيات من الدولة أو من رجال الدولة كالسلطان.

فعندما قدمت ضيفة خاتون إلى زوجها الملك الظاهر إلى حلب احتفل الملك لملتقاها، وقدم لها أشياء كثيرة نفيسة[4].

وعندما قدمت بنت شاة أرمن من صاحب خلاط إلى الملك الأشرف تشكو إليه ما وصل حالها بعد أخذ ضيعتها من قبل الحاجب، أمر لها بقماش، وأن تجهز دار لسكناها إضافة إلى

---

(١) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٥٧، وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٠٧.

(٢) النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٩.

(٣) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٧.

(٤) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٠٦، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٧.

أمتلاك ضيعتها وردها إليها[1] وهناك بعض الأموال قد تأتي للمرأة كمكافأة لها على عمل تقوم به أو إحسان نتيجة تعويضها عن شيء. كما حصل للمرأة التي قدمت إلى القاهرة وكانت تجيد الكتابة برجليها حيث انها كانت فاقدة يديها، فأعجب الناس بذلك وحصلت على أموال كثيرة من الملوك والخواتين[2]

وفي فترة لاحقة أي في بداية دولة المماليك وبالتحديد سنة احدى وستين وستمائة التقى الملك الظاهر بيبرس الصالح البندقداري مع أم الملك المغيث عمر بن العادل ابي بكر الكامل بن العادل الأيوبي صاحب الكرك[3]. ويقال ان سبب اللقاء كان حتى تستوثق من الملك الظاهر لابنها المغيث. وقد انعم الملك الظاهر على أم المغيث انعاما كثيراً وأعطى كل من كان معها الشيء الكثير[4]. ورغم ذلك وفيما بعد وعند التقاء الملك الظاهر مع المغيث اعتقله ومن معه وأرسله إلى القاهرة[5]. وهذا يبين أن إنعامه على أم المغيث كان فخاً للابن حتى يحضر ومن ثم يعتقله.

- العمل:

مارست المرأة في الفترة الأيوبية عدداً من الأعمال والمهن، وكانت تتقاضى على بعضها أجراً مما يشكل مصدر دخل لها ولأسرتها، ونذكر من المهن التي أشارت إليها المصادر:

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٣، والذهبي، تاريخ الإسلام ، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، وابـن العمـاد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٧٥.

(٢) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٦١.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٨١.

(٤) المقريزي، المصدر نفسه،ج١، ق٢، ص٤٨١.

(٥) العيني، عقد الجمان، ص٣٥٤.

معلمة:

لقد قامت المرأة في الفترة الأيوبية بدور واضح في مجال التعليم وعملت كمعلمة، وكان لها طلبة يحضرون مجالس العلم. فقد كانت ست العز بنت الرئيس أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبيّ وتدعى أم منعم[1] معلمة وتسمع الطلبة وقد منحت الاجازات العلمية لعدد من العلماء منهم المنذري[2].

وكذلك مسندة الشام كريمة بنت الحبقيق، والتي حدثت سنين طويلة فقد كانت معلمة ولها طلبة فالذهبي يقول: كانت طويلة الرّوح إلى الغاية على الطلبة لا تضجر من التسميع[3] وهنا يبين النص أن كريمة تقوم بتدريس الطلبة وهي تعطى الطلبة وقتاً طويلاً دون ملل وذلك لفائدة الطلاب وللتأكد من أن المعلومات وصلت ورسخت عند الطلبة.

وحياة كريمة الطويلة الزاخرة في العلم، تؤكد أنها تقوم بدورها العلمي اتجاه طلابها خير قيام ولا أدل على ذلك من كثرة من اخذ عنها من الأئمه والحفاظ، والمده الطويلة في مجال الحديث، فهي محدثة وروت الكثير الكثير عن مجموعة كبيرة من العلماء المشهود لهم[4].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص١٠٠.

(٢) المنذري، التكمله، مج ٣، ص٤٩، ص٣٩٧.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٩٣

(٤) المنذري، التكمله، مج ٣، ح٥٩، ص٦٢٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٩٣. وابن العماد، شذرات الذهب، ح٥، ص٢١٢.

وأمنه بنت أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة. كانت أيضاًتعلم البنات بالدّير[1] القراءه[2]، فقد كانت أمنه مقرئه تحفظ القرآن الكريم[3]. وأمية بنت عبد الواحد المقدسية أيضاً كانت معلمة وتقوم بتلقين القرآن الكريم للنساء[4].

الواعظة:

وقد عملت المرأة واعظة أيضاً فقد كانت العالمة دهن اللوز تعظ النساء وقد تكلمت في عزاء السلطان الملك العادل[5]. وكانت علّم زوجه الشيخ محمد بنت يحيى الزبيدي واعظة أيضاً[6]. وهدية بنت محمد بن احمد بن خميس أم الفتح الحلبية كانت واعظة[7].

الدايه أو القابلة:

فقد كانت المرأة تعمل داية[8]، وهي التي تقوم بتوليد النساء. ورغم أن المصادر لم تذكر الكثير عن هذا الموضوع ولكنه من الطبيعي أن تكون أمرأة متخصصة لمساعدة المرأة عند الولاده، وهناك بيت من الشعر للقاضي الفاضل اورده الأصفهاني في كتابه سنا البرق الشامي يذكر فيه القابلة.

---

(١) الدير يقع بجبل قاسيون، وهو للمقادسه- بنى قدامة. ابن طولون، القلائد الجوهرية، ح١، ص٨١.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٥٦.

(٣) المصدر نفسه، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٥٦.

(٤) المصدر نفسه، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٤٣١.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ح٣، ص٢٦٩

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٧١-٥٨٠، ص١٧٢

(٧) المصدر نفسه، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٤٠٥.

(٨)الأصفهاني، عماد الدين أبو عبد الله بن ابي فرح (ت ٥٩٧هـ- ١٢٠١م)، سنا البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحياري، مؤسسة شومان، ط١، عمان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م، ج٣، ص٧٦. و ابو شامه، ذيل الروضتين، ح٥، ص١٣.

أبت الشبهات أن تجاب عليه شبهاتها وفدت الخدام باياتها والقوابل بأماتها[1]

وقد استمر دور الدايه طوال فترات التاريخ ولفترة قريبه كانت هناك الدايه ومازالت في بعض القرى النائية في بعض البلاد. وهناك من الرجال من عرف بمهنة أمه أو لقبها. فقد اشتهر في الفترة الأيوبية أربعة كان لهم دور كبير في الأحداث الدائرة في الفترة الأيوبية ألا وهم أبناء الدايه الأربعة منهم: سابق الدين عثمان صاحب شيزر. وتوفي سنة (ت ٥٩٣هـ- ١١٩٦م). وكانت أمهم تعمل داية نور الدين محمود بن زنكي[2].

وقد كان الناس يستدعون القابلة للبيوت لمساعدة المرأة عند الولادة. وقد لاقت في بعض الاحيان المصاعب والمشاق نتيجة خروجها إلى البيوت أو عند استدعائها للحاجة كما حصل لبعض القابلات في سنة ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م، وهي سنة ذروة المجاعة والمحنة التي حصلت لمصر. وهذه القابلة شاهدت مأساه امرأة تذبح وتقطع وتخزن للأكل[3].

المرضعة:

وهذا الدور كان قديما واستمر إلى الفترة الأيوبية ثم إلى الفترات اللاحقه. وقد أورد أبو شامه نصاً عن ابن أبي طي قال: " حدثتني ظئر"[4] لي من نساء الحلبيين كانت تداخل أخت السلطان الملك الناصر... [5].

---

(١) الأصفهاني، سنا البرق الشامي، ج٣، ص٧٦.

(٢) ابو شامه، ذيل الروضتين، ح٥، ص١٣.

(٣) البغدادي، عبد اللطيف، ت ٦٢٩هـ- ١٢٣١م. الإفادة واعتبار في الأمور المشاهده والحوادث المعاينة بأرض مصر. تحقيق احمد غسان سبانو، نشر وتوزيع دار قتيبة، دمشق،ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٨٩.

(٤) الظئر: العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له. الزبيدي، تاج العروس، ج١٢، ص٤٦٠. مادة ظئر.

(٥) ابو شامه، الروضتين،ج٣، ص١٩٨.

وهذا يبين أن هناك من تقوم بإرضاع أولاد غيرها في تلك الفتره. وقد عين مظفر الدين صاحب أربل[1] للدار التي انشأها للملاقيط جماعة من المراضع ليقمن بإرضاع هؤلاء الأطفال[2].

الماشطة:

وجدت في الفترة الأيوبية نساء متخصصات لتزيين العرائس والنساء في الأفراح، وقد كانت الماشطة تحضر أدوات الزينة والحلي معها إلى دار العروس لتقوم بتزيينها[3]. ومهنة الماشطه كانت تدر على المرأة أموالاً تجعلها في يسار من أمرها، بحيث أنها قد تتعرض في بعض الأحيان إلى التحايل والاعتداء عليها من أجل الحلى التي تمتلكها والتي تعيرها للعروس يوم فرحها ثم تستردها[4].

وقد تسمى بعض الرجال بأسماء أمهاتهم اللواتي شغلن هذه المهنة أي الماشطه فقد عرف الشريف جعفر العلوي العمري المصري والمتوفى بعد الستمائة بابن الماشطه[5].

عمل المرأة بالنقش:

وهناك من النساء من كانت تقوم بتزيين النساء بالنقش حيث تقوم بالنقش على الجلد سواء على الوجه أو اليدين[6]. وكان عمل المرأة بالنقش منفصلاً عن عمل الماشطة.

---

(١) مظفر الدين هو الملك المعظم أبو سعيد كوكبورى، صاحب اربل، اتصل بخدمه السلطان صلاح الدين وتزوج اخته ربيعة خاتون. ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٣٨

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٢١-٦٣٠، ص٤٠٢. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٣٩.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧١، ص١١. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٢١.

(٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٥٢١.

(٥)الحجاري، النجوم الزاهرة في حلي حضره القاهرة، ص٢١٣.

(٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٢٤. وابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ص١٥٧. والنويرى، نهاية الأرب، ح٢٩، ص١٤٣.

النائحة

وكذلك كانت بعض النساء تقوم بمهن أخرى غير ذلك وهي عمل النائحه[1]، وقد عملت المرأة وهي التي تندب الميت بهذا العمل لتأخذ الأجر منذ فترة سابقة على العهد الأيوبي واستمرت إلى الوقت الحاضر تقريباً وهذا العمل يخص المصريين بشكل أكبر من المناطق الأخرى[2].

وقد تكون بعض النساء متخصصات، وأحياناً تقوم بذلك نساء من عائلة الميت او نساء الحي أو نساء الخاصة والعامة إذا كان الميت من الملوك أو الروساء[3].

- التجارة:

وردت اشارات إلى ممارسة بعض النساء لأنواع من التجارة البسيطة. فقد كان نور الدين زنكي يأمر بعمل بعض الملابس وبعض حلقات لفتح الأبواب، وله عجائز في حلب ودمشق يقمن ببيع تلك المصنوعات سراً[4].

- الأعمال المنزلية:

وبالإضافة للأعمال التي تتقاضى عليها الأجر وتكون كمهنة للمرأة هناك اعمال كانت تقوم بها المرأة داخل بيتها وهي خدمة لأولادها وزوجها وأسرتها بشكل عام. وهذه الأعمال

---

(١) ابن منقذ، اسامه الكناني، ت ٥٨٤هـ- ١١٨٨م. الاعتبار، تعليق عبد الكريم الأشتر، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،دمشق، ١٤٠هـ- ١٩٨٠م. ص٢٠٠

(٢) أحمد، نريمان عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ص٧٧.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٨. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٧٣. والمقريزى، السلوك، ج١، ص١٦٩.

(٤) سبط ابن الجوزي، مروية الزمان، ج٨، ص٣١٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٦١-٥٧٠، ص٣٨٤.

متعددة من تنظيف البيت، والطبخ، والخبز[1] والغسيل. وأحياناً الخياطة والتطريز. وقد اجمل أبو شأمه الأعمال التي تقوم بها المرأة داخل بيتها في مجموعة من الأبيات الشعرية وذلك من خلال قصيدة مدح بها زوجته ست العرب. وست العرب هذه أم أحمد بنت شرف الدين محمد بن علي بن دنو القرشي العبدرى الأندلسي المرسي ومما قاله[2]:

ملازمة للشغل في البيت دائماً   على صغر من سنها لاتني فعلا

مطرزة خياطة ذهبية   مفصلة خطاطة تحكم الغزلا

تنقل في الأشغال من ذا وذا و ذا   وتفعل حتى الكنس والطبخ والغسلا

وما ذاك من عدم فلم يخل بيتها   من أمرأة تكفي إذا شاءت الفعلا

ولكنها اعتادت نظافة شغلها   فعافت فعال الكل واحتملت فعلا

والأبيات السابقة تبين تقريباً معظم الأعمال التي كانت تقوم بها المرأة في بيتها إضافة بالطبع لتربية الأولاد. وكذلك تبين أن هناك نساء تعمل في البيوت مقابل أجر ولكن إن ارادت سيدة البيت ذلك.

---

(١) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٨٢.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠١.

وهناك بعض النصوص التي تبين عمل المرأة في البيت ولكنها قد تأخذ أكثر من احتمال فأما إن تقوم المرأة بذلك لبيتها أو بأجر ففي سنة ٦٠١هـ -١٢٠٤م" جاءت الفرنج حماة بغته، وأخذوا النساء الغسالات من باب البلد على العاصي"[١].

وهذا النص يبين أن المرأة تذهب إلى النهر لغسل الملابس، وقد يكون الغسيل لست البيت، وقد يكون لغيرها بالأجر. وكذلك هناك نساء متخصصات في الطبخ والخبز والطحن. فقد احتاج بنو قدامة وهم يبنون الدير على الجبل إلى أمرأة تقوم بالطبخ والخبز عندما صعب عليهم حمل ذلك من البلد. فقد قال أحدهم: يريدون ساسوسة يعني بذلك أمرأة تخبز لهم وتطحن[٢]. وكانت نساؤهم قبل ذلك يقمن بهذه الأعمال بأنفسهن، يقول الحافظ ضياء الدين: سمعت والدتي تقول: مكثنا زماناً لا يأكل اهل الدّير إلا من بيت اخي ، تطبخ عمتك ويأكل الرجال جميعاً والنساء جميعاً[٣].

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ج٦، ص١٦٦. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢.

(٢) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٨١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٠١-٦١٠، ص٧.

المبحث الثالث

مظـــــاهر ثــــراء المـــــرأة في العصر الأيـــوبي

- المنشآت

- المدارس
- المساجد
- دور الحديث
- الخوانق
- الأربطة
- الترب والقباب والمآذن
- الحمامات

- الأوقاف

- أوقاف المدارس
- أوقاف المساجد والخانقاوات

-الأعمال الخيرية الأخرى

المنشآت

يظهر ثراء بعض النساء في العصر الأيوبي من خلال المنشآت التي أقمنها، ونلاحظ أن معظم المنشآت النسائية كان من المدارس وبعض النساء أقمن مساجد وخانقاوات وربط وترب، ومن الطبيعي أن تقوم بمثل هذه الأعمال من تمتلك القدرة المالية التي تؤهلها لانشائها.

ومن العمائر والمنشآت التي أقامتها نساء في العصر الأيوبي، نذكر:

المدارس:

اهتمت المرأة في الفترة الأيوبية اهتماما بالغاً بالمنشآت التي لها علاقة بالدين والعلم وأولى اهتماماتها كان في إنشاء المدارس وأنفقت على قيأم تلك المنشآت بسخاء واضح من خلال حجم ومواصفات وأوقاف تلك المباني أو الصروح، ومنها:

- المدرسة الشامية البرانية(١).

وهي من إنشاء ست الشام(٢). وتقع الشامية البرانية بظاهر دمشق(٣). بمحلة الصوفية(٤). وهي مخصصة لتدريس المذهب الشافعي(٥). وكانت هذه المدرسة من أكبر المدارس وأعظمها من حيث البناء، وأكثرها من حيث عدد الفقهاء الذين يتولون التدريس بها، والأكثر أوقافا(٦). وتعرف

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٢٥٥، والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٠٨.

(٢) ست الشام، بنت أيوب من شادى، شقيقة شمس الدولة، عاقله كثيرة البر والصلاة والإحسان، وهي أم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وتزوجها ناصرالدين بن عمها اسد الدين محمد بن شيركوه. (ت ٦١٦هـ-١٢١٩م). سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٦٠٥.. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢١.

(٣) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ق٢، ج٨، ص٦٠٦. وابو شامة ذيل الروضتين، ج٥، ص١٨٠، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص٢٩٠.

(٤) الصوفية: محلة بظاهر دمشق. ابو شامة الروضتين، ج٣، ص٤٤.

(٥) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٢٦.

(٦) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص١٠٨.

هذه المدرسة بالحسامية نسبة إلى ابن ست الشام حسام الدين بن لاجين، وهو مدفون مع أمه بنفس القبر بهذه المدرسة[1].

وقد اعتمدت ست الشام في بناء المدرسة البرانية على شبل الدولة كافور الحسامي[2] خادمها أو صاحب المدرسة الشبلية المخصصة لتدريس المذهب الحنفي[3] وقد ذكر بدران صاحب كتاب منادمة الأطلال ماتبقى من المدرسة البرانية بما يلي:" وقد أصبح القسم الموجود من المدرسة عبارة عن مسجدها، وبركة كبيرة للماء في ساحتها، وبعض حجرات فوقانية متروكة، وبيوت للخلاء. وليس بها احد من الطلبة، غير أن المعارف قد جعلت مسجدها مكتباً ابتدائياً، فصارت دار علم بالجملة[4].

وهذا النص يدل على أن المدرسة كانت بناء عظيماً يضم مسجداً وغرفاً فوقية وتحتية وبركة ماء وبيوتاً للخلاء وكل مستلزمات البناء المتكأمل للمدرسة وهذا يدل على قيمة وأهمية تلك المدرسة وعلى الهدف الذي انشئت من اجله. وقد درّس بالمدرسة البرانية جلة من العلماء والفقهاء المشهود لم بالعلم والصلاح منهم القاضي شرف الدين أبو طالب[5].

---

(١) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٠٨.

(٢) سمى شبل الدولة كافور بالحسامي، وذلك نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ابن ست الشام. ابن كثير ، البداية والنهاية، مج ٧، ج٣، ص١٢٥. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٦٧، والنويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٦٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص١٢٥.

(٤) بدران عبد القادر، منادمة الاطلال ومسامره الخيال (الاثار الدمشقية والمعاهد العلمية)، اشراف زهير شاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥-١٩٨٥م، بيروت، ص١٠٤.

(٥) شرف الدين أبو طالب، عبدالله ابن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى بن علي القريشي الدمشقي النعمي، الدارس، ج١، ص٢٠٩.

وهو أيضاً أول من درس بالمدرسة الرواحية[1]. ودرس بها ايضا قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات محيي بن الحسن بن هبة الله بن علي ابن سني الدولة[2]

المدرسة الجوانية[3]

وهي المدرسة الثانية التي أمرت بإنشائها ست الشام، وتقع تلك المدرسة بالقرب من البيمارستان النورى[4]. وكانت بيت سكنى لها ثم أوصت بها مدرسة قبل وفاتها سنة ست عشر وستمائة[5]. حيث حضر قاضي القضاة زكي الدين أبو العباس الطاهر أحمد بن علي القرشي والشهود العدول إلى دار ست الشام وأشهدتهم على عمل البيت مدرسة.[6] وكانت وفاة ست الشام بتلك المدرسة ثم بعد وفاتها نقلت إلى الشامية البرانية ودفنت بها[7]. وكانت لها جنازة حافلة[8] وكانت ست الشام وقفت أوقافاً كثيرة على المدرستين وسوف اذكر ذلك في مكانه.

---

(١) المدرسة الرواحية نسبة إلى بانيها زكي الدين أبي القاسم التاجر المعروف بابن رواحة. ابن شداد الاعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٤١. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١١٦.

(٢)ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، مدينة دمشق، ص٢٤٩. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢١٠.

(٣) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٢. والنعيمي، الدارس ، ج١، ص٢٢٧. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٠٦.

(٤) ابو شامة ، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٨٠، وابن شداد، الاعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٣٣.

(٥) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٦٠٥.

(٦) سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٨، ق٢، ص٦٠٧، وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٩٢.

(٧) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٨٠.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٩٢. والعلبي، اكرم حسن، خطط دمشق، دار الطباع للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م، ص١٢٦.

وممن درس بالمدرسة الجوانية ابن الصلاح الشهرزوري[1] وعبد الرحمن المقدسي[2]. وابن ابي عصرون(ت ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م)[3].

مدرسة ربيعة خاتون- مدرسة الصاحبة (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م):

انشأت ربيعة خاتون بنت نجم الدين أيوب المدرسة الصاحبة بجبل الصالحية[4] في سفح جبل قاسيون من الشرق، وتسمى بحارة الأكراد[5] وقد وقفتها سنة ٥٨٧هـ- ١١٩١م على الحنابلة[6] ووقفت عليها أوقافاً كثيرة[7]. منها: قرية جنة عسال، والبستان المجاور للمدرسة، والطاحونة، وحاكورة تلك الحارة وجوارها[8]. فقد تميزت ربيعة خاتون بكثرة الأموال، حتى ان

---

(١) الشهرزورى، تقى الدين بن الصلاح الشافعي، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٣٣. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٢٨. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٩، وبدران، منادمة الاطلال، ص١٠٨.

(٢) المقدسي، شمس الدين عبد الرحمن. ابن شداد الأعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٣٣. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٩، وبدران، منادمة الاطلال، ص١٠٨.

(٣) ابن ابي عصرون، القاضي الأمام ابو سعد التميمي الموصلي قاضي القضاة، شرف الدين نزيل دمشق، وقاضي القضاة بها وعالمها وريسها وكان من اعيان الأمة واعلامها. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٣٣. السبكي، تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ- ١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج٧، ص١٣٢- ١٣٣. ترجمة رقم ٨٣٤. ابن ايبك الصفدي، صلاح الدين خليل، نَكت الهيمان في نُكت العميان. وقف على طبعه أحمد زكي بك المطبعة الجمالية (١٣٢٩هـ- ١٩١١م) ص١٨٥.

(٤) الصالحية: قرية كبيرة ذات اسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطه دمشق يسكنها جماعة من الصالحين، وأكثر أهلها مقادسة على مذهب احمد بن حنبل. انظر: ياقوت ، معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٠.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٦، وبدران، منادمة الاطلال، ص٢٣٧. وابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٥٧.

(٦) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٧٩.

(٧) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٦. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٢.

(٨) ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ج١، ص١٥٨.

العالمة وهي من كانت تخدمها أصبحت من الثريات، وتعرضت للمصادرة والسجن ثلاث سنوات بسبب تلك الثروة، وهي التي أشارت على ربيعة خاتون ببناء ووقف المدرسة تلك على الحنابلة[١].

والظاهر انه كان تأثيرها على ربيعة خاتون كبيراً، والعلاقة بينهما حميمة، بحيث انها بنت المدرسة ووقفتها على نظر الناصح ابن الحنبلي والد العالمة [٢]

والناصح ابن الحنبلي[٣] والد العالمة هو أول من درَّس بتلك المدرسة[٤] وبعده درَّس بها ابنه سيف الدين، وبقي يدرس حتى وفاته[٥]، ودرس بعدهم العديد من العلماء الأجلاء بتلك المدرسة ممن له باع في تدريس المذهب الحنبلي[٦].

وكان يوم افتتاح المدرسة حافلاً، وكان احتفالاً كبيراً، وحضرت الواقفة ربيعة خاتون ذلك ولكن من وراء حجاب، أي لم تظهر للمحتفلين ولكنها كانت تستمع[٧] .

وتوفيت ربيعة خاتون وقد جاوزت الثمانين عاماً، ودفنت بمدرستها تلك بالجبل[١].

---

(١)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٧. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٢. وابن كثير ، البداية والنهاية، مج ٧، ج١٣، ص١٨٢. والنعيمي، الدارس، ج٢، ص٦٣.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٥٠.

(٣) هو ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشيرزوري (ت٦٣٤هـ- ١٢٣٦م). وقرأ القرآن وسمع الحديث، وكان يعظ في بعض الأحيان، توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة، ابن كثير البداية والنهاية، ج٣، ص١٦٨.

(٤) ابن شداد الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص٢٥٧. والنعيمي ، الدارس، ج٢، ص٦٤.

(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص٢٥٧.

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٨، النعيمي، الدارس، ج٢، ص٦٠.

(٧) النعيمي، الدارس، ج١، ص٦٤، وبدران، منادمة الاطلال، ص٢٣٧

والمدرسة كانت من المدارس الكبيرة، وقد وصفها بدران:" وهي الآن معروفة مشهورة في حارة الأكراد، وبناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلالة، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الوقت"[٢]. والظاهر أن ربيعة خاتون اختارت قاسيون لبناء مدرستها نظراً لتجمع المقادسة الحنابلة في تلك المنطقة أكثر من غيرها[٣]

مدرسة العالمة:

والعالمة هي أمة اللطيف وتدعى لطيفة بنت الحنبلي،[٤] وكانت تخدم ربيعة خاتون.

وقد انشأت العالمة مدرسة للحنابلة شرقي الرباط الناصري غرب سفح جبل قاسيون وتحت جامع الأفرم[٥].

ويبدو أن هذه المدرسة تتميز ببنائها الشاهق المبني بالحجر الأحمر، وله باب كبير لطيف الصنع والهندسة وداخله قبة عالية[٦].

وقد ضمت المدرسة دار حديث، ودرس بها مجموعة من العلماء الأجلاء وخاصة في علم الحديث، وقد درس بها في فترة متأخرة عن موضوع بحثنا المحدث محمد بن عبد المنعم بن عمار

---

(١) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٧٦. والنويري، ونهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٠٥. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢١٨.

(٢) بدران، منادمة الاطلال، ص٢٣٧.

(٣) ذكر ياقوت ان أكبر تجمع للمقادسة الذين هم على مذهب الحنابلة كان في جبل قاسيون. ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص٣٩٠.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٥٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص١٨٢. والنعيمي، الدارس، ج٢، ص٨٧، وبدران، منادمة الاطلال، ص٢٤٨.،

(٦) بدران، المصدر نفسه، ص٢٤٨.

بن هامل شمس الدين أبو عبد الله الحراني(ت ٧٧١هـ- ١٣٦٩م) وكان من المهتمين بالحديث عناية شديدة، وبحث وكتب بهذا المجال، وأخذ عنه العديد من علماء عصره[١].

وكذلك درس بها يوسف ابن يحيى بن الناصح عبد الرحمن بن الحنبلي الدمشقي المتوفي (ت ٧٥١هـ- ١٣٥٠م)[٢] وهو ابن ابن الناصح الحنبلي، وهو من بيت مشهور بالعلم، والناصح هو من درس بالصاحبة كما أسلفنا[٣]

المدرسة الخاتونية

صاحبه المدرسة هي الخاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وهي زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي[٤]. ثم تزوجها صلاح الدين سنة ٥٧٢هـ- ١١٧٦م. وكانت من أعف النساء وأجلهن وأكرمهن وكانت وافرة الحشمة[٥]، ولها أمر نافذ،[٦] وكان السلطان صلاح الدين يأخذ برأيها،[٧] وكانت حازمة متدينة ولها صدقات ومعروف، ورواتب للفقراء، فهي كانت تمتلك ثروة جيدة[٨]. توفيت سنة ٥٨١هـ- ١١٨٥م[٩] وقد انشأت المدرسة للحنفية بدمشق بمحلة حجر

---

(١)النعيمي، الدارس، ج٢، ص٨٨، وبدران، منادمة الاطلال ، ص٢٤٨

(٢) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٨٨.

(٣) النعيمي، المصدر نفسه، ج٢، ص٦٤.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٠٥. ابن طولون (ت ٩٥٣- ١٥٤٦م). القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد همان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ج١، ص١٠٦.

(٥) ابو شامة الروضتين، ج٣، ص١٥٧. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص٩٩. وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٠٦.

(٦) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص٣٨٩.

(٧)النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٨٩.

(٨)ابو شامة، الروضتين ، ج٣، ص١٥٧. وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٠٧. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٧٠

(٩)الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٢٤٥. وابن تغري بردى، النجوم، ج٦، ص٩٠.

الذهب، وقد حددها ابو شامة بأنها قريبة من الحمام الشركسي[1] وقد درس بها مجموعة من العلماء أمثال حجة الإسلام والدين وفخر الدين الحواري وغيرهم العديد[2]. وقد وقفت الخاتون على المدرسة وغيرها أوقافاً دارّة كثيرة[3]

المدرسة الماردينية:

أنشأتها عزيزة الدين اخشأو خاتون بنت قطب الدين صاحب ماردين، وزوجه السلطان الملك المعظم، وكانت للحنفية[4]. ومكان المدرسة على حافة نهر ثورا[5] ملاصق الجسر الأبيض بالصالحية[6]. وهي مدرسة مشهورة وبها أوقاف كثيرة[7]

وقفتها صاحبة المدرسة سنة ٦٢٤هـ- ١٢٢٦م، أما تاريخ انشائها فهو سنة ٦١٠هـ - ١٢١٣م.[8]

(١)ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٥٧

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٠٥، والنعيمي، الدارس، ج١، ص٣٩١.

(٣) النعيمي، المصدر نفسه، ج١، ص١٧٠.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٣٧.والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٣٢٠.وسجل أوقاف واحلال دمشق لسنة ٩٥٤هـ - رقم ٣٩٣، ص١١٠

(٥) ثورا : اسم نهر عظيم بدمشق، وقد وصف في بردى، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٨٦

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٣٢٠. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٥٤. وسجل أوقاف واحلال دمشق لسنة ٩٥٤ رقم ٣٩٣ـ ص١١٠.

(٧) سجل أوقاف دمشق لسنة ٩٥٤ رقم ٣٩٣، ص١١٠. يسجل سنة ٦٢٧هـ-١٢٢٩م والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٥٥.

(٨) هذا الاسم كان يطلق على المدرسة في القرن الحادي عشر الهجري حيث يقول العماد الحنبلي عندما ترجم للحافظية: وتسمى الآن بالحافظية- أي المدرسة الحافظيه- والعماد الحنبلي متوفى سنة ١٠٨٩هـ-١٦٧٨م .ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤١.

المدرسة الحافظية[1]

أنشاتها الخاتون أرغوان الحافظية، ويطلق عليها أرغوان العادلية أيضاً لأنها كانت مملوكة للملك العادل وأعتقها[2]. وتسميتها بالحافظية ترجع إلى تربيتها للملك الحافظ أرسلان ابن الملك العادل صاحب قلعة جعبر[3][4]

كانت الحافظية تسكن دمشق وتبعث بالأطعمة والثياب وما يحتاج إليه الملك المغيث عمر بن الملك الصالح نجم الدين أيوب وكان في حبسه، لذلك حقد عليها الملك الصالح إسماعيل وصادر أموالها[5] وكانت من النساء ذوات الثروة الكبيرة، وصودرت بأكثر من أربعمائة صندوق[6].

وكانت الحافظية قد اشترت بستانا للنجيب غلام التاج الكندي بالصالحية تحت ثورا قرب عين الكرش، وبنت على البستان مدرسة وتربة[7]. والتربة والمدرسة الان تقعان جنوب ساحة الميدان في دمشق وتسميها العامة ستي حفيظة، والمبني اليوم يضم الجمعية الجغرافية السورية،[8]

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١ الايبش، أحمد وقتيبــة الــشهابي، معــالم دمــشق التاريخية. منشورات وزارة الثقافة.

(2) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكانت قديماً تسمى دوسر، الأو بدرس فتملكها رجل من بني قشير يقال له جعبر بــن مالــك فغلب عليها فسميت به. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٠.

(3) ابن كثير، البداية النهاية، مج ٧، ج١٣، ص١٩٢.

(4) النعيمي، الدارس، ج١، ص١٨٩، وبدران، منادمة الاطلال، ص٣٣٢.

(5) الذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٣٥١.

(6) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٠.

(7) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٠.

(8) الأربيش، معالم دمشق التاريخية، ص٢٨٠.

والجدير ذكره ان معظم المصادر لم تذكر المدرسة وإنما ذكرت التربة، إلا أن الحنبلي ذكرها في شذرات الذهب باسم المدرسة ولكن لم يذكر من درس بها ولا على أي مذهب كانت[١].

المدرسة الفرخشاهيه:

واقفة المدرسة هي حظ الخير[٢] خاتون ابنه ابراهيم بن عبدالله، وهي والدة عز الدين فرخشاه.وتعرف المدرسة به[٣]. وحظ الخير هذه زوجة شاهنشاه ابن أيوب، اخي صلاح الدين الأيوبي[٤]. وتاريخ سجل وقفيتها هوسنة ٥٧٨هـ- ١١٨٢م[٥].

والمدرسة حسب ما جاء عند ابن شداد على المذهب الحنفي[٦]. ولكن النعيمي يقول ان هناك فريقاً يقول إنها للمذهب الحنفي وآخر يقول أنها على الفريقين الشافعي والحنبلي[٧]. وتقع المدرسة بدمشق على الشرق الشمالي[٨].

وقد وصف بدران أطلال المدرسة والتربة بأنها كانت مبنية بالحجارة الضخمة، ووصف القباب وبركة الماء. والمدرسة الآن أصبحت بستاناً ولم يبق منها إلا أساس جدارها الذي كان محيطاً بها[٩].

---

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٠.

(٢) عند النعيمي في كتاب الدارس اسمها حظ الخير: انظر النعيمي، الدارس، ىج١، ص٤١٠

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ص٢١٩.

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢١٩. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣١. وبدران، منادمة الاطلال ، ص١٩٠.

(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٩.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٩

(٧) النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣٤. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٩٠.

(٨) النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣١.

(٩) بدران، منادمة الاطلال، ص١٩١

وممن درس بالفرخشاهيه عماد الدين ابن الفخر القارئ، ثم من بعده أوحد الدين محمد بن الكعكي، ثم تاج الدين موسى ابن عبد العزيز سوار[1] وغيرهم الكثير[2].

المدرسة القصاعية[3]

أنشأتها خطلبش[4] خاتون بنت ككجا سنة ٥٩٣هـ- ١١٩٦م[5]. وقيل بل اسم المنشئة هو فاطمة بنت الأمير كوكجا[6]. وهي بحارة القصاعين[7] وتدرس المذهب الحنفي[8] ومن الشروط الواجب توفرها أن يكون المدرس بها أعلم الحنفية بالأصلين[9]. وقد درس بها مجموعة من العلماء الأجلاء المتمرسين بالمذهب[10].

---

(١) بدران، المصدر نفسه، ص١٩١

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٩. والنعيمي ، الدارس، ج١، ص٤٣٢. وبدران منادمة الاطلال، ص١٩٢.

(٣) وهي عند ابن شداد المدرسة الخاتونية. انظر: ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٢

(٤) خطلبش عند النعيمي خطبلس. انظر النعيمي الدارس، ج١، ص٤٣٤ .خطلبش عند بدران خطلشاه. انظر: بدران، منادمة الاطلال، ص١٩٤.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٢ والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣٤

(٦) النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣٤.

(٧) القصعه: الصحفة والجمع قصعات. انظر : الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، ج٣، ص٧١.

(٨) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ص٢١٢.

(٩) النعيمي، الدارس ج١، ص٤٣٤. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٩٤

(١٠) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ص٥٣٠. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٣٥.

المدرسة الأتابكية:

أنشاتها بنت[1] نور الدين أرسلان ابن أتابك زنكي، وهي تركان خاتون الجهة الأتابكية زوجه السلطان الملك الاشرف[2]. فقد تزوجها الأشرف سنة ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م، ففي هذه السنة تحارب صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين، ومال الأشرف ابن العادل لجانب قطب الدين وساعده في حربه ضد نور الدين، ثم اصطلحت الأطراف جميعها وتوج الصلح بزواج الأشرف من أخت نور الدين وهي الأتابكية[3]. وقد أنشأت تركان المدرسة والتربة في الصالحية سفح جبل قاسيون[4]

وقد حددها الذهبي بانها عند الجسر الأبيض[5]. وزاد النعيمي، أنها شرقي المرشدية[6]. ودار الحديث الأشرفية المقدسية[7] ويوم وفاة تركان خاتون كان وقف المدرسة والتربة ودفنت به[8]. والمدرسة من المدارس الشافعية[9] وقد وصفها بدران وما بقي منها بأن بابها مثل باب

---

(١) اجمعت معظم المصادر انها اخت السلطان نور الدين أي هي بنت السلطان عز الدين مسعود ابن قطب الدين مودود بن زنكي بن اقسنقر.. انظر الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣. والذهبي، العبر، ج٥، ص١٦٥.والصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٣٨٠، وابن كثير، البداية والنهاية، مج٦، ج١٣، ص٤١، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٧. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٩٦.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٠٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٦، ج١٣، ص٤١.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص٤١. وابن كثير، البداية والنهاية، مج٦، ص١٣٦، ص٤١.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣

(٦) المرشدية: منشئتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٨.

(٧) دار الحديث الأشرفية البرانية المقدسية. بناه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل. وهو أيضاً باني دار الحديث الاشرفية جوار باب القلعة الشرقي.. انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص١٥، ص٣٦، وبدران، منادمة الاطلال، ص٧٧

(٨) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٩٦.

(٩) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٥١.

غيرها من ابنية مدارس الأمراء، ومزخرف من الأعلى بحجر معجن وقائم على صفة محراب، وباب الدخول من الوسط. ولها منارة يصعد إليها بسلم من الحجر. وتبدو المنارة أنها حديثة نوعا ما يمكن ان تكون مرممه أو مقامة منذ فترة غير طويلة. وجدار المدرسة الغربي مبني بالحجارة الضخمة، وبجانبها القبلي هناك مسجد، يبدو من مظهره انه مستحدث أيضا. وبالجانب الشرقي منه تربة مبنية بحجارة كبيرة. ولها شباكان بالجانب القبلي يطلان على بستان، وآخران يطلان على دمشق، وبساحتها بئر[١].

وهذا الوصف يدل على ضخامة البناء والاهتمام الكبير بهذا البناء المتكامل. ولكن قبل بدران وصف ابن طولون المدرسة وصفاً تخطيطياً لمواقع الغرف وتربه الواقفة والبئر والمئذنة[٢]. وقد درس بهذه المدرسة مجموعة من العلماء منهم تاج الدين أبو بكر بن طالب المعروف بالاسكندري ويعرف ايضاً بالشحرور[٣]. ودرس بها أيضاً نجم الدين ابن سنى الدولة[٤] وكذلك نجم الدين إسماعيل المعروف بالمارداني[٥].

---

(١) بدران، منادمة الاطلال، ص٧٧.

(٢) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٨٩.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٥١، وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٦٧. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٩٧.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٥١.

(٥) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٦٧. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٩٧.

المدرسة العادلية الصغرى:[1]

تقع المدرسة داخل باب الفرج شرقي باب القلعة الشرقي[2]. وهي من المدارس الشافعية[3]. وقامت بإنشائها زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب[4]. وأنشأت المدرسة عندما قامت بابا خاتون بنت اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين بوقف مجموعة من العقارات على نفسها أولا ثم على بنت ابن عمها زهرة خاتون[5]. واشترطت بابا خاتون على زهرة خاتون أن تقيم بالدار مدرسة وتوابعها وأن يكون للمدرسة مدرس ومعيد وامام ومؤذن وبواب وفقهاء أي ما تحتاجه المدرسة لتؤدي دورها[6].

وقد درس بها مجموعة من العلماء أمثال شرف الدين أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي وهو أول من درس بها وجاء بعده تقي الدين ابن حياة لفترة ثم عاد شرف الدين المقدسي مرة أخرى[7].

المدرسة العذراوية:

لقد اختلف في منشئتها هل هي عذراء بنت صلاح الدين الأيوبي أم هي بنت ابن اخيه نور الدولة شاهنشاه ابن نجم الدين أيوب. فابن خلكان يقول إنه كان لشاهنشاه بنت تسمى عذراء وهي

---

(١) وعند ابن شداد العادلية الصغيرة. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٤٣.

(٢) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٨، وبدران، منادمة الاطلال ، ص١٢٧

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ص٢٤٣

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ص٢٤٣. والعلبي، خطط دمشق، ص١٣٩.

(٥) سجل أوقاف دمشق رقم ٣٩٣ لسنة ٩٥٤، ص٩٩، والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٩.

(٦) بدران، منادمة الاطلال، ص١٢٧.

(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٤٣. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٩.

التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق وان المدرسة تلك تنسب إليها، وكانت وفاة عذراء هذه سنة ٥٩٣هـ- ١١٩٦م[١].

أما ابن شداد فإنه يقول ان المدرسة من إنشاء الست عذراء بنت صلاح الدين يوسف فاتح بيت المقدس[٢]

ويرى الذهبي ان صاحبة المدرسة هي أخت عزالدين فروخشاه أي هي عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب[٣]. وقد أورد النعيمي مجموعة من الروايات جميعها تؤيد أن بانية المدرسة هي عذراء بنت شاهنشاه[٤] ولكن نظرا لاهتمام ابن شداد بالمدارس نستطيع ترجيح رواية ابن شداد أن بانية المدرسة هي الست عذراء بنت صلاح الدين الأيوبي وليست بنت ابن أخيه.

وتقع المدرسة العذراوية داخل باب النصر[٥] بحارة الغرباء[٦]، وهي مشتركة بين الشافعية والحنبلية[٧] وقد درس بها مجموعة من العلماء أمثال فخر الدين ابن عساكر وشمس الدين بن سني الدولة وغيرهم الكثير[٨].

---

(١) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ، ت٦٨١هـ - ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق احسان عباس دار صادر ببروت. دون تاريخ. ج٢، ص٤٥٢. والعلبي، خطط دمشق، ص١٤٤

(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٦٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩٠-٦٠٠، ص١٣٧.

(٤) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٥)باب النصر يقول النعيمي عنه: باب النصر المسمى الان دار السعادة. انظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٨٣

(٦)ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٦٠، والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٨٣. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٢٨.

(٧)ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٦٠. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٩١-٦٠٠، ص١٣٧. والعلبي، خطط دمشق، ص١٤٤

(٨)النعيمي، الدارس ، د١، ص٢٨٥، وبدران، منادمة الاطلال، ص١٢٨.

المدرسة المرشدية :

قامت بانشائها خديجة خاتون بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، وكان ذلك سنة ٦٥٤هـ- ١٢٥٦م[١]. وتقع المدرسة بالصالحية على نهر يزيد[٢][٣]. وهي من مدارس الحنفية، وأول من درس بها صدر الدين أحمد ابن شهاب الدين علي الكاشي[٤].

وكانت المدرسة ذات طابع بناء عظيم قبل أن تطالها يد الخراب. فقد وصف بدران أطلال تلك المدرسة فقال: كان بابها باباً عظيماً، والجدار الشمالي منها عجيب البناء جدا، إلا أن داخلها خراب...... [٥]"

وقد كتب على حجر بأعلى باب المدرسة الوقفية، وتفصيل العقارات الموقوفة على المدرسة، وهي كثيرة، وتدل على كبر وأهمية المدرسة حين إنشائها[٦].

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص٢٢٨. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٤٣. والعلبي، خطط دمشق، ص٢١٥.

(٢) نهر يزيد: بدمشق مشهور منسوب إلى يزيد بن أبي سفيان ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٤

(٣) النعيمي، الدارس، ج١، ص٣٣٤، وبدران، منادمة الاحتلال، ص٢٠٠

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٨، وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٢٣٠.

(٥) بدران، منادمة الاطلال، ص٢٠٠

(٦) بدران، منادمه الاطلال، ص٢٠١.

المدرسة المبطورية:

أنشأتها الست فاطمة خاتون بنت السلار[1]، وذلك سنة ٦٢٩هـ- ١٢٣١م. وهي من المدارس الحنفية، وتقع بجبل الصالحية في الجهة الشرقية منه[2].

المدرسة الشومانية:

وهي من إنشاء بنت ظهير الدين شومان[3].وتدرس المذهب الشافعي[4]. والجدير ذكره أن هاتين المرأتين ليستا من بنات الملوك، ولكن كان لهما وضع اجتماعي مرموق لعلاقتهما أو علاقة والديهما بالملوك والسلاطين.

مدرسة الفردوس- حلب

إنشاء ضيفة خاتون الصاحبة والملكة في حلب[5]، وهي الخاتون بنت الملك العادل، وزوجة الملك الظاهر غازي، ووالدة الملك العزيز ابن الملك الظاهر[6].

---

(١) السلار: ابو الحسن علي بن السلار المنصور بالملك العادل سيف الدين عرف بابن السلار، وزيـر الظـافر صاحب مصر. كان تربية القصر بالقاهرة. عمر للسلفي مدرسة بالاسكندرية وكانت للشافعية. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤١٦.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ص٢٢٣، وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٦١-٢١٧. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٤٦٤. والعلبي، خطوط دمشق، ص٢٢٣.

(٣) ظهر الدين شومان: وهو أحد مماليك بني ايوب، وكان له وضع مميز بحيث ان ابنته دعيت بخاتون رغم أنه من القاب نساء السلاطين والملوك. النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٣٨، والعلبي، خطط دمشق، ص١٢٩.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٤٢. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٣٨.

(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص١٠٨، كُرد علي، محمد، خطط الشام دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ- ١٩٧١مـ، ج٦، ص١٠٦. الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣١٢

والمدرسة ذات بناء عظيم ومرتفع البناء مبني بالحجارة الرملية وفيها مساكن متعددة، وبها خشخاشة للموتى[١]، وفيها بركة ماء تستقى الماء من بستانها بواسطة دولاب خارجها. وبجانب البستان يوجد إيوان كبير مبني من الحجارة العظيمة، وبداخل المدرسة عواميد من الرخام الأصفر، ومحرابها من معدن صاف يعمل كالمرآة من صفاء المعدن. والمدرسة مرخمة بالرخام الأبيض والأسود، ولها من جهاتها الأربع شبابيك ومناظر تطل إلى بستانها[٢]. وبالإضافة لكونها مدرسة، فقد بنتها ضيفة خاتون لتكون رباطاً وتربة أيضاً. وكانت المدرسة تضم عدداً كبيراً من القراء والفقهاء والصوفية[٣].

وقد وقفت ضيفة خاتون أوقافا كثيرة على المدرسة منها ضيعة بقرية كفرزيتا[٤] وثلثي طاحون من النهريات،[٥] وكان بناء المدرسة سنة ٦٣٣هـ- ١٢٣٥م[٦].

وقد كتب على باب المدرسة بخط متقن وجيد" أمر بإنشائه ضيفة خاتون وفي أيام السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن السلطان الظاهر غازي بتولى عبد المحسن والعزيزى الناصري في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة[٧].

---

(١) خشخاشة (Vault) سرداب أو قبو، مدفن تحت الأرض. منير البعلبكي، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ص١٠٢٥.

(٢) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٣، والغزي، كامل البالي الحلبي، كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب. تقديم شوقي شعث ومحمود فاخواي، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٩١، ج٢، ص٢١٨.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص١٠٨. الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢.

(٤) كفر زيتا: بلدة معروفة تتبع إدارياً حماة، وتقع إلى الشمال منها . الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٣.

(٥) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢. والغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٢١٨.

(٦) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢. والغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٢١٨.

(٧) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٥.

وقد أعجب الناس هذا الخط المنمق، وكتب فيه الشعراء، وبعض ما قيل[1]:

في باب فردوس حلب سطر من الدر عجب

وأول من درس بمدرسة الفردوس هو شمس الدين احمد الزبير الخابوري[2]. وغيره العديد.

المدرسة الخاتونية – بحماه:

أنشأتها مؤنسة[3] خاتون بنت الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور. وقد وقفت عليها أوقافا كثيرة وكتباً قيمة[4]. ومكان المدرسة هو دار الأكرم[5] تم تحول إلى دار مؤنسة خاتون الواقع في البستان المعروف ببستان الخاتونية في أول حارة الجراجمة من الشرق[6].

وفي القاهرة اهتمت المرأة الأيوبية ببناء المدارس رغم تركزها الأكثر في بلاد الشام.

---

(١) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٥.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيره، ج١، ق١، ص١٠٨. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢.

(٣) مؤنسة خاتون ابنة الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكان قدومها إلى حماة سنة تسع وعشرين وستمائة. انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٤٦. والمقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٤٣

(٤) ابو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب. ت ٧٣٢هـ- ١٣١٠م. تاريخ المختصر في اخبار البشر. تحقيق محمود ديوب. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م. ج٢، ص٢٤٣. ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٤٣. وسبانو احمد غسان، مملكة حماة الأيوبية، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٤م. ص١٨٢.

(٥) دار الكرم، ودار الوزير في باب المغادر. سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٩٧.

(٦) سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨٢.

المدرسة القطبية- القاهرة:

أوصت بإنشاء هذه المدرسة الست الجليلة الكبرى عصمة الدين مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وشقيقة الملك الأفضل قطب الدين احمد ولقطب الدين هذا نسبت المدرسة[١]. تقع المدرسة في أول حارة زويلة[٢] برحبة كوكاى.

وكانت مؤنسة خاتون مهتمة بالعلم والأدب فصيحة، سمعت الحديث، وخرج لها الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد الظاهري أحاديث حدثت بها[٣]. كانت مؤنسة خاتون عاقلة دينة تركت مالاً جزيلاً، وكان لها صدقات كثيرة، وأوصت ببناء المدرسة، وأن تكون المدرسة للشافعة والحنفية، وأن يكون فيها فقهاء وقراء، وأن يشترى لها وقف لتستمر[٤]. ويقول المقريزي إنها إلى اليوم عامرة[٥]. كانت ولادة الواقفة سنة ٦٠٣هـ- ١٢٠٦م. وكانت وفاتها سنة (٦٩٣هـ- ١٢٩٣م[٦].

وممن درس بالمدرسة القطبية ابن عقيل بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن والمعروف بابن عقيل، والذي كان اماما في علم العربية، والمعاني والبيان والتفسير[٧].

---

(١) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي ١٩٨٩م. ج٣، ص٤٥٠.

(٢) زويلة: محله وباب بالقاهرة؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٦٠.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٥٠.

(٤) المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٠.

(٥) المقريزي،المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٠.

(٦) المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٠.

(٧) الاسنوى، طبقات الشافعة، ج٢، ص١١٠.

المدرسة العاشورية- القاهرة:

وهناك مدرسة اخرى بجانب المدرسة القطبية السالفة الذكر، هي المدرسة العاشورية بحارة زويلة ورحبة كوكاى. انشأتها الست عاشوراء بنت ساروح السدى، وهي زوجة الأمير أيازاكوج الأسدى[1].

وكان بناء المدرسة من الدور الجيدة، ووقفتها على المذهب الحنفي. ولكن المدرسة كما يقول المقريزي تلاشت، واصبحت باستمرار مغلقة لا تفتح ابوابها إلا قليلاً، وذلك بسبب أنها تقع في زقاق لا يسكنه إلا اليهود أو من قاربهم في النسب، لأن أصل البناء كان لابن جميع الطبيب، وهو يهودي كان يكتب لقراقوش، فاشترت عاشوراء منه البناء[2].

ومن خلال هذا الاستعراض للمدارس التي قامت بإنشائها نساء أغلبهن من البيت الحاكم الأيوبي. نلاحظ أن المدارس كانت كثيرة بالعدد، وكبيرة وعاملة بنفس الوقت، لا تقل عن المدارس الأخرى، بل بعضها يفوق ما كان موجوداً فعلاً. وقد ضمت نخبة من العلماء الأجلاء والمشهود لهم بالعلم والصلاح وكان تركيز المرأة على إنشاء المدارس وفي دمشق على وجه الخصوص حاضرة العلم وعاصمة الدولة.

ولكن هذا لا يعني أنها لم تهتم ببناء منشآت أخرى. فقد قامت بإنشاء القليل من المساجد، ودور الحديث، والخوانق، والربط، والترب، والقباب، والحمامات.

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٥٠، والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٨٨١.

(٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٥٠.

المساجد:

ذكرت المصادر أسماء عدد قليل من المساجد المقامة من قبل النساء في العصر الأيوبي، وربما كان مرد ذلك إلى أن المرأة كانت تتجه لبناء المدارس التي تضم مساجد ومصليات للطلبة أكثر من اتجاهها لبناء المساجد على وجه الاستقلال، وبالتالي فان اسم المدرسة يطغى على ذكر المسجد الذي فيها، إذ لم يكن له اسم خاص به، وإنما الاسم الذي ينقله المؤرخون هو اسم المدرسة لا المسجد. ومن المساجد التي انشأتها المرأة وورد ذكرها في المصادر:

مسجد بنت الحنبلي بدمشق[١] ويقصد ببنت الحنبلي أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح الحنبلي صاحبة المدرسة العالمة[٢]، ويوجد مسجد آخر بدمشق في رباط النساء، بنته خاتون[٣]. ولم تذكر من هي هذه الخاتون. وابن طولون ذكر أن هناك الجامع الجديد وهو على حافة نهر يزيد وأن أصل الجامع هو تربة الست خاتون بنت معين الدين أنر[٤].

وبدمشق أيضا مسجد بتربة الحافظية وهي الخاتون أرغون الحافظية السابق ذكرها في المدارس. فقد اشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي، وأقامت فيه تربة ومسجداً، وجعلت عليهما أوقافاً كثيرة[٥].

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٥٠.

(٢) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٨٧.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٥٠.

(٤) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٠٣.

(٥) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٩٠.

ومسجد أخر بدمشق، بنته أمراة من نساء الجند اسمها قرة، وتابع للمسجد مقبرة[1]. والظاهر أن هذا المسجد أقيم من أجل الصلاة على الموتى. ويوجد مسجد قريب من قبر أويس القرني وقرب فندق ابن العبادة بنته أمرأة[2]. ولم تحدد المصادر اسمها.

دور الحديث:

أنشات أم الصالح إسماعيل بن نور الدين داراً للحديث في حلب[3]. وكانت دار الحديث تلك في الخانقاة التي بنتها تحت القلعة وبنت بجانبها تربة، ودفنت بها ولدها الصالح اسماعيل وكان ذلك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة[4] . والخانقاة تلك تحت القلعة إلى جانب السيفية[5] وأنشات العالمة بنت الشيخ الإسلام الشيرازي داراً للحديث بدمشق تسمى "دار حديث العالمة" وهي شرقي الرباط الناصري غرب سفح قاسيون، وكانت للحنابلة[6].

---

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٥١.

(٢) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٥٤.

(٣) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٧٨. كُرد علي خطط الشام، ج٦، ص١٣.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٣. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٧٨.

(٥) السيفية انشاها الأمير سيف الدين علي بن سليمان ابن جندر، تحت القلعة لتدريس المذهب المالكي والحنبلي. الحلبي، كنوز الذهب، ج١ ، ص٣٧٨، كُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١١٢.

(٦) ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٤٠.

الخوانق أو الخوانك:

الخوانق مفردها خانقاه، وهي كلمة فارسية تعني المكان أو البيت، وقد تلفظ خانكاه وجمعها خوانك. وهي المكان المعد للصوفية والزهاد[1]. وقد ذكرت المصادر أن المرأة الأيوبية أنشأت عدداً من الخوانق نذكر منها:

خانقاة أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر أم الملك العزيز محمد[2]. ومكان الخانقاه بمدينة حلب داخل باب الأربعين[3]. وكان ذلك سنة خمس وثلاثين وستمائة[4]. وخانقاة أخرى انشأتها بنت والي قوص بحلب[5].

وخانقاة من إنشاء الصاحبة فاطمة خاتون وهي بنت الملك الكامل محمود، الخانقاة في حلب. وكانت وفاة فاطمة خاتون سنة ست وخمسين وستمائة[6]. واسمها كما أوردة كرد على هو

---

(١) الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦، ص١٦٢. وعاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ج١، ص٢١.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٣. وكُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٣.

(٣) وباب الأربعين من ابواب القلعة السبعة في زمن ياقوت الحموي، والمتوفي سنة ٦٢٦هـ-١٢٢٨. وباب الأربعين يلي الباب الصغير الأول. وكان قد سد ثم فتح وله بابان واختلف في تسمية بهذا السم، فقيل أنه خروفيات سنةمنه مرة أربعون الفاً فلم يعودوا فسمى بذلك وقيل أنما سمي بذلك لأنه كان بالمسجد الذي داخله أربعون من العباد وقيل أربعون محدثاً وقيل كان به اربعون شريفاً. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ح٢، ص٢٨٦. وابن شداد، الإعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص٢١، ٩٥.

(٤) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢. وكُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٣.

(٥) قوص: مدينة كبيرة عظيمة، واسعة قصبة صعيد مصر. بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوم. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤١٣. وابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥. وانظر الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٢.

الخانقاة الكاملية، وانه مكتوب على بابها اسم الواقفة وتاريخ وفاتها، وحدد مكانها بالضبط أنها في محلة الجلوم الكبرى في زقاق يسمى بزقاق الشيخ عبد الله، وانه لم يبق منها سوى ثلاث حجر صغيرة وهي على وشك الخراب[١].

وأنشأت بنت صاحب شيرز[٢] وهو سابق الدين عثمان خانقاه مقابلة لدورهم[٣]. وهذه الخانقاه في حلب تقع في العرصة[٤] التي شرقي جامع العادلية قبل خان الغرابين[٥].

وهناك خانقاة بدرب البنات[٦]. بحلب من إنشاء زمرد خاتون وأختها بنت حسام الدين لاجين عمر بن آقبورى، وعندما وقفتها فاطمة خاتون شرطت أن تكون للفقيرات المقيمات بها، وإظهار الصلوات الخمس بها، والمبيت بها أيضاً[٧]. أي نفهم من هذا الشرط أنها كانت وقفاً على الفقيرات وأنها مجهزة للسكن لهؤلاء الفقيرات. وقد وقفت عليها أوقافا دارة[٨].

---

(١) كُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٢.

(٢) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهرالعاصي. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٣٨٣.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢. وكُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٢.

(٤) العرصة: كل أرض متسعة ليس فيها بناء فهي عرصة. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٠١.

(٥) كُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٢.

(٦) درب البنات بحلب شمالي اليما، بستان الكاملي الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٢٠٤.

(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج١، ق١، ص٩٥. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢. وكُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٣.

(٨) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢، والغزى، نهر الذهب، ج٢، ص٥٤.

وانشأت المرأة بعض الخانقاوات في دمشق مثل الخانقاة الحسامية: نسبة إلى أم حسام الدين عمر بن لاجين وهو ابن ست الشام اخت صلاح الدين الأيوبي[1]. وخانقاة أخرى بالقصاعين من انشاء خلطجى خاتون بنت ست الشام، وهي خارج دمشق بالشرف القبلي[2].

وخانقاه خاتون وهي خارج البلد، ومن انشاء الخاتون بنت معين الدين أنر زوجة صلاح الدين الأيوبي، وقبله كانت زوجة لنور الدين زنكي[3]. وخانقاه الكاملة من إنشاء الكاملة زوجة علاء الدين بن ابي الرجاء ومكانه خارج حلب[4]. وخانقاة الست أم الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي في حلب، ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غربي حلب، وذلك سنة ٥٧٨هـ- ١١٨٢[5].

الأربطة:

أنشأت المرأة في الفترة الأيوبية عدداً من الأربطة، ومنها: رباط زهرة خاتون بدمشق[6]، وهو بقرب حمام جاروخ وبجوار دار الأمير مسعود ابن الست عذراء وهي صاحبة المدرسة العذراوية والتي داخل باب النصر وهي على الشافعية كما اسلفنا[7]. وكذلك رباط عذراء خاتون السابقة الذكر وهذا داخل باب النصر بدمشق[8]. ورباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص١٩١

(٢) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢، ق١، ص١٩٢.

(٣) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٢، ق١، ص١٩٢. والنعيمي، الدارس، ح٢، ص١٩٠.

(٤) كُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤٤.

(٥) ابن الشحنة، تاريخ حلب، ص٩٨. الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٩٢.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٩٥.

(٧) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥١.

(٨) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٩٥. الدارس، ج٢، ص١٥٢. وكُرد علي، خطط الـشام، ج٦، ص١٣٥.

بدمشق[١]. وكذلك رباط بنت الدنين، وهو داخل المدرسة الفلكية بدمشق[٢]. ورباط صفية القلعية وهو بالقرب من المدرسة الظاهرية[٣]. ورباط للصوفية بنته عصمة الدين خاتون بنت معين اليدن أنر زوجة صلاح الدين[٤].

- الترب والقباب والمآذن:

اهتمت بعض النساء ببناء المآذن وإقامة القباب، فقد اقامت شجر الدر قبة بمصر بجوار المدرسة الصالحية، موضعها قاعة شيخ المالكية. وذلك لدفن الملك الصالح نجم الدين أيوب عند وفاته بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م [٥]. وسميت القبة بقبة الصالح.

وقد شرطت شجر الدر في كتاب الوقف ترتيب القراء عند القبة وجعلت النظر فيها للصاحب بهاء الدين علي بن نجا [٦] وذريته[٧].وعمرت أم الملك الكامل قبة الامام الشافعي بمصر[٨].وأجرت إليها ماء النيل[٩]. وقد أقامت بنت الأمير عماد الدين ابن مسطون له قبة في

---

(١) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٩٦. والنعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥٢. وبدران، منادمة الأطلال، ص٢٩٧.

(٢) المدرسة الفلكية بدمشق انشأها فلك الدين سليمان أخو الملك العادل سيف الدين ابي بكر لأمه. ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٩٥. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٧.

(٣) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٥١. والعلبي، خطط دمشق، ص١٤٠.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٩٩.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٣، ص٤٦٦. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ح٦، ص٣٣٣.

(٦) وكان الصاحب بهاء الدين وزيراً لشجر الدر ايأم سلطنتها. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام. وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٩٩.

(٧) المقريزي، الخطط، ح٣، ص٤٤٦.

(٨) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٠.

(٩) ابن الوكيل، يوسف الملواني (ت ١١٣١هـ- ١٧١٩م)، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد البشتاوي، ط١، دار الأوقاف العربية، ١٩٩٩م، ص٥٩. رأس عين: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ددنيسر. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ح٣، ص١٤

راس عين، بعد وفاته سنة٦١٩هـ- ١٢٢٢م[١]. وقد عمرت الأتابكية زوجة الأشرف مآذنه في جبل قاسيون، إضافة إلى المدرسة والتربة[٢].

وقد عملت شجر الدر أيضاً تربة لها قرب السيدة نقية ودفنت بها بعد قتلها سنة ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م[٣]. وفي دمشق التربة الحافظية أنشأتها ارغوان الحافظية[٤]. وكانت مع المسجد السابق ذكره.

والتربة الخاتونية، وهي تربة عصمة الدين الخاتون بنت معين الدين أنر بدمشق أيضاً[٥]. وبحلب تربة إلى جانب خانقاة الست أنشأتها أم الصالح اسماعيل زوجة نور الدين زنكي، ودفنت بها ولدها الصالح اسماعيل[٦].

الحمامات:

كان اهتمام الناس بالحمامات بشكل عام كبيراً، وبالطبع كان لبعض النساء اهتمام ايضاً ببناء الحمامات الخاصة بالنساء، نذكر على سبيل المثال حمام ست الشام بدمشق [٧]. وفي حلب حمام الست،[٨] وفي مصر أنشات شجر الدر داراً وحمامات بالقرب من مشهد السيدة نفيسة[٩].

---

(١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٢٢٥.

(٢) ابو شامه، الذيل على الروضتين، ج٥، ص٢١.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨-١٩٩. والنويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٩٢.

(٤) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٨٩.

(٥)النعيمي، المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

(٦) كُرد علي، خطط الشام، ج٦، ص١٤١.

(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص٢٩٢.

(٨) ابن شداد، المصدر نفسه، ج١، ق١، ص١٣٠.

(٩) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٠٨.

وهكذا نلاحظ مدى اهتمام المرأة الأيوبية ببناء المنشآت وخاصة التي تتعلق بالعلم وبالدين أيضاً، رغم أنهما مرتبطان في معظم الأحيان ارتباطاً وثيقاً بالنسبة لتلك الفترة.

وهناك ملاحظة يجب التنويه بها وهي ان معظم تلك المنشآت كانت موجودة في دمشق بالدرجة الأولى، ثم بحلب، ومن ثم ببقية المدن والقرى، رغم انتشار الملوك والحكام في معظم ولايات الشام وفي مصر لكن المرأة كانت مهتمة بدمشق أكثر من غيرها، حتى أن المرأة من الموصل ومن شيزر ومن حلب أقامت المدارس بدمشق. ويمكننا تفسير ذلك بأن دمشق هي العاصمة وحاضرة الدولة، لذلك تمتعت بذلك الاهتمام.

- الأوقاف:

ومن مظاهر ثراء المرأة في الفترة الأيوبية كثرة الأوقاف التي وقفتها على المنشآت والعمائر التي قامت ببنائه، إذ كان لا بد من مصدر يدر أموالاً تبقي تلك المؤسسات قائمة، لذلك عملت المرأة على وقف العديد من الضياع والبساتين والقرى أحياناً لتفي بكل تلك المصروفات التي تتطلبها المدارس والمساجد.

- أوقاف المدارس:

أوقاف المدرستين الجوانية والبرانية:

وقد وقفت ست الشام على المدرستين البرانية والجوانية أوقافا كثيرة ومتعددة[١]. وقد ذكر النعيمي[٢] أوقاف ست الشام على المدرسة الشامية البرانية بما يلي: قدر ثلاثمائة فدان حده

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦١١-٦٢٠، ص٢٩٠. وابن العماد ، شذرات الذهب، ج٥، ص٩٧.

(٢) يقول النعيمي انه حصل على تلك المعلومات من كراسة لديه من تصنيف الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة. انظر النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٠٩.

الريحانية[1] إلى أوائل القبيبات[2] إلى قناة حجيرا[3]، ودرب البويضا[4]، ومنه الوادي التحتاني وادي السفرجل وقدره نحو عشرين فداناً.

أما أوقاف المدرسة الجوانية فقد تحدث شيخ الاسلام السبكي عنها بمسائل كثيرة ومهمة بقدر أهمية تلك المدرسة وبحجم الموقوف عليها[5]. وقد ذكرت بعض المصادر أيضا الأوقاف الموقوفة على تلك المدرسة وهذا ما أورده السبكي عن ذلك الوقف: (جميع الدار بدمشق، ومنه بظاهر دمشق ضيعة تعرف ببزينة، وحصة مبلغها أحد عشر سهماً ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً تعرف بجرماناً[6] من بيت لهيا[7]، ومنها أربعة عشر سهماً، وسبع من أربعة وعشرين سهماً من ضيعة تعرف بالتينة من جبة عسال[8]، ومنه جميع الضيعة المعروفة بمجيدل [9] القرية، ومنها نصف ضيعة تعرف بمجيدل السويدا[10][11].

---

(١) الريحانية: لم اعثر لها على تعريف ولعل المقصود بها المدرسة الريحانية وهي من المدارس الحنفية منشئتها خواجـا ريحان خادم الشهيد نور الدين محمود بن زنكي سنة خمس وستين وخمسمائة. ابن شداد، الاعـلاق الخطيـرة، ج٢، ق١، ص٢٠٩.

(٢) القبيبات: محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٨.

(٣) حجيرا: من قرى غوطة دمشق، بها قبر مدرك بن زياد صحابي، رضي الله عنـه- يـاقوت، معجـم البلـدان، ج٣، ص٢٢٦.

(٤) البويض: عرفها ابن دقماق بالبويضاء: وهي قرية من قرى دمشق. كانت لمجير الدين ابن العادل، ابن دقماق، نزهـة الأنام، ص٢٣٥.

(٥) السبكي، فتأوى، ج١، ص٦٤٤، ج٢، ص٧١.

(٦) جرمانا: من نواحي غوطة دمشق، ياقوت ، معجم البلدان، ج٢، ص١٢٩.

(٧) بيت لهيا: وهي قرية مشهورة بغوطة دمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٢.

(٨) جبة عسال: عرفها ياقوت الحموي بانها: ناحية بين دمشق وبعلبك تشتمل على عدة قرى، ياقوت، معجم البلـدان، ج٢، ص١٠٨.

(٩) مجيدل القرية: ومجيدل تصغير مجدل: وهو القصر المشرف. وقرية مجيدل عن مجدل انظر: ياقوت، معجم البلـدان، ج٥، ص٥٦.

(١٠) مجيدل السويدا: والسويداء هنا قرية بحوران من نواحي دمشق، والظاهر المقصود بمجيدل السويداء ارض مرتفعـة بقرية السويداء، انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٦.

(١١) السبكى، فتأوى، ج٢، ص٧١.

وكانت تلك الاشياء موقوفة على ست الشام، ثم على بنت ابنها وهي زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، ثم على أولادها للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم على أولاد أولادها، ثم على أنسالهم، ولكن في حالة انقراضهم عاد إلى جهات حددودها من خلال كتاب الوقف[1].

وقد اشترط كتاب الوقف أن يكون المدرسون بها من أهل الخير والعفاف والسنة غير منسوبين إلى شر وبدعة[2]. وهنا نستطيع القول ان ست الشام تحث على اتباع السنة وتقاوم أي بدعة طارئة على المجتمع الإسلامي. شأنها في ذلك شأن الدولة الأيوبية منذ قيامها. وفي وضعها للشروط الواجب توفرها في المدرس دليل على معرفتها للدور الخطير الذي يقوم به المدرس من تأثير على مريديه أو المتفقهين على يده، وهذا يدل على وعيها التأم بما تقوم به.

وقد درس بالمدرسة الجوانية والمدرسة البرانية جلة من العلماء والفقهاء المشهود لهم بالعلم والصلاح. فأول من درس بالشامية البرانية القاضي شرف الدين أبو طالب عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى بن علي القرشي الدمشقي[3]. وهو أيضا أول من درس بالمدرسة الرواحية[4].

---

(1) السبكي، المصدر نفسه، ح٢، ص٧١. النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٧.

(2) السبكي، فتاوى، ج٢، ص٧١. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٧. وبدران، منادمة الأطلال، ص١٠٧.

(3) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٠٩.

(4) المدرسة الرواحية نسبة إلى بانيها زكي الدين ابو الاقسم التاجر المعروف بابن رواحه. انظر ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، مدينة دمشق، ص٢٤١. والذهبي، ح٣، ص١٨٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ح١٣، ص١١٦.

أوقاف مدرسة الصاحبة:

وقد كان حجم الأوقاف التي وقفتها ربيعة خاتون على مدرستها الصاحبة أوقافاً كثيرة ومن هذه الأوقاف:

غالب قرية جبة العسال[1] والبستان الذي تحت المدرسة، والطاحون، وحكورة تلك الحارة وما في جوارها[2].

- أوقاف مدرسة العالمة:

كانت أوقاف مدرسة العالمة وهي من كانت تخدم ربيعة خاتون لا تقل كثرة وأهمية عن أوقاف سيدتها. فقد وقفت على مدرستها: مدرسة العالمة، أوقافاً جليلة منها: بستان بجسر البطة[3] والغيضة[4]. وحكر ابن صبح عند الشامية[5].

---

(١) سبق تعريفها.

(٢) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٦٧. وبدران، منأمة الاطلال، ص٢٣٧.

(٣) يبدو انها من مناطق دمشق، ولكن لم اعثر لها على تعريف أو وصف.

(٤) الغيضة: الاشجار الملتفة في الجبال وفي السهول بماء، أما بدون ماء تسمى غينة، اي الأرض الشجراء، ويبدو أن كلمة الغيضة الأرض الشجراء أو المروية وليس البعلية. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٢٢٣

(٥) النعيمي، الدارس، ج٢، ص٨٨. وبدران، منادمة الأطلال، ص٤٤٨.

أوقاف المدرسة الخاتونية:

وقد وقفها على عصمة الدين خاتون اخوها سعد الدين[1] وكان هناك شرط للوقف وهو انها موقوفة على الخاتون طوال حياتها ثم من بعدها على عقبها ونسلها، ولكنها ماتت ولم تعقب[2].

- وقف العادلية الصغرى:

وقد وقفت زهراء خاتون حسب الوصية مجموعة من العقارات جزء على المدرسة وجزء آخر على أقاربها ومعتقيها. ومن هذه العقارات جميع قرية كا مد تابعة لشوف البياض[3]. ومزرعة تابعة للمرج[4] جزء منها. وجميع قرية بيت رأمة[5] وهي تابعة لغور[6] وحمأم جوار المدرسة [7].

---

(١) سعد الدين هذا هو مسعود بن معين الدين أنر وهو زوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين، كان زوجها قبل الملك. مظفر الدين صاحب إربل. وقد زوجها اخوها صلاح الدين له، وتزوج هو بأخت سعد الدين وهي عصمة الدين الخاتون صاحبة المدرسة. الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص١٦٢. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٨٢. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهره، ج٦، ص٩٠.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٠٥. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٣٣٨. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٦٩.

(٣) شوف البياض: لم اجد لها تعريفاً. لوعلها منطقة الشوف بلبنان.

(٤) سبق تعريفه.

(٥) بيت رأمه: قرية مشهورة بين غور الأردن والبلقاء ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٠.

(٦) غور ويقصد به الارض المنخفضة عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس. وهو غور الأردن. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٧.

(٧) سجل أوقاف دمشق، رقم ٣٩٣ لسنة ٩٥٤.

وأضاف النعيمي وبدران إضافة إلى تلك الموقوفات حصة من قرية برقوم وهي من اعمال حلب(١). وكان هذا الوقف سنة ٦٥٥هـ-١٢٥٧م والجدير ذكره ان هناك وقفاً آخر لزهرة خاتون سنة ٦٥٦هـ -١٢٥٨م على مدرسة لم تذكر بصراحة ومن خلال شروط الوقف والموقوف يتبين ان هذه المدرسة هي نفس المدرسة العادلية الصغرى. والوقفية هذه - أي سنة ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م احتوت على التفاصيل المالية والمصروفات وشروط الوقفية وعلى من تكون.

فقد شرطت الواقفة أن يكون الوقف على عتقاء الواقفة وعتقاء أختها، ثم من بعدهم على مصالح المدرسة المعروفة بالواقفة وعلى المدرس بها، والفقهاء والمتفقهة الشافعية والامام والمؤذن وسائر الجماعة المترتبين بها(٢).

ثم فصلت الوقفية أوجه وقيمة المصروفات داخل المدرسة مثل يصرف من حاصل الوقف في كل سنة ٣٠٠ درهم على البر والصدقة. في حياة الواقفة. فإذا توفيت قسم المبلغ إلى ثلاثة إجزاء مئة درهم ثمن فاكهة ومئة درهم يطبخ رز اصفر ومئة درهم ثمن مشمش ويتصدق بكل ذلك علي الجماعة المرتبين والسكان الذين يقطنون بالدار الحرمية التي بها- اي بالمدرسة - حيث كان يسكن بالدار الحرمية مجموعة من النسوة المعتقات. وقد فرض لكل واحدة نصف رطل خبز وخمسة أرطال زيت يسرج للقاعة الحرمية- وهي التي تسكن بها النسوة المعتقات- وتوابعها في نصف شعبان. ومائة درهم للحلوى. وحددت خمسين درهماً للخبز يفرق على الفقراء والمساكين الذين على باب المدرسة. والباقي يكون لجهات البر والصدقه.

---

(١) النعيمي، الدارس، ج١، ص٢٧٨. وبدران، منادمة الاطلال، ص١٢٧.

(٢) سجل أوقاف وأملاك دمشق، رقم ٣٩٣ لسنة ٩٥٤هـ- ١٥٤٧م، ص٩٩.

وكان النظر للمدرسة للواقفة نفسها ثم للأرشد من أولادها ثم المدرس بالمدرسة. فإذا لم يوجد يكون لحاكم دمشق. والعقار الموقوف على المدرسة جزء أو حصة من مزرعة أرساس تابع بني شيبه من حوران[1][2].

المدرسة الفرخشاهية:

هي من المدارس المنشئة وقفاً، وقد وقفتها صاحبتها حظ الخير خاتون سنة ٥٧٨هـ - ١١٨٢م.[3].

- المدرسة الأتابكية:

وكذلك المدرسة الأتابكية والتي أنشأتها بنت نور الدين رسلان بن اتابك زنكي، وهي من المدارس المنشئة وقفاً، وقفتها صاحبتها يوم وفاتها[4]. وهذا الوقف كان عظيما نظراً لضخامة المدرسة، وكثرة الاهتمام بها وببنائها.

---

(١) حوران: كورة من أعمال دمشق من جهة القبلة. ياقوت، معجم البلدان، ح٢، ص٣١٧.

(٢) سجل أوقاف وأملاك دمشق، رقم ٣٩٣. لسنة ٩٥٤هـ- ١٥٤٧م، ص٩٩.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢١٩.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٣. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٩٦.

- أوقاف المدرسة الحافظية:

وقد وقفت أرغوان على المدرسة الحافظية والتربة بدمشق أوقافاً كثيرة وجيدة[1]، منها بستان بصارو تابع ميطور[2] والوقف يشمل جميع البستان، وكذلك قرية بالا تابع مرج[3]، والوقف يشمل أربعة ونصف فدان[4]

وهناك ايضا من ضمن الأوقاف جنينة الأذيب تابع لمحلة ارزة[5]. وقد عمرت ارغوان خاتون طويلا وتوفيت سنة ٦٤٨هـ -١٢٥٠م.[6].

- أوقاف المدرسة الماردينية:

أما أكبر المدارس أوقافاً فكانت المدرسة الماردينية وكان ذلك لسنة ٦٢٠هـ- ١٢٢٣م. وقفتها صاحبة المدرسة وهي عزيزة الدين أخشاو[7]. وقد وضعت شروط الوقف وحددت

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٩٢. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٤٠.

(٢) ميطور: من قرى دمشق، وكانت بسفح قاسيون تحت حي الأكراد. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٤. وابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص٦١.

(٣) ومرج: تعني في اللغة الأرض والواسعة فيها نبت كثير تمروفيات سنقفيها الدواب اي تذهب وتجيء. وكلمة مرج إذا ذكرت مفردة تعنى مرج راهط. وهنا في حالة تابعة لمرج راهط أو مرج راهيط: بنواحي دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٠١.

(٤) سجل أوقاف دمشق سنة ٧٧١هـ-١٣٦٩م الدفتر التاسع ص٩٧.

(٥) أرزه: محلة مكانها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية انظر: ابن طولون، القلائد الجوهرية، ح١، ص٥٨.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٩٢. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٩١. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٣٥١.

(٧) سجل أوقاف وأملاك دمشق، لسنة ٩٥٤هـ-١٥٤٧م- رقم ٣٩٣، ص١١٠. والنعيمي سنة ٦٢٤هـ-١٢٢٦م. وبدران سنة ٦٢٠هـ. النعيمي، الدارس، ح١، ص٤٥٥.

بالتفصيل الدقيق مكان البناء والناظر والمخصصات لكل جهة والجهة العائدة عليها وحتى مذهب المتعلمين والمعلمين ايضا حدد[1]. وسوف اذكر بعض تلك الشروط[2].

-الناظر يبدأ بعمارة المسجد وتوابعه، وحدد المكان بالصالحية. وهو المكان المتفق عليه للبناء.

- وقد حددت مقادير الوقود المطلوبة في كل شهر ولكل مناسبة فمثلاً للوقيد في كل شهر ٥ أرطال زيت، وبالطبع في رمضان نحتاج لكمية أكثر فكانت ١٥ رطلاً. كذلك حدد كمية الشمع ايضا المطلوبة في السنة، وتوزع على رمضان والنصف من شعبان وغيرها من المناسبات الدينية.

-وقد حددت أجرة الناظر ايضاً في كل يوم رطل خبز، و ٣٠ مثقال من الفضة وذلك من عشر المتحصل.

-ويصرف لكل رجل من اهل العلم على أن يكون حنفي المذهب في المدرسة المذكورة مدرس.

-وإجرة الامام، ٢٠ مثقال فضة.

-والخطيب ٢٠ مثقالاً.

-وقد حدد المؤذنين بخمسة والبواب والكاتب والجابي وغيرهم لهم ١٠ مثاقيل.

-وهناك غيرهم أمثال حفظة القرآن والكاتب والمتفقهة لهم مثاقيل أيضاً بين ٥-١٠ مثاقيل.

---

(١) سجل أوقاف وأملاك دمشق، لسنة ٩٥٤هـ-١٥٤٧م، رقم ٣٩٣، ص١١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٠.

-وحدد الوقف على صاحبة المدرسة ثم لذريتها. وقد اشترط على مدرسها أن لا يدرس بغيرها[1]. وكان الموقوف على المدرسة بستان بجوار الجسر الأبيض، وبستان آخر بجوار المدرسة المذكورة وثلاثة حوانيت بالجسر الأبيض، وهناك بعض الاحكار بجوار المدرسة أيضاً[2].

وقد درس بها مجموعة من العلماء ذكر منهم ابن شداد عدداً أمثال الصدر الخلاطي وبرهان الدين ابراهيم التركماني، وشمس الدين ملكشاه المعروف بقاضي بيسان وغيرهم[3].

وعزيزة الدين اخشاو بانية المدرسة لم تدفن بها، لأنها بعد وفاة الملك المعظم زوجها عادت إلى ماردين[4]. وهناك رواية تقول إنها ذهبت للحج، وبقيت بمكة وتغير حالها ولم يبق معها مال حتى أصبحت تسقي الماء. وقد عرفها بعض الاشخاص الذين كانوا يعرفونها بدمشق، وأخبروا متولي الوقف، وبعث لها شيئاً من الأموال المتحصلة من أوقاف المدرسة، لكنها رفضت وقالت: الذي خرجت عنه لله لا أعود فيه. وقالت: أعطوا كل ذي حق حقه[5].

وقف المدرسة المرشدية:

أنشأتها خديجة خاتون بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م، وقد كتب على حجر بأعلى باب المدرسة الوقفية وتفصيل العقارات الموقوفة

---

(١) النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٥٥. وبدران، منادمة الأطلال، ص٢٠٥.

(٢) النعيمي، الدارس، ح١، ص٤٥٥. وبدران، منادمة الأطلال، ص٢٠٥.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٢٨

(٤) الذهبي، تارخ الإسلام، وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٣٢٠.

(٥) بدران، منادمة الاطلال، ص٢٠٦.

على المدرسة وهي كثيرة وتدل على كبير أهمية المدرسة حين انشائها[1].ومن المدارس المنشئة وقفاً المدرسة المبطورية[2]. وكذلك المدرسة الخاتونية بحماه وكان من ضمن الأوقاف كتبٌ قيمة[3]. وقد وقفت ضيفة خاتون أوقافاً كثيرة على مدرسةِ الفردوس التي بحلب وقفت ضيعة كفرزيتا وثلثي طاحون من النهريات[4].

أوقاف المساجد والخانقاوات:

وقد وقفت المرأة الأموال الكثيرة المنتجة والمدرة للدخل، حتى تستيطع أن تقوم بمتطلبات المساجد، وتفي بحاجاتها، من إنارة وتنظيف وأثاث وغيره، إذ ان المسجد كان يقوم بدوره التعليمي كما تقوم به المدرسة، فها هي أرغوان الحافظية بعد أن تقوم بشراء الأرض لإقامة التربة والمسجد ايضاً، تعمل على توفير الوقف الذي يدر الأموال الكافية لاستمرار هذا المسجد وهذه التربة[5].

وكذلك الخانقاوات فهي كانت لا تقل عن المدارس والمساجد أهمية في دورها العلمي والاجتماعي. فقد اشترطت بعض من وقفت الخانقاوات ان تكون وقفاً على الفقيرات وكانت مجهزة للإقامة والمبيت بها.

---

(١) بدران، منادمة الاطلال، ص٢٠٠

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ص٢٤٢. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٣٨.

(٣) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر. ج٢، ص٢٤٣.

(٤) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٢.

(٥) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢، ق١، ص١٥٠.

فقد قامت بنات حسام الدين لاجين بوقف خانقاه بدرب البنات بحلب كانت مخصصة للفقيرات فقط. وقد خُصصت أوقاف كثيرة ودارٌ حتى يستمر عمل تلك الخانقاة وما تحتاجه من مصاريف[1].

- الأعمال الخيرية الأخرى:

ومن مظاهر ثراء المرأة الأيوبية ان بعض النساء كانت تقوم بأعمال خيرية كثيرة وتغرم عليها مبالغ طائلة دون ان تأخذ مقابلاً على ذلك. فقد كانت ست الشام بنت أيوب كثيرة البر والإحسان للناس، فقد ذكر سبط ابن الجوزي عنها:

" كانت سيدة الخواتين، عاقلة، كثيرة البر، والصلاة، والإحسان، والصدقات. وكان يعمل في دارها من الإشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة بألوف الدنانير تفرقها على الناس، وكان بابها ملجأ القاصدين، ومفرج المكروبين"[2]. فقد عملت في دارها؛ ما يشبه مصنعا للأدوية، وهذا كله كان على نفقتها الخاصة وتقوم بتوزيعه على الناس.

وست الشام هذه هي التي انشأت المدرستين البرانية والجوانية ووقفت عليهما أوقافا كثيرة وكان بكتاب الوقف جزء لطلاب العلم أو المتفقهة من الشافعية. وهذا نوعٌ آخر من الصدقة وهو الصرف على طلاب العلم[3]. ومعظم الخواتين أو النساء اللواتي أنشأن مدارس ووقفن عليها الأوقاف كان هناك بند في الوقفية بالصرف على طلاب العلم، وذلك بإنشاء ملاحق خاصة بالمدرسة، وتعيين مبلغ معلوم يصرف على شراء الكتب، والطعام، لهؤلاء الطلبة[4].

---

(١) الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٤٠٢. والغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٥٤.

(٢) سبط، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٠٦. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢١.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٠٦. والنعيمي، الدارس، ج١، ص٢٢٧.

(٤) سجل أوقاف وأملاك دمشق، رقم ٣٩٣، سنة ٩٥٤-١٥٤٧م، ص٩٩.

الفصـــل الرابـــع

دور المــــرأة في العصر الأيوبي في الحيـــاة السيــاسيــــة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أثر المرأة في المشاركة في اتخاذ القرار السياسي

المبحث الثاني: مباشرة المرأة للحكم من خلف ستار من الرجال

المبحث الثالث: الحكم المباشر (منفردة)

المبحث الأول

أثــر المرأة في المشاركـــة في اتخاذ القـــرار السياســـي

- دور المرأة في إبداء الرأي والمشورة
- دور المرأة في اختيار ولي العهد
- دور المرأة في السفارة والوساطة
- الزواج السياسي
- دور المرأة في الجهاد

- دور المرأة في إبداء الرأي والمشورة:

ظهر من النساء الأيوبيات من كانت تتميز بقوة الشخصية والحزم وسداد الرأي بحيث يؤخذ برأيها من قبل قائد محنك، وعسكري بارز، مثل السلطان الناصر صلاح الدين (ت ٥٨٩هـ- ١١٩٣م) فقد كان يأخذ برأي زوجته عصمة خاتون بنت معين الدين أنر(ت ٥٨١هـ- ١١٨٥م)[١]. "وكانت وفاتها في رجب، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران[٢]، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها"[٣]، وهذا النص يبين مدى أسف السلطان على وفاة زوجته وكذلك أنه كان يصدر بعض القرارات ويكون قد اخذ رايها فيها، وهو معنة "وكان يصدر عن رأيها"، وهذا يدل على سداد رأى تلك المرأة وهي الموصوفة" بالحزم ونفاذ الأمر".[٤] وكانت المرأة بقوة شخصيتها ومكانتها المتميزة في الدولة تقف بوجه الحاكم لتحقن دماء السلمين، وتجير من استجار بها.

فقد كانت ربيعة خاتون (ت ٦٤٣هـ- ١٢٤٥م) من القوة بمكان بحيث أنها تهدد الأمير قتادة[٥] أمير مكة عندما أراد أن يهجم على حجاج العراق وتوقفه عند حده. ففي سنة ثمان

---

(١) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٥.

(٢) حران: هي قصبة ديار مضر، وهي على طريق الموصل والشام والروم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

(٣) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٥.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٥٧.

(٥) الأمير قتادة: ابن ادريس العلوي ثم الحسيني أمير مكة اتسعت ولايته من حدود اليمن إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم استكثر من المماليك وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً وكان أول ملكه لما ملك مكة حسن السيرة أزال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد وأحسن إلى الحجاج واكرمهم وبقى كذلك مدة ثم أنه بعد ذلك اساء السيرة وجدد المكوس بمكة وفعل افعالاً شنيعة ونهب الحاج في بعض السنين. توفي سنة ثمان عشرة وستمائة(ت ٦١٨هـ- ١٢٢١م). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥.وابن الوردى، زين

وستمائة كانت ربيعة خاتون أخت الناصر صلاح الدين في الحج، وفي يوم النحر بمنى قتل رجل من ابناء عم قتادة (ت٦١٨هـ- ١٢٢١م) على يد جماعة من الإسماعيلية، كان هذا الرجل اشبه الناس بقتاده وكانت في الحج ايضا الخاتون بنت جلال الدين حسن ملك الباطنية بالعجم[١]

ويقال بل هي أم جلال الدين[٢] ويقال ايضا ان الذي ضرب الرجل كان برفقة الخاتون بنت جلال الدين[٣].

واعتبر قتادة انه هو المقصود بذلك وهدد حجاج العراق وثار اشراف مكة وعبيدها وصعدوا على منى وضربوا الناس بالحجارة والمقاليع والنشاب ونهبوا الناس يوم العيد وقتل من الفريقين جماعة واستمر هذا يومين. وعندما ضيقوا الخناق على العراقيين ذهب العراقيون إلى حيث يسكن حجاج الشام وعندما وصلوا إلى هناك دخل أمير الحاج العراقي وهو محمد بن ياقوت إلى ربيعة خاتون ومعه الخاتون أم جلال الدين، واستجارا بها[٤] فبعثت ربيغة خاتون الشجاع على بن السلار (ت ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م) إلى قتادة تقول له: ما ذنب الناس قد قتلت القاتل وجعلت ذلك وسيلة إلى نهب المسلمين وأنت تحللت الدماء في الشهر الحرأم في الحرم والمال وقد عرفت من نحن ومن أولاد اخي، والله لئن لم تنته لأفعلن ولأفعلن [٥] ثم أضاف إليه ابن السلار وهدده وخوفه

=الدين عمر بت ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م، المبطعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، تاريخ أبن الوردي ج٢، ص٢٠٦. والزركلي خير الدين، الاعلأم، دار العلم للملايين بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـــ - ١٨٤م، ج٥، ص١٨٩.

(١) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٢٠، ابن الفرات، تاريخ، مج٥، ج١، ص١٢١.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٥٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص٥٥٧.

(٤) ابو شامة، ذيل تاريخ دمشق، ج٥، ص١٢٠.

(٥) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٥٧٧. وابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٢٠.

بأنه إذا لم يرتدع فسوف يقصده الخليفة من العراق وكذلك يأتي إليه من الشام من يتف بوجهه فكف قتادة وطلب مقابل ذلك مبلغاً من المال. وبعدها أقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيل وجريح وخائف وجائع ومسلوب ثم أذن للناس في دخول مكة ولكن لم يدخلها الا الأقوياء والأصحاء فطافوا ثم رحل الحاج العراقي في حالة من الذل والفقر[1] وهكذا نلاحظ قوة الشخصية وسداد الرأى الذي كانت تتصف به ربيعة خاتون، وأسلوب التهديد الذي ارسلت تهدد به قتادة والذي جعله يرجع عن تهديده للحاج العراقي.

وقد كان لأم الملك العادل سيف الدين أبي بكر (ت ٦٤٦هـ- ١٢٤٨م)، تأثير كبير على زوجها الملك الكامل الأيوبي (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)، وهو والد الملك العادل والملك الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧هـ-١٢٤٩م)، بحيث انه عندما خرج الملك الكامل لفتح دمشق استناب بالديار المصرية ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب[2] ثم تغير الملك الكامل وتراجع عن ذلك وقرر العودة إلى مصر بناء على كتاب بعثت به أم الملك العادل تشكو فيه ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتقول فيه: إنه أخذ مالا جزيلاً من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال، ومتى لم تتدارك البلاد وإلا غلب عليها، وأخرجنى أنا وابنك الملك العادل منها[3] وكان هذا أحد أسباب عودة الملك الكامل إلى مصر إضافة إلى أسباب اخرى منها أنه بلغه موت ولده الملك المسعود

---

(١) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٥٧٧. وابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٢١.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٦، وابن العميد، المكين جرجس (ولد ٦٠٢هـ- ١٢٠٥م)، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٢٦.

(٣) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٢٦، والمقريزى، السلوك، ق١، ج١، ص٢٣٨.

صاحب اليمن لكنه كتمه في البداية. وكذلك وصله خبر آخر هو ان ابنه الصالح نجم الدين أيوب اشترى ألف مملوك فهذا مما أقلقه على الأوضاع[1]

وكتاب أم العادل جعل الكامل يغضب غضباً شديداً وهو الذي "كان يحب العادل ويحب أمه حباً زائداً"[2] "وكانت أحظ الناس عنده"،[3] وهذا ما دفع الكامل فيما بعد وعندما أراد الرحيل مرة أخرى من مصر إلى أن يبعث ابنه الملك الصالح نجم الين أيوب إلى الشرق ليكون نائباً عنه هناك، وأن يكون ابنه الملك العادل في الديار المصرية ومعه أمه وتكون هي مسؤولة الأموال والخزائن في مصر[4] وهذا قمة التأثير من قبل المرأة وهي أن تبين للملك الكامل في البداية أن الرجل أساء التصرف في أموال الدولة، ثم تتولى هي هذه الأمور، وبعد وفاة الكامل بقيت أم الملك العادل تسعى جاهدة في تثبيت أقدأم ابنها في الحكم بما تقوم به من اتصالات ومكاتبات مع ملوك بلاد الشام.

فعند وفاة الملك الكامل كان الملك الصالح مقيما بسنجار[5] ثم حاول بعد ذلك الاتصال مع بعض ملوك بلاد الشام أمثال عمه الصالح عماد الدين إسماعيل – صاحب بعلبك وطلب منه المساعدة في انتزاع مصر من أخيه العادل، وإذا تم ذلك تكون دمشق للصالح إسماعيل ومصر للصالح نجم الدين أيوب، وفي البداية كانت الموافقة من الصالح إسماعيل، لكن أم العادل عندما علمت بذلك كتبت إلى الملك الصالح إسماعيل بمساعدة بعض أمراء المصريين مما أثناه عن

---

(١) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٢٦، والمقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص٢٣٨.

(٢) المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ق١، ص٢٤٧

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص١٧.

(٥) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة وهي مدينة عأمره جداً، وفي وسطها نهر جـار، بينهـا وبـين الموصل ثلاثة أيأم، كذلك بينها وبين نصيبين ثلاثة أيأم. ياقوت ، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٢.

الأمر، بل أكثر من ذلك اتفق الصالح إسماعيل، مع صاحب حمص على مخالفة الصالح نجم الدين، وعندما قبض الناصر داود على الصالح نجم الدين وحبسه في قلعة الكرك سرت بذلك أم الملك العادل والملك العادل، وأقاموا احتفالاً بذلك وليمة عظيمة في الميدان تحت القلعة في مصر[1].

وعبرت تلك الوليمة عن حجم الغضب الذي كانت تكنه تلك المرأة للملك الصالح نجم الدين أيوب. فقد دعت أم العادل الناس جميعاً الخواص والعوام وذبحت من الغنم الف رأس، وجملة من الإبل والخيل والبقر والجاموس. وأذابت ما يزيد على مائة قنطار من السكر، ووزع ذلك كله في أوان على الناس. كل هذا الفرح كان ابتهاجا بما لقيه من سجن على يد الناصر داود،[2] وهكذا نلاحظ مدى الحقد والكره الذي تكنه أم العادل للصالح نجم الدين أيوب وهذا نابع بالطبع من حرصها الشديد على أن لا يخرج الأمر من ابنها، وهي المرأة المفضلة عند زوجها.

وعندما أفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان وقع ذلك عظيماً على أم العادل وعليه،[3] وقد خرج الأمر من يدها ومن يد ابنها رغم المحاولات.

وقد وصف ابن الوكيل أم الملك الكامل وزوجة الملك العادل بأنها" الملكة شمسة". وهنا عبارة الملكة توحي بما كان لها من دور سياسي في حياة زوجها، وفي حياة ابنها[4].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٦٨.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٦٥، والمقريزي، السلوك، ق٢، ج١، ص٢٨٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦٩.

(٤) ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص٥٩.

- دور المرأة في اختيار ولي العهد:

حرصت المرأة في البيت الأيوبي على بقاء ولاية العهد في أبنائها. فقد اختير العزيز ابن ضيفة خاتون وهو ابن بنت العادل لولاية العهد واستبعد الملك الصالح صلاح الدين أحمد بن الملك الظاهر لأنه ابن أمة،[1] وهذا الاختيار كان بناء على رغبة ضيفة خاتون وأبيها الملك العادل وإخوتها أبناء العادل، ولولا هذا لكان الملك الصالح وهو الأكبر يمكن أن يكون ولي العهد.

وكذلك رفضت بنت الأمجد بن الملك العادل أن يتولى ابن أمة ويترك ابناها الظاهر والأمجد؛ وذلك عندما استناب الناصر داود ابنه المعظم عيسى بالكرك. لذلك اتفقت مع ابنيها على القبض عليه وأن يكون الأمر لهما، وتم ذلك[2].

- دور المرأة في السفارة والوساطة:

وكان للمرأة دور آخر في التأثير على المسار السياسي وإن كان هذا بتخطيط من متولي الأمر، وليس بيدها كل ذلك إلا عن طريق التأثير عليه واستعطافه لتسير بعض الأمور وفق مرادها.

فمنذ بدايات الدولة الأيوبية، تمت محاوله تغيير الموقف السياسي عن طريق المرأة، خاصة من لها علاقة بالملك العادل نور الدين زنكي. وحاولوا أن يستغلوا العلاقة السابقة بينه وبين صلاح الدين.

---

(١) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٢٠٧-٢٠٨، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٥٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٢٤٤.

ففي سنة ٥٧١هـ- ١١٧٥م عندما أخذ صلاح الدين قلعة اعزاز، وتوجه إلى حلب، عندها أخرجوا إليه ابنة صغيرة لنور الدين، وطلبت منه رد اعزاز فأعطاها اياها[١].

وفي سنة ٥٨١هـ- ١١٨٥م وعندما حاصر صلاح الدين الموصل، ذهبت ابنة نور الدين محمود وهي زوجة صاحب البلد ذهبت لتلعب دور الوسيط بين صلاح الدين وبين زوجها، وكان برفقتها والدة عز الدين ومجموعة من النساء اضافة إلى بعض أعيان الدولة، لكن صلاح الدين رفض ولم يقبل وساطتهن وردهن خائبات[٢] وهنا كان بعث هؤلاء النسوة إلى صلاح الدين لاستدرار عطفه على بنت نور الدين والنساء اللواتي معها. ومن منطلق علاقته القديمة مع نور الدين، لأن هذه العلاقة كانت ظاهرة بالنسبة للجميع، وان صلاح الدين لا يرفض أي طلب لأي شخص من طرف نور الدين، وقد ذكر الخبر ابن الأثير وابن العبري بقولهما: "وكل من عنده ظنوا أنهن إذا طلبن منه الشام أجابهن إلى ذلك لاسيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين".[٣] ويورد ابن العبري صدى رده النساء خائبات وثورة الناس لذلك وما قاموا به ولوم من حوله أمثال القاضي الفاضل، وندم صلاح الدين على ذلك[٤]

(١)ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٥٢، سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٣٥. والصفدى ، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢٢١.

(٢) ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه انطوان صالحاني اليسوعي، ط٢، ١٩٥٦هـ - ١٣٧٨م، ص٢١٩. وابو الفداء، المختصر، ج٢،ص١٥٢، والنويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٥٧. والذهبي، العبر، ج٤، ص٢٤١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٦٨. وابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص٢١٩.

(٤) ابن العبري، المصدر نفسه، ص٢٢٠، الحجاري، النجوم الزاهرة، الخاص بالقاهرة، ص١٩٣.

ولكن صلاح الدين عندما حاصر الموصل للمرة الثانية بنفس السنة أي سنة ٥٨١هـ- ١١٨٥م خرجت اليه جماعة من النساء الأتابكيات يتوسطن في الأمر، فقبل وساطتهن واحترمهن ولم يردهن خائبات كما حصل في المرة الأولى[١]

وقد يكون صلاح الدين قبل الوساطة حتى لا يندم ولا يلأم كما حصل في المرة الأولى. أو قد يكون لحنكة سياسية عنده وهي انه في المرة الأولى عجز عن اخذ البلد بالقوة، لذلك آثر أن يقبل الصلح ويفرض شروطه عليهم، ويكسب الموقف، وأرجح هذا الرأى أكثر من خوفه من اللوم والندم.

وفي سنة ٥٩٩هـ- ١٢٠٢م حصل خلاف بين الملك العادل وبين ابن أخيه الملك الأفضل، وكان قد سمع أن الملك الأفضل راسل الأمراء، عندها بعث الملك العادل إلى ابنه الأشرف موسى ان يأخذ منه رأس عين[٢] وسروج[٣]

ثم كتب إلى الظاهر ليأخذ منه قلعة نجم، وبعد أخذ كل تلك المناطق لم يبق معه إلا سميساط[٤]. عندها بعث الأفضل والدته، إلى الملك العادل وكان في دمشق وذلك لتشفع له ويرجع عن قراره لكنه لم يقبل شفاعتها وردها خائبة.[٥] وهنا يجب ذكر أن بعض المؤرخين عزا ذلك القرار ورد أم الأفضل خائبة إلى أن ذلك كان عبرة، لأن صلاح الدين رد ابنة نور الدين ومن

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٨١- ٥٩٠، ص٦.

(٢) سبق تعريفها.

(٣) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار بكر. ياقوت معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.

(٤) سميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرق بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة. ياقوت ، معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص١٦١. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص١٠٤.

معها من الأتابكيات عند حصار الموصل، لذلك عوقب ابنه بنفس الفعل.[1] وفي سنة ٦٣٥هـ-١٢٣٧م، وبعد الخلاف الذي حصل بين الملك الصالح إسماعيل والكامل ووفاة الملك الأشرف تسلم الملك الكامل دمشق، ولأن شيركوه صاحب حمص كان إلى جانب الصالح إسماعيل في تلك الأحداث صب الملك الكامل غضبه الشديد عليه، لذلك أمر العسكر لقصد حمص، وكذلك بعث إلى المظفر صاحب حماة وأمره أن ينزل أيضاً إلى صاحب حمص الذي عندما سمع بذلك أرسل إلى الملك الكامل بنسائه وذلك ليشفعن لصاحب حمص ويتوسطن لحل الخلاف، لكن الملك الكامل لم يلتفت لهن[2].

وهنا بقدر حنق الملك الكامل على صاحب حمص، كان رفضه لوساطة هؤلاء النسوة لحل المشكلة وهذا غير مستغرب في ظل الأحداث الدائرة، وما وصلت اليه الحالة بين ملوك الأيوبيين في تلك الفترة، ومحاولة كل منهم أن يسيطر على البلاد وتكون تحت قبضته، ويكون هو سيد الموقف.

وبقيت المرأة تلعب هذا الدور، ويلجأ لهذا الأسلوب الملوك والسلاطين إلى آخر فترة الأيوبيين وفي الفترة المملوكية، ففي سنة ٦٥٧هـ- ١٢٥٨م سار الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام ومعه الملك المنصور صاحب حماة بعساكرهم إلى الكرك وذلك لحصار الملك المغيث، وكان سبب ذلك حمايته للبحرية، عندها بعث الملك المغيث رسلاً ومعهم الدار القطبية

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢٦٠، وابو الفداء، المختصر، ج٣،ص١٩٤. وابن الوردي، تتمة المختصر، ص١٨٠. والمقريزى، السلوك، ج١٨، ص١٦٢.

(٢) أبو الفداء المختصر، ج٢، ص٢٦٣، وابن الوردى، تتمة المختصر، ص١٨٠.

وهي بنت الملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل وذلك ليشفعوا له عند الملك الناصر ويطلبوا رضاه، وقبل ذلك لكنه شرط على المغيث أن يسلم من كان عنده من البحرية ففعل.[1] .

وكذلك قامت والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بدور الوساطة لابنها عند الملك الظاهر بيبرس في سنة٦٦١هـ -١٢٦٢م والتقتة في غزة وتوثقت لابنها، وقد احسن إليها.

ولكن ذلك على ما يبدو كان لإحضار المغيث اليه، وعندما التقاه فيما بعد أرسله إلى مصر، وبعثه الملك الظاهر إلى زوجته فقتلته هناك. ويقال أنه عندما كانت البحرية عند الملك المغيث في الكرك، أساء المغيث لزوجة الظاهر، لذلك انتقمت منه وقتلته[2].

وهكذا نلاحظ ان المرأة كانت تقوم بدور الوساطة والشفاعة لزوجها أو لابنها أو لأخيها عند الملوك والسلاطين.

وباعتقادي فإن هذا النوع من الوساطة ليس لقوة المرأة على الإقناع أو التأثير بقدر ما هو استدرار لعطف الرجل على المرأة، وان كل الوساطات النسائية التي حصلت كانت من هذا النوع؛ أي ان الرجل يحاول ان يؤثر على الطرف الآخر بأن يستدر عطفه على المرأة، وليس بمفهوم السفارة التي تكون فيها المرأة قادرة على محاكاة من يقف امامها وإقناعه في ذلك.

- الزواج السياسي:

وقد كان للمرأة دور آخر في تغيير الرأي السياسي؛ وهو بزواجها؛ والذي نستطيع ان نسميه الزواج السياسي؛ وهو زواج المرأة من رجل لإصلاح موقف سياسي بين طرفين. والجدير

---

(١) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٧. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٠٠، ص٤٣. وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤٩.

(٢) ابو الفداء ، المختصر، ج٢، ص٢٣٧، والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٦١-٦٧٠، ص٧.

ذكره أن هذا الدور وإن تكن المرأة هي التي تقوم به، لكنه بالتأكيد لصالح الرجل أو الدولة، وإن لم يكن ضاراً بالمرأة، أو لم تذكر المصادر أن المرأة كانت متضررة من وراء ذلك أو معترضة عليه. إذن كان هذا الزواج لإصلاح موقف سياسي. وهناك زيجات كثيرة على طول فترة حكم الأيوبيين منذ تولي صلاح الدين إلى نهاية الدولة.

وكانت تلك الزيجات بين الدولة الأيوبية وبين غيرها مثل دولة الروم، أو مع الخوارزمية وغيرهم. وهناك زيجات داخل البيت الأيوبي نفسه تمت لإصلاح موقف أو لتحقيق هدف ما، وهي كثيرة.

ففي سنة ٥٨٧هـ- ١١٩١م، زوج صلاح الدين ابنة أخيه الملك العادل إلى معز الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم، عندما قدم إليه بسبب خلاف بينه وبين أخيه.[١]

ثم فيما بعد تم اكثر من زواج بين الطرفين، فقد تزوج غياث الدين كيخسرو سلطان الروم آنذاك من ابنة السلطان، وقد بعث يخطبها من جدتها الصاحبة والدة الملك العزيز،[٢] كما تم زواج الملك الناصر سلطان حلب من ابنه السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسروظ، وأمها هي ابنة السلطان الملك العادل[٣]، التي تم ذكر زواجها.

---

(١) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص١٦٧.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٨٣-١٨٤.

(٣) ابن واصل، المصدر نفسه، ج٥، ص١٨٤.

كما تم زواج سياسي بين الأيوبيين والخوارزمية، ففي سنة ٦٣٦هـ- ١٢٣٨م. زوج الملك الصالح نجم الدين أخته لأمه من بركة خان[1] ملك الخوارزمية. لأن خان كان عوناً له ثم تغير عليه [2]. وتغير الخوارزمية جميعهم على الصالح نجم الدين عندما كانوا عوناً له ولم يحصلوا منه على ما أرادوا، لذلك كاتبوا ركن الدين بيبرس البند قد ارى، وكان اكبر أمراء الصالح نجم الدين أيوب، ثم راسلوا صاحب الكرك الناصر داود ووجدوا عنده الموافقة للوقوف ضد الصالح، وكانت أم صاحب الكرك خوارزمية، ثم تزوج منهم أيضاً، فكانت أمه وزوجته من الخوارزمية. [3]

وفي داخل البيت الأيوبي رغم انهم إخوه وأبناء عم ومن الطبيعي ان يكثر الزواج فيما بينهم، لكنه كثر لسبب آخر وهو زواج لأجل مصلحة أو زواج سياسي .فيتزوج ابن الملك أو السلطانَ بنت عمه مثلاً، وهي منَ بنات الملوك والسلاطين أيضا، فيحافظون على نفس المستوى الاجتماعي من ناحية، ومن ناحية أخرى يرضي الزوج عمه أو ابن عمه في هذا الزواج. وقد كانت تلك الزيجات كثيرة.[4] ومنذ عهد صلاح الدين بدأت الزيجات والتي كانت من أجل مصلحة معينة، فقد يرجع كثير من الباحثين زواج صلاح الدين من زوجة نور الدين زنكي الخاتون

---

(١) بركه خان الخوارزمي حسام الدين من ملوك الخوارزمية الأربعة، وكان هو أجلهم، وأميرهم، وكان مائلاً إلى الخير ، والرفق بالناس وكان الملك الصالح نجم الدين قد صاهره وأحسن اليه ثم خرج الصالح وأعان أعداءه، وصار من حزب الصالح إسماعيل ، قتل (ت ٦٤٦هـ- ١٢٤٨م). . الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٢١، والمقريزي، السلوك، ق١، ج١، ص٢٨٠.

(٣) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٢٨٧.

(٤) علي، وفاء محمد، الزواج السياسي، في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص١٣٥.

عصمة الدين أن هذا الزواج لتحقيق هدف ما، ألا وهو أخذ دور الوريث الشرعي لدولة نور الدين زنكي، وإن كان الظاهر من هذا الزواج هو إن يحفظ لتلك المرأة احترأمها، وهي المرأة المسموعة الكلمة، الحازمة، والتي كان لها وضع خاص عند زوجها السابق نور الدين محمود[1].

ونتيجة هذا الزواج، زوج صلاح الدين أخته من أخ زوجته بنت معين الدين أنر وهو سعد الدين مسعود بن معين الدين أنر، وكان سعد هذا من أكابر الأمراء، وكان صلاح الدين من المعجبين به، زوجه من أخته ربيعة خاتون والتي تزوجت بعده من مظفر الدين بن زين الدين[2] ونستطيع القول إن هذا الزيجات كان فيها مصلحة مشتركة، وان صلاح الدين رغب في تلك الزيجة وخاصة أن معين الدين أنر كان من أنصار صلاح الدين وعوناً له، وأخته كانت تمثل له شيئاً كبيراً وهي زوجة نور الدين والذي أخذ صلاح الدين مكانه في الدولة والزوجة. وهناك زواج آخر نستطيع القول إنه سياسي قام به صلاح الدين، وهو زواج أخته ست الشام من ابن عمها محمد بن أسد الدين شيركوه ولقبه ناصر الدين. ومحمد بن أسد الدين كان يعلن دائماً أنه أحق بالملك من صلاح الدين، وكان السلطان يعرف ويسمع بهذا التصريح،[3] لذلك أراد أن يتقى شره حتى لا يثير زوبعة حول عرشه، وهو الذي عمل بكل الوسائل على أن تكون الأمور لصالحه حتى تهدأ الأمور في الدولة، وهو الذي كان أكثر الناس حرصاً على أن تكون الأمور الداخلية متحدة حتى يستطيع أن يقاوم الهجمات الشرسة القادمة من داخل البلاد، ومن خارجها، وهي الهجمات الفرنجية، لذلك عمل على تهدئه الأوضاع الداخلية بقدر الأمكان، وبالطبع لا

---

(١) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧١، وعلـي، الزواج السياسي، ص١٣٥.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٥، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢٢.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٣٨٥-٣٨٦، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٢١.

نستطيع أن نغفل الجانب الآخر وهو حب أي شخص في السلطة وحرصه على أن لا يكون له منافس يثير عليه المشاكل من حين إلى آخر.

لذلك كان هذا الزواج، وخاصة ان بعض المصادر أشارت إلى أن صلاح الدين كان يخاف محمد بن اسد الدين لأنه كان يدعي انه أحق بالملك منه[1].

وبعد صلاح الدين استمرت تلك الزيجات بين افراد البيت الأيوبي لاتفاقات معينة، أو لاتقاء شر هذا الملك أو ذاك حتى تستقر الأمور، رغم أن هذه الزيجات قد تكون أوضاعاً طبيعية لأنها بين أفراد البيت نفسه، وهم جميعاً اخوة وأبناء عم، ولكن نظراً للظروف السائدة والمنافسات بين أفراد البيت الأيوبي أخذت تلك الزيجات الطابع السياسي.

والجدير ذكره ان معظم زيجات بنات الملك العادل هي من هذا النوع من الزيجات . ففي سنة ٥٩٠هـ -١١٩٣م تسعين وخمسمائة زوج الملك العادل ابنته من ابن أخيه الملك العزيز صاحب مصر[2]. ونحن نعرف أن العادل فيما بعد استولى على عرش مصر. ثم تزوج الملك الظاهر صاحب حلب باثنتين من بنات الملك العادل؛ تزوج بغازية خاتون في سنة ٥٨٢هـ-١١٨٦م[3] وعندما توفيت خطب من عمه اختها الملكة ضيفة خاتون. وقد ارسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد يخطبها منه ويسترضيه حتى يوافق على هذا الطلب حيث كانت ضيفة خاتون أجل بنات العادل[4]. وتم ذلك في سنة ٦٠٩هـ- ١٢١٢م[5] وكان لا يخفى على شخص ان هناك وضعاً غير مستقر بين الملك العادل والملك الظاهر، لكن الزيجات تلك خفضت وحدت من

(١)سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج٨، ص٣٨٦.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٩٨.

(٣) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٢

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ص١٦٣، وابن الفرات ، تاريخ ، مج ٥، ج١، ص١٢٦، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٥) ابن العديم ، زبده الحلب، ص١٦٤، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

ظهور تلك الأوضاع، وخاصة ان الملك الظاهر فيما بعد طلب من العادل ان يولي ابنه الملك العزيز ولاية العهد وان يزوجه الملك الكامل من ابنته، وهذا ما حصل فيما بعد في سنة٦٢٩هـ-١٢٣١م[1] وبقدر ما كانت تلك الزيجات مهمة عند الظاهر وعند ولده الملك العزيز كان الاحتفال بالزيجتين كبيراً[2].

وقد تم زواج آخر لبنات العادل من ابناء صلاح الدين في سنة ٥٩٦هـ- ١١٩٩م وهو زواج ملكة خاتون بالمنصور محمد صاحب حماة، وقد تحدثت بعض المصادر عن حداد المنصور على ملكة خاتون عند وفاتها سنة ٦١٦هـ- ١٢١٩م، وكتبت بذلك قصائد[3]. وهكذا نلاحظ ان العادل زوج بناته من أولاد اخيه صلاح الدين وهم ملوك الشام، واستطاع في النهاية أن يأخذ بلاد الشام ومصر ويوزعها على أبنائه، ولم يبق إلا حلب وحماة وهي للطاهر والمنصور محمد وهما أصهاره، وهذا يبين أن لديهما بعد نظر عندما رغبا في مصاهرته، للمحافظة على عرشيهما، ولكن هذا لا ينفي أن هذه المصاهرة قد تكون بسبب القرابة، فهم أبناء عم.

وتكرر الزواج السياسي أو ما يسمى الزواج لحل ازمه سياسية معينة أو لتحسين موقف سياسي، ففي سنة ٦٢٩هـ- ١٢٣١م تزوج الناصر أو صاحب الكرك من ابنة عمه عاشوراء خاتون بنت السلطان الملك الكامل، وهي شقيقة الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن الملك الكامل[4] وقد كان هذا الزواج من أكثر الزيجات الواضحة انها لتحقيق مصلحة ما، أو انه زواج سياسي، وخاصة ان الملك الناصر فيما بعد وعندما تغير عليه الملك الكامل، طلق الناصر

---

(١) ابن العديم، زبده الحلب، ص٢٠٦- ٢٠٧، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٤٣.

(٢) ابن العديم، زبده الحلب، ص٢٠٦-٢٠٧، والحنبلي شفاء القلوب، ص٣٤٤.

(٣) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٢.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٦. والذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٢٣٩.

عاشوراء خاتون بنت الكامل قبل الدخول،[1] ثم في سنة ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م جدد الناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون[2].

ويقول ابن واصل بذلك: (ولو كان الملك الناصر التجأ إلى عمه الملك الكامل في أول أمره لم تخرج بلاد أبيه من يده) [3] وهذا النص يدل على ان هذا النسب قد قرب بين الكامل والناصر بعد الخلاف بينهما، وحمى الناصر من الخلافات بينه وبين ملوك بلاد الشام الباقين وقد كثر الزواج السياسي في نهاية الدولة الأيوبية في مرحلة ضعفها، ففي سنة ٦٥٢هـ- ١٢٥٤م قويت شوكه فارس الدين اقطاي الجمدار[4]، واستفحل أمره في مصر، وحتى يستطيع ان يأخذ الشرعية ويحكم البلاد بسند، خطب ابنة الملك المظفر صاحب حماة، وتم له، وعقد النكاح، ويقال انه لما تزوج بها زادت نفسه قوة، وعظمه الأمراء، ثم بعد ذلك زادت أطماعه وطلب من المعز أيبك (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) الإسكندرية إقطاعاً له، وكذلك أصحابه بالغوا في طلب الإقطاعات، حتى طفح الكيل مع المعز فدبر له مع المماليك المعزية فقتلوه[5].

---

(١) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٢٤٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ق١، ص١، ص٢٥٤.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٦.

(٤) اقطاي الجمدار: يقال له أقطايا، كان من المماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب وتقدم على البحرية الذين أهلكوا الناس فقد كان أصحابه يأخذون أموال الناس وحريمهم وأولادهم أخذاً باليد ولا يقدر احد على منعهم. وكان اقطاي يمنع الملك المعز ايبك من الاستقلال لذلك عزم المعز على قتله وتم ذلك سنة اثنتين وستمائة. العيني، عقد الجمان ، ص٨٤.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٧٧. والعيني، عقد الجمان، ص٨٥.

وكذلك شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) عندما لم يوافق عليها ان تكون متولية عرش مصر وتكون هي الحاكم في البلاد، وحتى تستطيع المحافظة على العرش تزوجت من المعز أيبك (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) حتى تستطيع أن تمارس سلطتها من خلاله[١].

وهناك زيجات اخرى تعتبر زيجات سياسية في الفترة الأيوبية لا داعي لذكرها خوفا من الاطالة. والجدير ذكره أن الزواج السياسي كان موجوداً بكثرة ووضح في فترة العباسيين، واستمر وازداد في فترة المماليك.

- دور المرأة في الجهاد:

لو تساءلنا هل كان للمرأة دور في الحروب والعمليات العسكرية أم لا؟ الواقع أنني لم أعثر على نصوص صريحة تبين مشاركة المرأة في القتال في أرض المعركة، ولكن هناك بعض الإشارات القليلة جداً والنادرة إلى وجود بعض الأسيرات المسلمات بجانب الفرنجة.

ففي سنة ٥٨٧هـ- ١١٩١م وعندما كان السلطان صلاح الدين مرابطاً للفرنج في احدى وقعاته احضروا له اربعة عشر من الفرنج وأمرأة فرنجية أسيرة من بينهم، وكان معهم أسيرة مسلمة كان الفرنج قد أسروها[٢]. وهذا له أكثر من احتمال، فأما أن تكون تلك المرأة كانت مرافقة للجيش المسلم في احدى وقعاته، أو انها أسرت من قبل جماعات الفرنجة خلال خروجها من بيتها لقضاء حاجة معينة.

ولكن مما لا شك فيه ان المرأة كانت مؤثرة في شحذ همم الرجال للدفاع عن الإسلام وعن البلاد، وفي بث الحماسة في نفوسهم. وكانت تستخدم في ذلك أموراً رمزية تتمثل في جز

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٢٤. عقد الجمـان، ص١٠٩. lane- poole. History of Egypt in the middle Ages, frank cass and co.lid. 388, 1968. p 256.

(٢) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٧٩.

شعرها. وقصة أبي قدامة الشامي مشهورة بهذا الصدد، إذ أن امرأة قطعت شعرها وبعثته إليه وقالت: اجعله قيداً لفرسك في سبيل الله.[1] وعندما جلس ابن الجوزي بجامع دمشق للحث على الجهاد، قطعت النساء شعورهن، فاجتمعت لديه شعور كثيرة عمل منها شكلاً لخيل المجاهدين. عندما ضج جميع الحضور ضجة عظيمة، وثارت بهم الحماسة، وخرجوا إلى نابلس، واجتمعوا بالملك المعظم، ثم ساروا إلى حيث كان الفرنج للقتال[2].

وهنا كان دور النساء هو اثارة الحماسة والنخوة وبذل النفس مقابل تحرير البلاد وحماية الإسلام. وهذا نوع آخر من التأثير على الرأي السياسي ومشاركة ايضا في محاربة العدو.

والجدير ذكره أن المرأة كانت تستخدم من قبل الرجل لتغيير موقف معين، وذلك ان المرأة كانت بنظر الجميع بحاجة إلى حماية، لذلك يستثيرون همم الناس حتى يهبوا للدفاع عن تلك المرأة الضعيفة، والتي اذا وقعت بأيدي الأعداء سوف يلحق بهم العار، لذلك يجب المحافظة على شرفها بالدفاع عنها، مثلما حصل في نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية عندما طلب العاضد من نور الدين أن يبعث له النجدة للخلاص من الفرنجة، فقد أرسل العاضد شعور نسائه وقال: "أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج"[3]

ويقال إن شاور أيضا أرسل إلى نور الدين يستنجد به من الفرنج بعض الكتب، وبداخلها ذوائب مجزوزة، وعصائب مخروزة[4].

---

(١) ابو شامة ذيل الروضتين، ج٥، ص١٠٧، والذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٠١-٦١٠، ص٣٠، وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٨.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٠٨.

(٣) السيوطي، حسن المحاضرة، مج٢، ص٤.

(٤) ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص٣٤. والذهبي، تايخ الإسلام، وفيات سنة ٥٦١-٥٧٠، ص١٧.

وقد شاركت المرأة في تعمير المنشآت الدفاعية في بلاد الشام، ففي سنة ٦٥٨هـ-١٢٥٩م شاركت المرأة بيدها في تعمير القلعة في دمشق، حيث كان الصناع وكبراء الدولة والناس جميعاً يعملون في البناء[1]

ونخلص من كل ما تقدم في هذا المبحث إلى وجود دور مناسب للمرأة الأيوبية في اتخاذ القرارات السياسية، وفي المشاركة في الأحداث العامة وفق الظروف المتاحة.

---

(١) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣١٨.

المبحث الثاني

مباشـــرة المـــرأة للحكـــم من خلف ستـــار من الرجـــال

- أم الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي.
- ضيفة خاتون
- غازية خاتون

لقد لعبت المرأة دوراً في السياسة والحكم في الفترة الأيوبية ليس من ناحية استشارة أو قول عابر فحسب، بل كان لها دور فعلي وهأم في إدارة الدولة ولفترة تعتبر طويلة نسبياً في تاريخ المرأة السياسي، وإن كان ذلك من خلف ستار من الرجال.

ففي حلب وحماة قامت المرأة الأيوبية في إدارة أمور الدولة على أكمل وجه شهدت لها بذلك أمهات الكتب في التاريخ الأيوبي مثل: أم الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي، وضيفة خاتون، وغازية خاتون.

- أم الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود زنكي:

قامت هذه المرأة بتدبير ملك ابنها في دمشق وحلب والمحافظة عليه حتى كبر، والملك الصالح هذا عندما توفي أبوه كان صغير السن ولم يبلغ الحلم، فملكوه دمشق وكذلك حلفوا له بحلب[1]. فأدارت أمه شؤون الحكم وكان يساعدها في ذلك شاذ بخت الخادم وابن القيسراني[2]. ولكن عندما جاء صلاح الدين من مصر أخذ منه دمشق فرحل إلى حلب. وسار صلاح الدين إلى حلب وحاصرها ثلاث مرات، وفي النهاية تم الصلح بينهما وبقيت حلب بيد الصالح اسماعيل ولكن المدبر لملكه هي أمه[3]. وكان ذلك في سنة ٥٧٢هـ- ١١٧٦م. وكانت أم الصالح ذات دهاء، فخرجت وطلبت من صلاح الدين قلعة أعزاز، فأكرمها بأشياء كثيرة إضافة إلى قلعة أعزاز[4]. فاتسع بذلك ملك الملك الصالح وتعزز موقعه بإدارة أمه.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٦. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١١٠.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١١٠.

(٣) المصدر نفسه، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١١٠.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٦. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١١١. أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٥٨.

- ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م):

حكمت ضيفة خاتون في حلب من وراء ابنها، ثم من وراء ابن ابنها في فترة من أصعب فترات التاريخ الأيوبي بما حواه من صراعات بين الملوك والأمراء، وقد استطاعت أن تصمد امام تلك التحديات والصراعات وتصل بابن ابنها إلى أن أصبح قادراً على حمل أعباء الملك.

وضيفة خاتون الملكة ولدت في حلب سنة ٥٨١هـ- ١١٨٥م[١] حيث كان والدها ملكا على حلب قبل ان يعطيها صلاح الدين لابنه الظاهر،[٢] ويقال ان سبب تسميتها بضيفة أنه عندما ولدت كان عند والدها ضيف فسماها ابوها ضيفة.[٣]

وقد تولى ابنها وعمره ثلاث سنين، وهو الملك العزيز ابن الملك الظاهر غازي[٤] فقامت ضيفة خاتون بتدبير الدولة[٥]وحُفظ الملكُ بسببها على ابنها وابنه [٦]. وابنه هو الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز(ت ٦٥٩هـ- ١٢٦٠م)[٧].

---

(١) ويقال ان ولادة ضيفة خاتون سنة اثنتين وخمسمائة. الحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٢) ابو الفداء المختصر، ج٢، ص٢٧٥، والذهبي، تاريخ الإسلام،وفيات سنة٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٧، وابن الوردى تتمة المختصر، ج٢، ص٢٥٢، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٣٢٨.

(٣) ابن الوردي، تاريخ ، ج٢، ص٢٤٧، والحنبلي، شفاء القلوب، ص٢٨٣، والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص٢٣٨.

(٤) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص١٧٥، وابو الفداء، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص٧٧.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٤٨

(٦)النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٩٥

(٧) ابن العديم، زبده الحلب، ج٣، ص٢٢٥.

وذكر النويري (ت ٧٣٣هـ- ١٣٣٢م) أن الملكة خاتون كانت تمارس حكم البلاد منذ فترة مبكرة منذ سنة ثلاث وستمائة[١] ، وكان يدبر المملكة مع الملكة خاتون شهاب الدين خضربك الرومي الأبيض [٢].

وبرز الدور الرئيسي والفاعل لضيفة خاتون في ولاية ابن ابنها، حيث تذكر معظم مصادر تلك الفترة أنها تصرفت في الملك تصرف السلاطين، وقامت بالملك أحسن قيام، وقد حكمت البلاد مدة ست سنوات كانت تلك الفترة من أصعب فترات التاريخ الأيوبي،وهي فترة تنازع بين الملوك من يستطيع أن يأخذ الملك من أخيه أو من ابن عمه،ومع ذلك فقد كانت ضيفة خاتون الملكة القوية الجانب،والتي يطلب الجميع رضاها. واستطاعت أن تحافظ على ملك ابن ابنها لمدة سنوات ستة: من سنة أربع وثلاثين وستمائة إلى حين وفاتها سنة اربعين وستمائة[٣]. فعند وفاة ابنها العزيز سنة أربع وثلاثين وستمائة،كان الناصر وهو ولي العهد صغيراً في السن،لم يتجاوز السابعة من عمره. لذلك عين له مجلس ليتولى تدبير أمور الدولة،وهذا المجلس يتكون من الأميرين: شمس الدين لؤلؤ الأميني (ت٦٤٨هـ- ١٢٥٠م)، وعز الدين عمر بن محلى(ت ٦٧٨هـ- ١٢٧٩م)[٤]. ومعهم كذلك وزير الدولة القاضي جمال الدين بن القفطي(ت ٦٤٦هـ- ١٢٤٨م). وعين جمال الدولة إقبال الخاتوني(ت ٦٠٣هـ- ١٢٠٦م) ليحضر بينهم في المشورة[٥].

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص١٩٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٧٧.

(٣) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٧٥. والحلبي، الزبد والضرب، ص٤٥.

(٤) محلى في بعض المصادر ذكر مجلى. ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٦٠.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٥. والمقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص٣١١.

وكانوا إذا اتفقوا على شيء لا يتم أمضاؤه إلا بعد ان يعرضه إقبال الدولة على الملكة ضيفة،لتنظر به وتقره وتختمه،حيث كانت الاختام والتواقيع كلها بيدها[١]. و " حيث كانت الكل بالكل" كما يقول الذهبي[٢].

وقد أدارت ضيفة خاتون البلاد،وقامت بهاخير قيأم،وكان لها دور كبير في حفظ الملك، وكان الملوك والسلاطين يلجأون لها حين الحاجة، وتقيم معهم أحلافاً واتفاقات لصالح حلب،وبما تقتضيه الحاجة.

وعندما حاول الملك الكامل تقدمة الملك الصالح ابن الملك الظاهر،وأن يكون هو المربي للملك الناصر،استشعرت الملكة أن هذا قد يكون خطة لتسلط الكامل على الأمور، فرفضت الملكة خاتون نظراً لقدرتها السياسية،ودفاعاً عن ملكها[٣].

ونظراً لموقف الكامل هذا،انضمت الملكة ضيفة خاتون إلى الحلف ضد الكامل، وكان هذا الحلف يتكون من الملك المجاهد صاحب حمص، والملك المظفر صاحب حماة، والملك الأشرف، والذي كان على خلاف مع الكامل لعدة أمور منها: أخذ الكامل للبلاد الشرقية من الأشرف، وكذلك أخذ بعض المواقع التابعة لدمشق[٤].

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٥. وابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٢٦٠.

(٢) الذهبي، العبر، ج٥، ص١٤٠.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٥-٢٢٦

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٦٩٩. وابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٦-٢٢٧

إضافة إلى أخذ الكامل بعض أملاك الأشرف، بحران[1] والرقه[2] وسروج[3] والرها[4] ورأس عين[5]، كذلك أمتنع عن مساعدته في أمتلاك بعض المناطق مثل خلاط[6]، وكانت بيد كيقباذ الرومي[7].

وكانت الملكة خاتون حريصة واعية لما يحاك لها من دسائس،وما يعقد من اتفاقات ضد حلب. فبعد توليها بقليل، بعث شهاب الدين صاحب شيزر،وكمال الدين عمر ابن العجمي،بعد ان اتفقا فيما بينهما، بعثا إلى الملك الأشرف ليقصد حلب، ووعداه بالمساعدة وهونا له الأمر. وعندما علمت الملكة خاتون بذلك قبضت على الرسول واعترف وأخبر بمضمون رسالته.

وكان ردها على ذلك هو اعتقال شهاب الدين وابن العجمي بالقلعة، ومصادرة أموال صاحب شيزر، أما ابن العجمي فبحنكتها السياسية وحتى تستميل أهله لم تصادر أمواله، وبقياهما الاثنان معتقلين في القلعة حتى وفاة الملك الكامل في سنة ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م[8].

وقد كانت الملكة خاتون سياسية متمرسة تعي الأحداث والصراعات التي تدور بين أبناء البيت الأيوبي،وهم أبناء إخوتها،وصراعاتهم فيما بينهم على تولي السلطة، ففي سنة ٦٣٥هـ-

---

(١) حران: مدينة مشهورة بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

(٢) الرقه: مدينة مشهورة على الفرات من الجهة الشرقية، المصدر نفسه، ج٣، ص٥٩.

(٣) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر. المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٦.

(٤) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. المصدر نفسه،ج٣، ص١٠٦.

(٥) رأس عين: وهي مدينة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين. المصدر نفسه، ج٣، ص١٤.

(٦) خلاط: بلدة مشهورة ذات خيرات واسعة وثمار يافعة وهي قصبة ارمينية الوسطى. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨.

(٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٧.

(٨) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٢٩.

١٢٣٧م وعندما خرجت الخوارزمية عن الملك الصالح، وقد تعرض الصالح للمضايقة والضغوط، لكن الملكة خاتون لم تستغل الموقف،ولم ترد أن تتعرض لأراضي الملك الصالح، لذلك وعرفاناً لها بالجميل،عرض عليها الصالح بعض أراضيه وقال: البلاد كلها بحكمك، وإن شئت إرسال نائب يتسلم هذه البلاد، وغيرها، فأرسليه لأسلم إليه ما تأمرين بتسليمه[١].

ولكن ضيفة خاتون بنظرها الثاقب،أدركت ما عليه ابن اخيها، وأن الحال لا يدوم على ما هو عليه، والسياسة كل يوم في حال، وكانت إجابتها أن طيبت خاطره،وشكرته على ذلك. وفعلاً بعد ذلك عاد الصالح واتفق مع الخوارزمية،وأقطعهم حران والرها[٢].

ثم استجار الملك الصالح بعمته مرة اخرى بعد تهديد الخوارزمية له، وردته بلطف، واعتذرت بأنها لا تستطيع ذلك خوفاً من الروم إذا طلبوه منها، فهي عند ذلك لا تستطيع منعه منهم[٣]. ثم طلب منها المساعدة مرة أخرى في صراعه ضد أخيه العادل للحصول على مصر، لكنها رفضت ذلك بأنها لا تدخل بينه وبين أخيه[٤].

وكذلك فضلت الملكة خاتون الوقوف على الحياد،عندما طلب منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل (ت ٦٤١هـ- ١٢٤٣م) التدخل في علاقته مع الملك العادل صاحب مصر[٥]. كل ذلك كان حسن تصرف،وقوة بصيرة من الملكة، وأنها لا تريد أن تدخل في علاقة بين الأخ وأخيه وتعود تلك العلاقة وتنعكس ضد مملكة حلب.

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢.
(٢) ابن العديم، المصدر نفسه،ج٣، ص٢٤٢.
(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٢.
(٤) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.
(٥) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٤٣.

وكانت الملكة ضيفة خاتون،نظراً لحسن تصرفها،دائماً أو في معظم الأوقات في موقف القوة والأمان، ويلجأ لها ملوك المدن. ففي سنة٦٣٨هـ- ١٢٤٠م وعندما شعر الملك الحافظ ارسلان شاه بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب بالخوف من الخوارزمية من جانب،وخوفه من أولاده وتغلبهم عليه مع إصابته بالفالج، لجأ إلى أخته فسلمها جعبر،وتسلم بدلا منها اعزاز لأنها قريبة إلى حلب،ولا يستطيع أحد من أولاده التعرض له. وهناك بعد أن تسلمها مات فيها ودفنته أخته في الفردوس[١].

وقد وقفت الملكة خاتون بوجه الخوارزمية، وقد عانى الحلبيون من هجمات الخوارزمية عدة مرات،أحياناً تكون النصرة للحلبيين، وأحياناً أخرى للخوارزمية، وقد وقفت بعض الجهات من ملوك الأيوبيين مع الخوارزمية ضد الملكة والحلبيين[٢].

وقد كانت الملكة خاتون من القوة بمكان،مما جعل بعض الملوك وفي صراعاتهم مع بعض، يقدم لها الولاء والطاعة،ويطلب ودها ومساعدتها. ففي سنة ٦٠٨هـ -١٢١١م بعثت الملكة الخاتون بابن العديم (ت٦٦٠هـ- ١١٦١م) إلى مصر ليطلب من العادل ابن الكامل (ت ٦٤٤هـ- ١٢٤٦م) أن يرسل إليها عماته بنات العادل، واستحضره الملك الصالح أيوب وقال له: " تقبل الأرض بين يدي الستر العالي، وتعرّفها أنني مملوكها، وأنها عندي في محل (الملك الكامل)، وأنا أعرض نفسي لخدمتها، وأمتثال أمرها فيما تأمر به"[٣].

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٣٢. والحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص١١٤.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨، ص٧٣٥. وابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٩-١٥٣. والقزيـزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٠٣.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٢٤٧.

وهذا النص يبين لنا عدة أمور منها: المكانة التي شغلتها الملكة خاتون وأن موقعها كان مؤثرا بحيث أن ملوك بني أيوب يخطبون ودها ويحرصون على رضاها.

وهناك نقطة أخرى وهي أن الصراعات بين ملوك بني أيوب كانت على أشدها بحيث ان هذا الملك يحاول أن يقيم ويقوي علاقته مع ملك آخر حتى يستطيع ان يقف امام منافسه، وقد كان تعامل ضيفة خاتون الملكة مع الرعية بالرأفة والرحمة. وقد عملت على إرضاء السكان وحرصت على راحتهم فقد أزالت المظالم والمكوس في جميع أرجاء حلب[1]. وكانت أيضاً تشجع العلم والعلماء واقامت المدارس الكثيرة في حلب حتى أصبحت حلب منارة للعلم[2]. وكذلك كانت رحيمة على الفقراء والمساكين حيث انها كانت تحمل إليهم الصدقات والعطاء بنفسها أحياناً، ولم تكن ترد من يقصدها بل كانت تسعى دائماً إلى أن يعود وهو راضٍ ومجبور[3].

وتوفيت الملكة خاتون في سنة ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م، فقد اصابتها حمى نتيجة قرحة مراق البطن وتوفيت بعدها ودفنت في القلعة في الحجرة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز[4].

- غازية خاتون (ت٦٥٥هـ- ١٢٥٧م)

وهي الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) ابن الملك العادل (٦١٥-١٢١٨م)[5].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٧.

(٢) الحلبي، الزبد والضرب، ص٤٦.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٤٣٧.

(٤) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٦٤٠. ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٧٥. والحلبي، الزبد والضرب، ص٤٥.

(٥) ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٨٥. والحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٤١.

وفي سنة ٦٤٢هـ- ١٢٤٤م توفي زوجها الملك المظفر محمود، وملك بعده ابنه الملك المنصور محمد، وكان عمره عشر سنين أي ما يزال طفلاً، لذلك تشكل مجلس لرعاية المملكة يتكون من سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر، والشيخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد (ت ٦٢٦هـ- ١٢٦٣م) وهو المعروف بشيخ الشيوخ، والطواشي مرشد (ت ٦٦٩هـ- ١٢٧٠م) والوزير بها الدين بن التاج (٦٢٦هـ- ١٢٦٣م). وجميع هؤلاء مرجعهم أم الملك المنصور لا يتخذون قراراً بدونها ولا يتم أمر إلا بأمرها[1]. وعندما كبر سلمته ملكه أي أنها وبقدرتها السياسية وقوة شخصيتها استطاعت الحفاظ على الملك حتى كبر ابنها وسلمته ملكه[2].

والجدير ذكره انه بقي ملك حماة في ولدها رعاية إلى أبيها الملك الكامل واخيها الملك الصالح ايوب[3]، ثم أمتد حكم حماة في احفادها إلى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. أي إلى سنة ٧٤٢هـ- ١٣٤١م، وكان آخرهم محمد بن أبو الفداء المؤرخ المشهور والمتوفي سنة ٧٣٢هـ-١٣٣١م[4].

وبقيت غازية خاتون بعد تسليم الحكم لابنها، وتوفيت سنة ٦٥٥ه- ١٢٥٧م[5] وهناك من أرخ لوفاتها سنة ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م [6].

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٢١٠. وتاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠. ص١٤٢. وابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٧٧. وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٤.

(٢) الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٤٣

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٢٠٩.

(٤) سبانو، مملكة حماه، ص١٩٩.

(٥) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٤٦.

(٦) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٥.

المبحث الثالث

الحكم المباشر- (منفردة)

- شجر الدر
- العلامات والشارات

- شجر الدر (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م):

لقد استطاعت المراة أن تحكم منفردة وتقوم بأعباء الدولة لمدة زمنية نظراً لموقف الخلافة العباسية في بغداد وموقف بعض ملوك بني ايوب في الشام وكذلك وقوف علماء الدين ضد هذا الموضوع جعل هذه التجربة تفشل بعد فترة وجيزة، وهذه الحالة هي تسلم شجر الدر السلطنة في مصر.

وشجر الدر بنت عبد الله أم خليل التركية[١] وقيل الأرمنية[٢] مملوكة أو جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراها وحظيت عنده فتزوجها[٣]. وأصبح لا يستطيع مفارقتها فأينما ذهب كانت ترافقه، فقد كانت معه وهو في المشرق[٤]، ومعه في حبسه بالكرك عند الملك الناصر داود[٥]. وكانت شجر الدر تتصف بصفات ساعدتها على الوصول إلى الحكم. فقد كانت ذكية إلى درجة الدهاء، وجميلة وشديدة وحازمة فقد وصفها ابن العبري: " كانت داهية الدهر لا نظير لها في النساء حسناً، وفي الرجال حزماً"[٦]. ووصفها الذهبي بأنها: " كانت بارعة الجمال، ذات رأي ودهاء وعقل"[٧]. وكل تلك الصفات جعلتها تصل إلى ما وصلت اليه من وضع اجتماعي وسياسي حيث يقول الذهبي أيضاً: "ونالت من السعادة ما لم ينله أحدٌ من نساء زمانها"[٨].

---

(١) ابن العبرى، تاريخ، ص٢٥٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٢١٢.

(٢) المقزيزي، السلوك، ج١، ص٣٦١.

(٣) G.E. VONRUNEBAUM. Clssical Islam. AHISTORY Go-1258. rranslated by KATHERING WATSON. Landon. GEOREE ALLEN AND UNWIN LTD. Pag193.

(٤) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣٢.

(٦) ابن العبرى، تاريخ، ص٢٥٩

(٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١- ٦٦٠، ص١٩٨.

(٨) المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨.

وقد قامت بدور سياسي في حياة زوجها وبعد مماته، فنظراً لحب الصالح لشجر الدر وثقته المطلقة بها، وكذلك لظروف مرضه وعجزه في النهاية أعطاها الكثير من الصلاحيات في حياته، وأخذت هي الكثير من الصلاحيات بعد مماته.

ففي حياته كان غالب تدبير البلاد لشجر الدر[١]، وفي مرضه كان الأمر لشجر الدر، فهي التي كانت تدبر البلاد[٢]، ونظراً لظروف البلاد وما كانت عليه من حروب مع الفرنج في دمياط أخفت شجر الدر وفاة زوجها، وكانت تستطيع تقليد خط زوجها، وكان خطها شبه خطه، فكانت تكتب الكتب وتصدر الأوامر وتوقع عليها هي ولا يستطيع أحد ان يكتشف هذا، وبقيت الأمور على ما هي عليه، وإذا جاء أحد من افراد الجيش والدولة تقول لهم ان السلطان مريض لا يستطيع أحد الوصول إليه[٣]. وأبقت شجر الدر الوضع على ما كان زمن السلطان وبقي السماط يمد في كل يوم، والأمراء يأتون كعادتهم إلى الخدمة، حتى لا يشك أحد أن السلطان مات[٤].

والجدير ذكره ان الملك الصالح توفي في ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٨م[٥] وبقي خبر وفاته سراً إلى الثاني عشر من رمضان[٦]. واثناء ذلك بعثت شجر الدر إلى ابنه الملك المعظم تورانشاه الذي كان في حصن كيفا[٧].

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٣٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٥٣. وابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٣٩.

(٣) ويقال الذي كان يقلد خط الملك الصالح خادم اسمه سهيل. المقريزي، الخطط، ج١، ص٦١٤.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٤-٧٧٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مـج٧، ص١٨٩. والمقريزي، السلوك، ج١، ص٣٥٣.

(٥) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٤٠. وابن دقماق، الجوهر الثمينة، ج٢، ص٣٩.

(٦) ذكر السيوطي ان تاريخ الوفاة كان سنة ٦٤٩هـ-١٢٥٩م، السيوطي، حسن المحاضره، مج ٢، ص٣٠.

(٧) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٣٩.

وأخذت شجر الدر البيعة إلى ابن زوجها المعظم تورانشاه من الأمراء وكبار رجال الدولة إلى ان قدم إلى مصر وملكوه[1]. ورغم أن المعظم تورانشاه أبلى بلاء حسنا في تحرير دمياط وقاد المسلمين إلى النصر[2]، لكنه أظهر بعض الأعمال جعلت المماليك تنفر من حوله وتعد للتخلص منه. من هذه الأسباب خفته، وكذلك احتجابه عن الناس، وكذلك أنه أهان مماليك أبيه، وتنكر للبعض بما وعد، مثل الفارس أقطاي وكذلك وهو الأهم هو تهديده إلى زوجة أبيه شجر الدر وهي التي كانت قد أوصلته إلى ما هو عليه من حكم البلاد[3]. رغم أن بعض المصادر تذكر أن الملك الصالح لم يوص له بولاية العهد[4]، وانما بعد وفاة الملك الصالح وأثناء إخفاء زوجته لخبر وفاته أخذت البيعة لابنه تورانشاه من الأمراء[5].

ولكن النويرى أورد نصاً ذكر فيه أن السلطان الملك الصالح عندما كان مريضاً كتب إلى ولده الملك المعظم تورانشاه كتاباً، أسند فيه الملك إليه، وهذا الكتاب كان فيه مجموعة من الوصايا من ضمنها وصية من الملك الصالح بزوجته شجر الدر يقول فيها: " يا ولدي: الوصية بأم خليل فلها عليّ من الحقوق والخدمة ما لا أقدر أصفه، ارع جانبها وأكرمها واحترمها، وارفع منزلتها،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٨٩. والسيوطي حسن المحاضرة، مج ٢، ص٣٠. وابن الوكيل يوسف الملواني، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب. ص٦٠. وخريسات، المرأة والمشاركة السياسية، ص٢٠٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٨. والقلقشندى، صبح الأعجى، ج٣، ص٤٩٧. مقديش، محمود، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزداري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م. ص٤١٨.

(٣) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٨٢. والنويرى، نهاية الأدب، ج٢٩، ص٢٣٣. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٤١-٦٥٠، ص٣٨٦. Von GRUNERAUM. Classicgl Eslam pag193. Von RunEBAM Clasica Ilasm. P193

(٤) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٨٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٤٢

فهي عندي بمنزلة عظيمة. وكنت طيب القلب بصحبتها، آمناً على نفسي من جهتها، فاجعلها لك مثل الوالدة، واجتهد في اتصال الراحة إليها وطيب قلبها، واجعلها حاكمةً على جميع أمورك وأموالك. ولا يبد منك كلمةٌ تُضيق صدرها، ولا توجع لها قلباً أبداً، ولا من يتعلق بسببها، ولا من يضيق صدرها بسببه. ولا تخرج عن رأيها وتدبيرها، وهذه وصيتي فلا تخالف أمري، واخدمها كما تخدمني، واحترمها كما تحترمني. ولا تجعل على يدها يداً. والوصية بجميع العيال، أحسن إليهم فلهم علي خدمة. ولا تقصر في حق الصغير منهم والكبير، واحفظ وصيتي، فمتى خالفتني يروح منك الملك، وتكون عاقاً لي. وكتبت هذه الوصية ولم يطلع عليها أحد، لئلا تضيق صدورهم. وكتبتها في مدة طويلة"[1]. وهذا النص يبين أن الصالح كان قد أوصى بولاية العهد لابنه ولكنه لم يرد الإعلان عنها إلا في حينها لظروف محيطة به.

وسواء أوصى للمعظم نورانشاه بولاية العهد أم لا فقد أرسلت شجر الدر إليه بالفارس اقطاى وأحضره واستلم البلاد[2]. وفي بداية عهده قاد معركة المنصورة[3]، وكان النصر للأيوبيين، وكان هذا مصدر فرح الناس وسرورهم بهذا النصر وزاد من تيمن الناس واستبشارهم من تورانشاه ولكنه سرعان ما اثبت عكس ما كان الناس يأملون به، وأخذ يقرب الجماعة الذين حضروا معه من حصن كيفا ويبعد مماليك أبيه، وكذلك أخذ يهدد زوجة أبيه[4]، وتلك كانت

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٢٠.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ص٧٧٤-٧٧٥.

(٣) في معركة المنصورة كانت الجهود متظافرة بين أمراء الجيش والعربان والعوام والفلاحين. فقد كان الجميع يقاتل قتال الموت حتى ان العوام استخدمت المقاليع والحجارة، والعربان استخدموا الرماح والعسكر بالطبع استخدموا السيوف والاطبار والنشاب. فكانت تلك المعركة معركة مصير بالنسبة للكل لذلك الجميع ابلى بها بلاء حسنا. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩٧. وابن اياس، بدائع الزهور، ق١، ج١، ص٢٨٠.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ق١، ج١، ص٢٨٣، Von GRUNERAUM Classicgl Eslam P.193 .

الطامة الكبرى لمعاكسته ما كانت تطمع به، وتأمل أن يتحقق لها على يديه، وأن تستمر بما كانت عليه اثناء حياة زوجها السابق الصالح نجم الدين أيوب، وهذا ما أوضحته وصيه نجم الدين ايوب إلى ابنه تورانشاه.

وعند صدور تلك الأعمال من تورانشاه بعثت شجر الدر إلى افراد المماليك البحرية تقول لهم: " إن قتلتوا تورانشاه فعلي رضاكم بالمال"[1]. واتفقت جميع الأمور ضد تورانشاه من نقمة الأمراء المماليك، وغضب شجر الدر، مع سوء تصرفه وطيشه الذي أوصله في النهاية ان قتل على يد المماليك[2]. وذلك بعد توليه بفترة قصيرة، فكانت مدة ملكه تقريباً شهران وأيام[3].

وبعد وفاة تورانشاه أصبح الموقف لصالح شجر الدر، فقد اتفق أمراء المماليك الصالحية[4]، ان يقيموا شجر الدر في المملكة. وهؤلاء الأمراء زملاء شجر الدر، وكما تطلق عليهم بعض المصادر خشداشيتها[5].

وضربت السكة باسم شجر الدر، ودعى لها الخطباء في المساجد وفي اجتماعاتهم بما يلي: "اللهم وأدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك خليل"[6]. وهناك

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١ ص٢٨٣.

(٢) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٨٤. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٣٨٦. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، مج٧، ص١٩٠، والعيني، عقد الجمان، ص٢٣. Von GRUNERAUM. CLOSSICAL ISLAM P193

(٣) ابن الوردى، تاريخ، ج٢، ص٢٦٢، وابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص٦٠.

(٤) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٨٤. وابن الوردى، تاريخ، ج٢، ص٢٦٢. والصفدي، الوافي بالوفيات، ح١٠، ص٥٧، وابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٨٥. والعيني، عقد الجمان، ص٢٩.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٢.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨. ابن الوردى، تتمة المختصر، ج٢، ص٢٦٦. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢.

صيغة أخرى وهي بعد الدعاء للخليفة "واحفظ اللهم الجهة الصالحية[1]، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح"[2][3]. وحكمت شجر الدر مصر منفردة حوالي ثلاثة شهور بإجماع غالبية المؤرخين.[4] وهناك من أوصلها إلى ثمانية أشهر[5]. كان خلالها الأمير عز الدين أيبك التركماني أتابك العسكر[6]. وبهذا تكون شجر الدر هي المرأة الوحيدة التي تولت عرش مصر في الفترات الإسلامية[7]. ولكن الأوضاع أصبحت فيما بعد بعكس ما كانت تتمنى شجر الدر إذ وجدت الكثير من المصاعب في كونها تتولى منصب ملكة ومنفردة في ذلك. رغم ما احاطت به نفسها من القاب تشير للخلافة وللسلطان وعندها ألهبت كما يقول ابن دقماق مشاعر الناس لأنه لم يكن مألوفاً أن تتولى المرأة منصب سلطان[8].

---

(١) المستعصمية: نسبة إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله. ويظهر من هذه النسبة حتى يرضى عنهـا الخليفـة ويسكت عن توليها السلطنة. ابن أياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٨٧. LANE- Peoole: AHistory of Egypt in the middle Ages. Frank cass and co. ld. 1968. p257

(٢) والصالحية نسبة إلى الملك الصالح زوجها الأيوبي وأم خليل هو الملك المنصور خليل أبنها من الصالح نجم الدين ايوب توفي صغيراً. ابن الوردى، تاريخ، ج٢، ص٢٦٢. وابن دقمـاق، الجـوهر الثمـين. ج٢، ص٤٣. Lane- peoole: A History of Egypt. P257

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢.

(٤) المنصورى، بيبرس (ت ٧٠٢هـ- ١٣٠٢م)، دولة المماليك البحريـة حتـى سـنة ٧٠٢هـ- ١٣٠٢م، ص٢١٢. والسيوطي، حسن المحاضرة، مج ٢، ص٣١. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٨٦.

(٥) الصفدي، نزهة المالك والمملوك. ص١٤٤. والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٩٧

(٦) ابن الوردى، تتمة المختصر، ج٢، ص٢٦٦. وابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص٦٠.

(٧) السيوطي، حسن المحاضرة، مج ٢، ص٣٠.

(٨) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٤٦

لذلك ثارت ضدها المصاعب أولها رفض الخليفة المستعصم بالله بأن تتولى أمرأة عرش مصر، وقد بعث رسالة فيها تقريع وعتاب لهم: ان كانت الرجال عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير اليكم رجلاً[1].

ويبدو أن معارضة الخليفة إلى شجر الدر كانت من ناحية دينية استناداً إلى الحديث النبوي القائل: " لن يفلح قوم ولوا أمرهم أمرأة"[2]. لذلك كان اعتراض الخليفة الشديد في تولى عرش مصر أمرأة وهناك من الرجال من يقوم بذلك[3]. ومن هذا المنطلق تحدث الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه عن هذا الموضوع وهو تولى أمرأة العرش على أثر اختيار شجر الدر لعرش مصر[4].

وكان هناك عقبة أخرى وهم الأمراء القيمرية والذين كانوا في دمشق، فعندما وصلهم الخبر أمتنعوا من الحلف لها وبعثوا إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب يخبرونه بأمتناعهم ويحثونه على المسير إلى دمشق ليتسلمها[5].

وبالفعل قدم الناصر وتسلم دمشق وعندما وصل الخبر إلى مصر، جدد أمراء المماليك الأيمان إلى شجر الدر واستعدوا إلى حرب قد تصيبهم[6]. لكل تلك الأمور مجتمعة ما كان امام

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٨. والسيوطي، حسن المحاضرة، مج ٢، ص٣١. وابن اياس، بدائع الزهور، ج٨، ق١، ص٢٨٧. Lane- poole: Hisory of Egypt p257

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب المغازي، الحديث رقم ٤٠٧٣.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٨٧

(٤) السيوطي، حسن المحاضرة، مج ٢، ص٣١

(٥) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٦.

(٦) ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٥. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٧. والعيني، عقد الجمان، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣.

شجر الدر إلا خلع نفسها من السلطنة، وحتى لا يضيع كل شيء من يديها فكرت بالزواج من أحد الأمراء الأقوياء لتبقى على اتصال بالحكم والسلطنة، لذلك اختارت عز الدين ايبك وهو الرجل الذي يعتبر ايسرهم خلقاً وأسهلهم تعاملاً مما قد يشكل عندها دافعاً بانها قد يسهل أن تحكم من ورائه، وهذا ما حصل فعلاً، وربما لا يكون ما قالته فاطمة المرنيسي أنها اختارت أقواهم[1]موفقاً أو مطابقاً للواقع، إذ أن بقية الأمراء لم يقلوا عنه شجاعة وقوة[2].

وكان لشجر الدر ما أردات إلى أن ضجر عز الدين أيبك من تحكم شجر الدر بالأمور وأراد التغيير والخروج من قبضتها، وكانت النتيجة قتله بأمر منها[3]. وكان ذلك بعد ان قرر ايبك الزواج من غيرها. فقد ارسل إلى صاحب الموصل يطلب منه ابنته، فكانت ردة الفعل العنيفة من قبل شجر الدر القتل، وخاصة انها كانت العامل الأكبر في وصول أيبك إلى ما وصل إليه[4].

وهناك نقطة يجب قولها بحق شجر الدر، وهي انها ذات حنكة سياسية ودهاء لم تتصف به أمرأة من هذه الناحية، حيث استطاعت أن ترسم لهذه الحياة السياسية بدقة بحيث تستطيع دائماً ان تكون هي الحاكمة ولو من وراء الرجل، ولكن الظروف وقفت ضدها في ان تكون هي الحاكمة المنفرده باتخاذ القرار السياسي.

---

(١) المرنيسي، فاطمة، السلطانات المنسيات، ترجمة جميل معلى وعبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، د١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م. ص١٥٥

(٢) ابن الوردي، تاريخ ، ج٢، ص٢٩٥-٣٠٠ والعيني، عقد الجمان، ص٧٩.

(٣) ابن العبري، تاريخ، ص٢٦٠.

(٤) المنصورى، ببيرس، (ت ٧٢٥هـ- ١٣٢٤م)، مختار الأخبار. تحقيق عبد الحميد صالح حمدان. الدار المصرية اللبنانية ، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. ص٩. اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد، (ت ٧٢٦هـ- ١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ج١، ص٤٥، وابو الفداء، المختصر، ح٢، ص٣٠٠. وابن الوردى، تاريخ، ح٢، ص٢٧٧.وابن دقماق، نزهة الأنام، ص٢٢٧. ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٠.

ومسالة أخرى مهمة: كون بداية حكم شجر الدر هل هو مملوكي، أم أيوبي. فأنا هنا اعتبرتها نهاية الفترة الأيوبية، وهذا الرأي قد يكون مكان اعتراض العديد من المختصين بتلك الفترة. ولكن أعرض رأيي المتواضع وأقول ان شجر الدر عندما حكمت حاولت أن تأخذ الشرعية من خلال علاقتها مع زوجها السابق الصالح نجم الدين أيوب، ونسبتها له بالصالحية[1]. أو صاحبة الملك الصالح وذلك في الدعاء لها في المساجد[2].

وكذلك والدة الملك المنصور خليل وهو أبن الملك الصالح وكان قد توفي صغيراً[3]. وحاولت شجر الدر أن تبقي الحكم كما كان زمن الأيوبيين وتستقر لها الأمور، فكتبت على السكة ايضاً إضافة إلى الصالحية نسبتها إلى المستعصم، وهي نسبة إلى المستعصم بالله العباسي وقد ناقشت ذلك من قبل، وحتى بعد تنازل شجر الدر عن العرش حاولت وعز الدين إيبك ان يحكموا باسم الأيوبيين، لذلك أتوا بطفل صغير من البيت الأيوبي وهو مظفر الدين[4] موسى بن الملك المسعود أقسيس بن الكامل بن العادل، ولقب بالأشرف، وحاولوا أن يسلطنوه عليهم، وأشركوا اسمه مع اسم شجر الدر على السكة، وفي التواقيع، ولكنه كان صغيراً لا يستطيع أن يتخذ قراراً، لذلك عزل[5].

ومما يعزز الرأي الذي طرحته وهي أن شجر الدر حكمت باسم الأيوبيين وتعتبر فترة حكمها فترة أيوبية وهي انه جاء في حاشية كتاب مختار الأخبار لبيبرس المنصوري انه: ورد في

---

(١) ابن الوردي، تاريخ، ٢، ص٢٦٢. وابن دقماق، الجوهر الثمينة، ج٢، ص٤٣.

(٢) المقزيزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦٢.

(٣) المقزبزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٢٩٩.

(٤) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج٢، ص٤٦. ومقديش، نزهة الأنظار، ص٤١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٤١٩.

تاريخ الشمس ابن كثير أنه بعد ملك شجر الدر تملك الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك المسعود صلاح الدين أنر بن الملك العادل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب يوم الخميس عاشر ربيع الآخر سنة ٦٤٨هـ، وهو آخر من ولي الديار المصرية من بني أيوب. ومدتهم نيف وثمانون سنة[١].

وهذا يبين أن آخر الملوك الأيوبيين هو الملك الأشرف، وبما ان شجر الدر حكمت قبله اذن فترة حكمها تعتبر أيوبية. وهناك أيضاً في نفس الصفحة جاء في حاشية الأصل عن تولى الملك المعز عز الدين إيبك التركماني الصالحي ما يلي: (وهو أول ملوك الترك)[٢] وهذا يبين ايضا ان شجر الدر حكمت في الفترة الأيوبية وان بعض مؤرخي العصر الأيوبي والمملوكي والذي يعتبر معاصراً للفترة يعتبر ان بداية حكم المماليك هو أيبك، وهذا إقرار بأن شجر الدر فترة أيوبية.

ومن ناحية أخرى فقد حاولت شجر الدر أن تأخذ شرعية حكمها وأن تحكم باسم الأيوبيين، فقد حاولت الاتصال مع الملك الناصر يوسف صاحب دمشق (ت ٦٥٨هـ- ١٢٥٩م) فبعثت له وأخبرته تريد التزوج به وتمليكه مصر، لكن الناصر خشي أن تكون تلك خدعة فرفض[٣]. وهذا التصرف الحذر من الناصر يوسف كان له ما يبرره من شجر الدر، وهو سلوكها السياسي بعد موت الصالح الأيوبي زوجها وما قامت به ضد تورانشاه وغيره من الأعمال التي كانت تسعى من خلالها إلى الوصول للسلطة. لذلك كله أرى أن شجر الدر كانت تحكم باسم الأيوبين، وأن تلك

---

(١) المنصوري، مختار الأخبار، ص٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩.

(٣) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٤٠١

الفترة تعتبر أيوبية، أو هي الفترة الانتقالية التي استطاع المماليك تولي زمام الأمور وتكوين دولة مملوكية استمرت لفترة.

- العلامات[١] والشارات:

وهي التواقيع[٢]. والتوقيع: " هو الكتابة على الأرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة أو التحدث في المظالم، وهو أمر جليل، ومنصب حفيل إذ هو سبيل الإصلاح والمنع او الوصل والقطع، والولاية والعزل إلى غير ذلك من الأمور والمهمات"[٣].

وكان في البداية خاصاً بالخلفاء والحكام، فهم من يقوم بالتوقيع[٤]، أو الأمضاء أو الإقرار على الكتاب[٥].

هذا بالنسبة إلى التوقيع والعلامات بشكل عام. أما بالنسبة لعلامات المرأة في العصر الأيوبي، فلم تذكر المصادر أن هناك من نساء الحكام في الفترة الأيوبية من كان لها علامة مميزة، إلا بعض الاشارات عن النساء اللواتي قمن بالحكم فعلاً أو كان لهن علاقة مباشرة بالحكم، أمثال الملكة ضيفة خاتون في حلب، وشجر الدر في مصر. وحتى تلك الإشارات لم تكن كاملة وواضحة بحيث تعطينا فكرة أعمق عن علامات النساء بتلك الفترة.

---

(١) العلامه: عَلَمه- وسمة بعلأمه يعرف بها. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، ح٢، ص٦٣٠.

(٢) التوقيع لغة: ما يوقع في الكتاب، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب فيه ما يؤكده ويوجبه. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المصري، ت ٧١١هـ-١٣١١م. لسان العرب، مج ٨، ص٤٨٣.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى،ج١، ص١١٠.

(٤) القلقشندي، المصدر نفسه، ج١، ص١١٠.

(٥) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٥٠

علامة ضيفة خاتون:

في سنة٦٣٤هـ- ١٢٣٦م، مرض الملك العزيز، فاستخلف الناس ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف[1]. ولكن لصغر سنه تولى مجموعة من رجال الدولة الثقات تصريف أمور الدولة. ولكن جميع ما يتفق عليه هؤلاء الرجال مرده إلى والدة العزيز الملكة خاتون للموافقة على ما تراه مناسباً ورد ما لا تراه مناسباً، لذلك كان لا بد للملكة من علامات حتى تصبح الأوراق التي تعرض عليها رسمية بعد وضع علامتها عليها أو توقيعها.

وابن العديم يقول بهذا الصدد: "وإذا اتفق رأيهم على شيء دخل جمال الدّولة إقبال الخاتوني[2] إلى جدة السلطان " الملك الناصر"، والدة الملك العزيز، وعرّفها ما اتفق رأي الجماعة عليه، فتأذن لهم في فعله، والعلامات على التواقيع، والمكاتبات إلى الستر العالي الخاتوني، والدة الملك العزيز"[3].

ومن خلال هذا النص نتبين جيداً أن هناك علامة للملكة خاتون، ولكنه بالوقت نفسه لم يبين النص عبارة العلامة. هل هي الستر العالي الخاتوني. أم هل هي والدة الملك العزيز، أم هل هما الاثنتان معاً. أم علامة غيرهما تماماً.

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ح٣، ص٢٢١.

(٢) وهو من كان يحضر مجلس الوصاية للمشورة بالرأي. المصدر نفسه، ح٣، ص٢٢٥.

(٣) ابن العديم، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٥

شجر الدر:

وبعد أن أصبحت شجر الدر ملكة على مصر أصبح لها علامة خاصة بها، وكانت المناشير تخرج باسمها هي، وصورة التوقيع هو " والدة خليل"[١]. ولم يكن ذلك على شجر الدر شيئاً جديداً ففي مرض زوجها الصالح نجم الدين أيوب كانت تمنع الدخول عليه، وكانت تكتب بخط يشبه خطه لذلك كانت تقلد توقيعه وتخرجه على هيئة خط السلطان[٢].

---

(١) النويرى، ج٢٩، مج٣، ص٢٣٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١- ٦٦٠هـ، ص١٩٨. والمقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦١.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢١٨.

الفصل الخامس

الوجه الآخر للمرأة في العصر الأيوبي- الجواري

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مظاهر الفساد

المبحث الثاني: الجواري

المبحث الأول

مظـــــــــــاهر الفســـــــــــــاد

- الاحتفالات المختلطة
- مجالس الأنس والطرب
- بيوت اللهو والفجور
- القتل

- الاحتفالات المختلطة:

شهدت الفترة الأيوبية وجود احتفالات شعبية في عدد من المناسبات في مصر والشام، وكانت هذه الاحتفالات مختلطة بين الرجال والنساء دون حرج، ويحصل فيها الكثير من التبذل من النساء جوار وحرائر، وتقل الضوابط الأخلاقية في مثل هذه الظروف بحيث يصبح "كل على هواه"(١).

ومن أشهر هذه المناسبات أعياد النيروز في مصر، والتي وجدت في الفترة الفاطمية واستمرت في الفترة الايوبية حتى بعد سنة ٧٨٠هـ- ١٣٧٨م، حيث أبطل الاحتفال بهذا اليوم الأمير برقوق وهدد من يقوم بذلك بالعقوبة، لما كان يحدث فيه من فجور وموبقات(٢).

وفي مصر كانت أعياد لغير المسلمين تسمى أعياد الشهيد. يشارك فيها عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وأديانهم – بما فيه المسلمون- ويخرج الناس إلى شط النيل وينصبون هناك الخيم. يقول المقريزي: (ولا يبقى مغن ولا مغنية، ولا صاحب لهو، ولا رب ملعوب، ولا بغي، ولا مخنث، ولا ماجن، ولا خليع، ولا فاتك، ولا فاسق، الا يخرج لهذا العيد، فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم إلا خالقهم) (٣). وبهذه المناسبة تصرف أموال لا حصر لها على الخمر ويتجاهر الناس بعمل المعاصي والفسوق، ونتيجة لشرب الخمر وكثرة الناس واختلاطهم

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٠٢. والمقريزي، الخطط، ج١، ص٣٠٤.

(٢)المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٥.

(٣)المقريزي، المصدر نفسه، ج١، ص١٩٩

وهم سكارى يُقتل أناس كثيرون [1]. وبقي هذا الاحتفال الى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٠٢هـ- ١٣٠٢م، وأبطل الاحتفال بهذا العيد[2].

وفي دمشق أيضاً لديهم احتفالاتهم، حيث يصف القزويني أهل دمشق بقوله: وأهل دمشق أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً وزيا، وأميلهم الى اللهو واللعب"[3].

وكان لأهل دمشق يوم مخصص للهو واللعب هو يوم السبت، وهذا اليوم كان هاماً بحيث يتحرر الناس، حتى ان السيد ليس له على المملوك بهذا اليوم سيطرة، ولا للوالد على الولد، ولا للزوج على الزوجة، ولا للأستاذ على تلميذه. فالجميع يخرج وكل يلتقي على شاكلته المملوك مع أمثاله من المماليك، والصبيان مع أمثالهم وأجيالهم. والنساء مع بعض والرجال مع الرجال. ثم يحدث الكثير من التبذل والفجور والمواعدات على الزنا. ولكن هناك شيء مهم في تلك الاجتماعات ان أهل الطبقة الغنية يذهبون الى البساتين التي تحوي قصورهم، أما عامة الناس فيذهبون الى الميدان الأخضر، وهذا المكان مملؤ بالخضرة صيفا وشتاء لكثرة المياه فيه[4].

وهناك نقطة يجب أن نشير اليها من خلال النص، أو من خلال وصف القزويني لهذا اليوم، هي أنه مهم لدى عامة الناس، حتى جعل القزويني يقول: "المملوك ليس لسيده عليه سيطرة"، وهذا الوصف المبالغ فيه يدل على اهتمام الناس بالتنزة واللهو والخروج عن المألوف ولو يوما في الأسبوع.

---

(١) المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٩

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٠.

(٣) القزويني، زكريا بن محمد، وصف دمشق في أيام الملك الظاهر بيبرس القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي) نشر احمد ايبش، ط١، منشورات سلسلة منتخبات من التراث، دمشق(١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م)، ، ص١٩

(٤) القزويني، وصف دمشق، ص٢٠.

وكذلك عندما وصف القزويني المزة[1] بين أنها مكان لاجتماع أهل اللهو الطرب[2].

- مجالس الأنس والطرب:

كثرت مجالس اللهو واشتهرت في الفترة الأيوبية، حتى ان ابا شامة أورد نصاً انه سنة ٥٧٢هـ- ١١٧٦م عندما رجع السلطان صلاح الدين الى مصر، يرافقه العماد الأصفهاني، يقول العماد: "وتوفرنا على الاجتماع في المغاني لاستماع الأغاني والتنزه في الجزيرة والجيزة والأماكن العزيزة ، ومنازل العز والروضة، ودار الملك والنيل والمقياس ومراسي السفن ومجاري الفلك والقصور بالقرافة وربوع الضيافة ورواية الأحاديث النبوية، والمباحثة في المسائل الفقهية، والمعاني الأدبية"[3].

وهذا النص يبين أن العماد ومن معه كانوا يحضرون تلك المجالس التي فيها لهو وغناء كما يحضرون مجالس العلم والمباحثة في أمور الحديث والفقه والأدب.

كذلك اشتهر عن بعض السلاطين الأيوبيين تنظيمهم لمجالس الأنس والطرب أمثال المعظم عيسى، والكامل، والأشرف وهو اكثرهم في مجالس السماع، يجلسون في مجالس أنسهم لسماع المغنيات من الجواري والتي كانت بعضهن تتبع هذا الملك وترافقه في حله وترحاله، وعند فراغه من اعماله يجلس لمجالس الأنس هذه، فقد اجتمع هؤلاء الثلاثة الذين ذكرتهم بعد نصر المسلمين على الفرنج في دمياط سنة ٦١٨هـ- ١٢٢١م، وكانت تلك الليلة ليلة أنس استمتع فيها الملوك الثلاثة في سماع المغنيات، وتبارى الملك الكامل والملك الاشرف في من تنشد من جواريهم أفضل

---

(١) المزه، قرية كبير غناء في وسط بساتين دمشق، تحيط بها الأشجار والمياه من جميع جهاتها، وهي من أنزه أرض الله وأحسنه،ا ويقال لها مزه كلب. القزويني، وصف دمشق، ص٢٤

(٢) القزويني، المصدر نفسه، ص٢٤.

(٣) ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٧٨.

ومن تقول الشعر أبلغ. والجدير ذكره أن تلك الجاريتين كانتا تجيدان العزف على العود، و الغناء وإلقاء الشعر، وقد أجادت كل منهما. بحيث أنها حصلت على مبلغ من المال لقاء ابداعها[1]

وكان الملك الأشرف رغم ميله إلى الخير والصلاح والى أهل الخير، ورغم أعماله الخيرية، واهتمامه في بناء المساجد، لكنه كان يميل إلى جلسات الأنس التي تحييها المغنيات والراقصات، وعرف عنه ذلك، وكان منهمكاً في الخمر والملاهي، ففي ليلة من ليالي أنسه يقال انه طرب على بعض الملاهي فقال لصاحب الملهى تمنى علي. فقال : تمنيت مدينة خلاط ، فأعطاها له"[2]. ورغم ما قد يكون في هذه الرواية من مبالغة، فإنها تدل على الحالة المتردية التي قد يصل إليها الأشرف في جلسات أنسه مع المطربات والراقصات.

وفي سنة ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م اربع وثلاثين وستمائة حصل خلاف بين الكامل والأشرف، لأن الاشرف طلب من أخيه الكامل الرقة، ولكن الكامل رفض وأرسل إليه بدلا من ذلك عشرة آلاف دينار، ولكن الأشرف رفض ذلك ورد المبلغ، عندها غضب وقال: (يكفيه عشرته للمغانى)[3]. وهذا كناية عن ولعه في جلسات الأنس. وهذا الاعتراف من الملك الكامل ليس لأن الأشرف غير كفء ولانغماسه بجلسات الأنس، بل لأن الكامل نفسه كان مولعاً بذلك، فقد كانت مغنية بمصر تدعى عجيبة كان الملك الكامل مولعاً بها، وكانت تحضر إليه ليلاً وتغنيه، وكانت عجيبة تجيد العزف على آلة الجنك.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٢٠٩. ابن اياس ، بدائع الزهور، ج١، ص٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٦٩. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٦٩

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص١٩.

وكان يحضر مع الملك الكامل مجالس أنسه ابن شيخ الشيوخ وغيره. وحصلت قضية كان الملك الكامل شاهداً عليها، فلم يقبل القاضي شرف الدين الاسكندراني شهادته وقال: "كيف أقبلك وعجيبة تطلع اليك بجنكها كل ليلة، وتنزل، تأتي يوم بكرة وهي تتمايل سكرى على ايدي الجواري، وينزل ابن الشيخ من عندك – فقال له السلطان: يا كيواج– وهي كلمة شتم بالفارسية– فقال: ما في الشرع ياكيواج، اشهدوا علي اني قد عزلت نفسي، ونهض. فقام ابن الشيخ الى الملك الكامل، وقال: المصلحة اعادته لئلا يقال: لأي شيء عزل القاضي نفسه؟ وتطير الأخبار الى بغداد ويشيع امر عجيبة! ونهض الى القاضي، وترضاه وعاد الى القضاء"[1].

وكان غير الملوك يأنسون بمجالس الأنس واللهو، وقد عرف عن الشيخ على المعروف بالحريرى[2] أنه كان يحضر مجالس الغناء، والرقص، وكان يحضر في مجلسه المردان[3].

وكانت المزة مكاناً مشهوراً لاجتماع أهل اللهو والطرب، ويحدث الكثير من المعاصي من شرب للخمور وتهتك في الأخلاق[4].

– بيوت اللهو والفجور:

وقد وجدت الملاهي وأماكن الطرب والأنس وبيوت الزواني وكانت بعض الخانات أماكن للفجور والفسق. فقد كان بالعقيبة وهي بظاهر دمشق خان يعرف بالزنجارى، كان يجري به من

---

(١) السيوطي، حسن المحاضرة، مج٥، ص١٣٩.

(٢) الشيخ الحريرى، كان يقيم في قرية تسمى يسر في زاوية ويتردد الى دمشق ويتبعه طائفة من الفقراء وهم معرفون بالحريريه، وهم أصحاب الزي المنافي للشريعة ، وباطنهم شر من ظاهرهم، وقد افتى مجموعة من العلماء بقتله. أبو شامة ، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٢٧٧.

(٤) القزويني، وصف دمشق، ص٢٤.

الفسوق والفجور الشيء الكثير وكما قال ابن خلكان: (مالا يحد ولا يوصف)[1]وقد هدمه الأشرف (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) وبنى مكانه جامعاً سماه جامع التوبة وقد كانت تكلفته الشيء الكثير[2].

وقد وجدت النساء القحاب والعواهر كما وصفهن المؤرخون سواء في بلاد الشام أو في مصر، وحاول بعض الملوك والولاة محاربة ذلك بقدر المستطاع، بالنفى أحيانا وبالحبس أحياناً أخرى. [3]

وفي بعض الأحيان يكون فجور المرأة واضحاً، وتظهر هؤلاء النسوة متبرجات وتمر تلك المرأة دون إنكار ودون استغراب[4]. وكان من مظاهر الفساد الواضحة انه في بعض الأحيان يأتي بعض الأمراء والولاة ويفرض مبلغاً من المال ضماناً للخمر والقيان، وهنا تكون المصيبة الكبرى إذ يتجاهر الناس بها ويظهر الفساد ويعم بين الناس[5].

ففي سنة ٥٩٢هـ- ١١٩٥م، وعندما دخل العزيز (ت ٥٩٥هـ- ١١٩٨م) الى القاهرة وكان ذلك في شهر رمضان، ذكر النويري: "فوض شد الأموال والخطاب عليها للأمير فخر الدين

---

(١)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٤. وابن كثير،البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص١٢٣، والمقريزي، الخطط، ج٢، ص٥٦٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مج٧، ج١٣ ص١٦١. والذهبي تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٢٤.الحجاري، النجوم الزاهرة، الجزء الخاص بالقاهرة، ص٣١. والسيوطي، حسن المحاضرة ، مج ٢، ص٢٥٨، والتيفاشي، شهاب الدين أحمد، نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعه، رياض الريس للكتب والنشر، ط١،لندن، ١٩٩٢م، ص١٠١.

(٤)الحجاري ، النجوم الزاهرة، الجزء الخاص بالقاهرة، ص٣١

(٥)النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٠٢

جهاركس، وضمن الخمور في كل سنة سبعة عشر الف دينار، فتجاهر الناس بها وحصل من غير استتار، سيما في الخليج وساحل مصر"[1].

وبسبب شرب الخمور كثرت الفاحشة، وكثر القتل بين الناس، وقلت الأطعمــة، وغلــت الأسعار، وجرت على المجتمع مشاكل يصعب حلها[2].

وكان بعض الملوك والسلاطين يمنعون ضمان الخمور والقيان ويتشددون بذلك منعاً لما قد تجره على الدولة من مشاكل اخلاقية وأمنية كما فعل السلطان العادل (ت٦١٥هــ ١٢١٨م) ســنة ٦١٢هــ- ١٢١٥م، حيث أبطل ضمان الخمر والقيان بحيث أصبح من يريد شرب الخمر يتكلف الذهاب الى ضياع جبل سنير[3]. ويقع هذا الجبل بين بعلبك وحمص[4] وكذلك فعل الجواد في سنة خمس وثلاثين وستمائة فأبطل الخمور، ونفى الخواطيء.

وقد تنحرف المرأة عن جادة الصواب وهي صغيرة، وكذلك وهي كبيرة عجوز: صغيرة تملأ بيوت الدعارة وبيوت الزنى وهي كثيرة لدرجة أن يقوم البعض بضمانها وأخذ الضريبة ممن يقمن بهذه الأعمال الشائنة[5]. وكبيرة تعمل قوادة وتقوم بإغراء النساء وبنات الناس لعمل الرذيلة. فقد ذكر ابن واصل في كتابه مفرج الكروب عن امرأة يقال لها الأزاه وقد رآها في القاهرة تشحث أو تستعطي من الناس وقد عملت في صباها عند الملك المسعود ابن الملــك الــصالح الأرتقــي

---

(١)النويري، المصدر نفسه، ج٢٨، ص٣٠٣

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٠٣، والمقريزي، الخطط، ج١، ص٣٠٤.

(٣) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص١٣٨.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٩.

(٥) المقريزي، ج٢، ص٥٦٧، والسيوطي حسن المحاضرة، مج٢، ص٢٥٨.

صاحب آمد. وكان الملك المسعود سيء السيرة اتفق مع تلك المرأة لتؤلف بينه وبين نساء الرعية، وحتى مع نساء الأعيان والأكابر من أهل البلد[1].

والجدير ذكره ان هذه المرأة كانت تدعى الأزاة وقد يكون ذلك من الأذاة أو الأذى الذي كانت تسببه لهؤلاء النسوة وما تسببه من عار للأهل[2]. وفي بعض الأحيان قد تسيء المرأة الى نفسها نتيجة الحاجة مثلما فعلت بنت شاه أرمن عندما ذهبت الى الأشرف وعرضت شكايتها عليه، وبعد أن رد لها ضيعتها وأعطاها ما يصلح حالها، قالت له العجوز التي قدمت معها انها تريد ان تحظى به الليلة ولكنه رفض ذلك.[3]

وقد ذكر شهاب الدين التيفاشي الذي ولد سنة (٥٨٠هـ- ١١٨٤م) في بلدة تيفاش وكانت من قرى قفصة التونسية وهي الآن ضمن قسطنطينة بالجزائر، وسافر إلى المشرق العربي إلى القاهرة، ودمشق، والعراق، وعاش مدة طويلة غير معروفة في الشرق ليعود بعدها إلى وطنه متولياً منصب القضاء في ظل الدولة الحفصية[4]، ذكر في كتابه نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، كثيراً من الظواهر الجنسية المتخفية منها والظاهرة في المجتمع الإسلامي حتى نهاية منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، متناولاً طبقات القوادين والقوادات، والزناة والزانيات، واللوطيين، والمساحقات، جامعاً أهم الوقائع والنصوص الشعرية والفكاهية السائدة آنذاك، سواء من أفواه الناس وبطون الكتب، أو من المشاهدة العيانية والتجربة الشخصية[5].

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص١٢. وابو الفداء المختصر، ج٢، ص٢٥٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٢٨.

(٣) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص١٧٥.

(٤) جمال جمعة، مقدمة تحقيق نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي، ص٣٨.

(٥) جمال جمعه،مقدمة تحقيق نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي، ص٣٥.

وفترة حياة التيفاشي هذا تقع ضمن فترة دراستنا، إذ انه ولد سنة (٥٨٠هـــ- ١١٨٤م) كما تقدم ومات بتاريخ مجهول بعد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بقليـل، فيكون معاصراً للفترة الأيوبية موضع الدراسة،[1] مما يجعل لما كتبه وصرح بأنه شاهده شخصياً أو روي له أثناء هذه الفترة، أهمية خاصة في بيان طبيعة الحياة اليومية للمجتمـع الإسـلامي إذ ذاك.

وقد ذكر حوادث عن وجود قوادين وقوادات في كل من دمشق والقاهرة والاسـكندرية[2]. ووجود القحاب المتبذلات وألاعبيهن في اصطياد الزبائن ودور القوادين والقودات في هذا الإطار، وأخذ الزبائن إلى دور مستأجرة ومعدة للزنا[3].

وقد يستخدم الغلمان لاستدرار العطف والشفقة عليهم من قبل الغرباء، ثم يقعون ضـحية بعد ذلك. وقد ذكر التيفاشي أنه تعرض شخصياً لموقف من هذا النوع، فبينما كان في دمشق فـي تاريخ تأليف هذا الكتاب ماراً بجسر نهر بردى وإذا به بغلام رائق المنظر صـغير السن دون البلوغ عريان لا يواريه شيء يبكي وبجانبه غلام آخر. فاستفسر التيفاشي عن سبب عري وبكاء الغلام فأجابه الغلام الآخر بأن ثيابه قد سرقت وهو يسبح في النهر، وأن أمه قد غزلتها له وأنهـا ستعاقبه إن رجع اليها دونها، إلا أن شخصاً أخر قال للتيفاشي: " لا تصدقه... هذا علق مقامر ابن قحبة قوادة، عادته يفعل كذا ويأخذ الذي يحصل له يقامر به ويقسمه مع ذلك الغلام الآخر وهـو

(١) جمال جمعه، مقدمة تحقيق نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي، ص٣٥.

(٢) التيفاشي، نزهة الألباب، ص٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٣.

قواده، والناس يعرفون ذلك منه، وإنما يصطاد الغرباء، وأنت يظهر أنك رجل غريب..." [1]. وهذا النص يبين فساد الأم والابن معاً، ووجود القحاب والقوادين والقوادات في آن واحد.

ومن هنا نلاحظ وجود انحرافات أخلاقية في المجتمع الأيـوبي، ونـشير هنـا إلـى أن المجتمعات كلها وفي جميع الفترات لا تخلو من مظاهر الفساد هذه، وانها لم تكن قاصـرة علـى الفترة الأيوبية أو على المرأة الأيوبية على وجه الخصوص.

- القتل:

وهناك وجه آخر للمرأة السيئة وهو وجه الشر والقتل، فقد تخرج المـرأة عـن رقتهـا المألوفة وترمي بثوب الأنوثة والرحمة التي تتصف بهما المرأة وتصبح مليئة بالشر والقبح فـي الطبع، ففي سنة ٦٢٨هـ- ١٢٣٠م عمل شاب يعرف بالمكحة هو وزوجته عصابة قتل. تـذهب المرأة الى البيوت وتستدرج النساء وتقنعهن بلبس أجمل الملابس وأفخر الجواهر والحلي والذهاب إلى البيت الفلاني مدعية أن فيه عرس أو وليمة، وهناك تجد زوج تلك المرأة ويقومان بقتلها وأخذ ما معها. لكنهما انكشفا وسمر الرجل وخنقت المرأة [2].

وفي سنة ٦٠٢هـ- ١٢٠٥م حصلت حادثة مشابهة لهذه الحادثة في مصر. سميت المرأة بالخناقة وكانت تدعى غازية، والقصة أن غازية كانت صبية مليحة تلبس وتتزين وتخرج امـام الناس فيطمع بها الرجال، وكانت معها امرأة عجوز تساعدها على اقناع الرجال للذهاب الى منزل هذه الصبية، وهناك عندما يدخل الرجل الى المنزل يخرج إليه رجلان أجسامهم ضخمة وكانـت تلك المجموعة ينتقلون من مكان الى مكان على الخليج. والذي كشف امرهم انهم عرفوا أن هناك

---

(١)التيفاشي، نزهة الألباب، ص١٥٦.

(٢) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٣٣٨.

ماشطة ولديها من الحلي والجواهر الكثير والتي كانت تلبسها وتتزين بها العرائس فذهبوا اليهـا وطلبوا منها الحضور لديهم لتزين امرأة، فذهبت تحمل ما لديها من جواهر وذهبت معها جاريتها وعندما وصلوا الى البيت ادخلوا الماشطة ورجعت الجارية، وعندما تـاخرت الماشـطة ذهبـت الجارية الى الوالي واخبرتهم بالقصة، وانكشف امرهم وسمروا جمعيهم[١]. فقد تقوم المرأة بكـل المتضادات وتعمل مالا يصدقه عقل وتقتل ابنها لتأكله[٢] كما فعلت في المجاعات المتعاقبة والتي كانت اياما صعبة وطاحنة على جميع المستويات وعلى النقيض تماماً قد تتقلب المرأة الى وحش كاسر[٣] إذا حاول شخص أن ينقص أمومتها، وقد تقتل انتقاما لقتل ابنها كما فعلت المـرأة التـي قتلت من قتل ابنها في ولاية المعتمد والي دمشق[٤]. والتي عملت تلك المرأة بتخطيط وتأن وهدمت بيت الزوجية الأول وتزوجت من الآخر حتى وصلت الى الحقيقة وقامت بالانتقام من قاتل ابنها[٥].

وقد تخرج المرأة من إنسانيتها وتقتل زوجها اذا اراد الزواج من أخرى كما فعلت شجر الدر[٦].

---

(١) الـذهبي ، تـاريخ الإسـلام، وفيـات سـنة ٦٦١-٦٧٠، ص١١، والمقريـزي، الـسلوك، ص٢، ص١، ص٥٢١.وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٠٧.والعيني، عقد الجمان، عـصر الـسلاطين المماليك، ص٦٦٢.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٥٦.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٦٥.

(٤) سبق وذكرت القصة في قضايا المرأة، ابو شامة، ذيل الروضتين،، ج٥، ص٢٢٧، وابـن كثيـر، البدايـة والنهاية، مج٧، ج١٣، ص١٢٤.

(٥) ابو شامة، ذيل الروضتين، ج٥، ص٢٢٧.

(٦) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٦٧.

المبحث الثاني

الجـــــــــــــــــــــــــواري

- وضع الجواري في المجتمع.
- عتق الجواري.
- أسعار الجواري.
- وظائف ومهن الجواري.

- وضع الجواري في المجتمع

لقد وجدت الجواري وبكثرة في الفترة الأيوبية، وامتلأت القصور والبيوت الكبيرة في جميع فئات المجتمع بعدد كبير من هؤلاء الجواري أو الإماء أو المملوكات أو حتى الخدم، رغم ان الخادمة قد تكون حرة ولكنها تعمل في مجال الخدمة، وقد بولغ أحياناً بكثرة الجواري، وقد يكون ذلك لتنوع عمل الجارية من جهة، ومن جهة أخرى لأن الإسلام أباح التسري بالجارية واعترف بأبناء الجواري كأبناء شرعيين للرجل. وتسمى الجواري بهذه الحالة أمهات الأولاد. واذا مات سيدها أو زوجها تصبح حرة وذلك لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال(من ولدت منه أمته فهي حرة من بعد موته) [1]

ولم يكن الاهتمام بالجواري منصباً على فترة الأيوبيين، فقد اهتم المسلمون بالجواري منذ الفترات الأولى للدولة الإسلامية واستمرت الى الفترات المتأخرة، وأكبر دليل على الاهتمام منذ الفترة الأولى وجود الكثير من التشريعات التي تنظم علاقة المجتمع بالعبد أو الجارية.

---

(١) الشيرازي، ابو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزأبادي (ت ٤٧٦هـ - ١٠٨٣م) المهذب في فقه الإمام الشافعي،دار المعرفة بيروت، ط٢، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، مج٢، كتاب عتق امهات الأولاد، ص٢٠.

وقد كان للجارية دور كبير في المجتمع في الفترة الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية، وامتلك الحكام وزوجاتهم ورجالات الدولة والتجار وحتى العامة ممن كان لهم قدرة مادية عددا منهن، فقد تركت ست الملك[1] في قصرها ثمانية الآف جارية[2].

وعند وفاة العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة ٥٦٧هـ- ١١٧١م، وجد عدد كبير من الجواري والعبيد في القصر بالإضافة الى عدد من الخدم الأحرار الذين تم اطلاق سراحهم. وقد أعتق من الباقين عدد كبير ووهب منهم عدد آخر، واستخدم الباقون في مجالات مختلفة[3]. وكانت هذه بداية جيدة للدولة الأيوبية دلت على احترام الأيوبيين للعبيد والجواري.

ومن الرجال من تسرى بعدد كبير من الجواري وصل إلى مائة وثمان وأربعين جارية عند ابن كليب [4] وقد تنوع مصدر الجواري في الدولة. فقد كان هناك جوار تجلب من بلاد النوبة[5]. حتى ان ملك النوبة عندما أراد ان يصلح الخلاف بينه وبين شمس الدولة والذي كان يقيم حينها بقوص بعث مع الكتاب الذي طلب فيه الصلح هدية عبداً وجارية[6].

---

(١) ست الملك ابنه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله. اخت الحاكم الفاطمي وقد كانت مدبرة حكيمة عملت على تهدئه أوضاع الجند عند مقتل أخيها الحاكم، واستطاعت أن تسلم الملك لابن اخيها الظاهر لاعزاز دين الله، في سنة احدى عشرة وأربعمائة بالتدبير والحكمة والدهاء بدون مشاكل ولا صخب، وكانت ممن يلجأ لها رجال الدولة ويستشيرونها في أمور سياسية مهمة للغاية.ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٠٦، والمقريزي، الخطط، ج٣، ص٥٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٤٧.

(٣) ابو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٣٧. والمقريزي الخطط، ج٢، ص٣٦٦.

(٤) ابن كليب هو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقه بن خضر، كان تاجراً الذهبي سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٥٨.

(٥) ابو شامة ، الروضتين، ج٢، ص١٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٢.

وكان مصدر آخر يجلب منه الجواري هو أوروبا عن طريق السبي[1] ويقـال ان العمـاد الكاتب طلب في سنة ٥٧٢هـ- ١١٧٦م من السلطان صلاح الدين جارية من سـبي الأسـطول وكان ذلك بقصيده[2] اذكر منها بيتين.

يؤمـــلُ المملـــوكُ مملوكـــةً	تُبـــدّلُ الوحـــشةَ بـــالأنسِ
تخرجُـــة مـــن ليـــل وَسواسِـــهِ	بِطَلْعـــةٍ تُـــشرقُ كالـــشمسِ

وقد تمتعت الجواري باحترام كبير في الدولة الإسلامية بشكل عام وهذا راجع الى احترام الإسلام للعبد والجارية، فقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بوضع الجواري منذ فجر الدولـة الإسلامية وتأسيسها، فقد وردعن الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن عتق الجواري أحاديث كثيرة منها ما رواه الامام مسلم عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي يعتق جاريته ثم يتزوجها (له أجران[3]) وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعتـق صـفية وجعل عتقها صداقها[4]

ومن هنا كان اهتمام الأيوبيين بالجارية وقد وصلت الجارية إلى درجة لا بأس بها لديهم، وأكبر دليل شغف بعض الملوك أو أبنائهم أو رجال الدولة ونسائهم على مختلف طبقات المجتمع والإكثار من هؤلاء الجواري. وكان معظم السلاطين لهم جوار انجبوا منهن أولاداً أصبح بعضهم سلطاناً يحكم الدولة.

---

(١) ابو شامه، ذيل الروضتين، ج٢، ص١٦٢

(٢) ابو شامة،المصدر نفسه، ج٣، ص١١٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت، ج٨، باب فضيلة إعتاقـه امتـه ثـم يتزوجها، ص٢٢٣.

(٤) مسلم، المصدر نفسه، ج٨، ص٢٢٣.

فقد كان الملك نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م) ابن جارية سوداء، وزوج جارية، فكانت والدته جارية تسمى ورد المنى[1] وكانت زوجته شجر الدرجارية أيضا وصلت إلى منزلة كبيرة فقد وصلت بها الحال أن حكمت مصر لمدة من الزمن، وقد وصفت بأنها بارعة الجمال ذات رأي ودهاء وعقل، ونالت من السعادة مالم ينله أحد من نساء زمانها[2] وقد اوصى بها سيدها الملك الصالح نجم الدين ايوب ابنه وطلب منه احترامها ورفع منزلتها، وبين له انها عنده بمنزلة عظيمة[3] وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه تلك المرأة الجارية عند زوجها أو سيدها.

وكانت ام المعظم عيسى ابن الناصر داود (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) أيضاً جارية، وعندما ذهب الناصر داوود الى حلب مستجيراً بصاحبها، ومن هناك الى بغداد، استناب ابنه المعظم عيسى وهو ابن الجارية على الكرك، وهذا ما أثار حفيظه أبناء الناصر الظاهر والأمجد وهما أبناء بنت الأمجد بن الملك العادل[4] وكان كذلك الملك الصالح صلاح الدين ابن السلطان الملك الظاهر بن السلطان الكبير صلاح الين الأيوبي صاحب عين تاب كان ايضا ابن جارية، وكان الملك الصالح اكبر من الملك العزيز صاحب حلب[5]

---

(١) ابو الفداء ، المختصر، ج٢، ص٢٨٥، والمقريزي، السلوك، ق٢، ج١، ص٣٣٩.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص١٩٨. والصفدي تحفة ذوى الالباب ، ج٢، ص١٤٦، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٩٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٢٠.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٢٤٤.

(٥) المصدر نفسه، وفيات سنة٦٥١-٦٦٠، ص٨٨

وكان للسلطان صلاح الدين حظايا كثر، وقد زوج الطبيب موفق الدين شيخ الأطباء بالشام من إحدى حظاياه[١]. واسمها جوزة[٢] وكانت جوزه هذه من جواري خوند خاتون بنت معين الدين أنر، وقد جهزها صلاح الدين بجهاز عظيم.

وكان للملك العادل (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) حظايا[٣]، وكانت ام ابنة الصالح أبو الخيش اسماعيل (ت ٦٤٩هـ- ١٢٥١م) احظى حظاياه، وهو كثير المحبة لها. وقد تمتعت تلك الجارية بوضع اقتصادي جيد بحيث بنت مدرسة وتربة بدمشق[٤]. والجدير ذكره ان بعض الجواري أو المملوكات قد أصبحت ذات ثروة اقتصادية عالية أمثال الحافظية أرغوان(ت ٦٤٨هـ- ١٢٥٠م) عتيقة الملك العادل. ومعنى عتيقة أنها كانت مملوكة وأعتقها الملك العادل. وأثناء حبس الملك المغيث عمر بن الملك الصالح نجم الدين أيوب في القلعة، كانت تبعث له الأطعمة والثياب، لذلك حقد عليها الصالح اسماعيل، وصادر أموالها والتي كانت تمتلك من الأموال الشيء الكثير بحيث انها بنت لها تربة وصفت بأنها (مليحة) فوق عين الكرش بدمشق، وقامت بوقف دارها أيضا بدمشق على خدمها[٥].

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة٥٨١-٥٩٠، ص٢٦٣.

(٢) ابن أبي اصبيعة، موفق الدين ابو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ت (٦٦٨- ١٢٦٩) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٠٥.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦١١-٦٢٠، ص٢٧٢.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص٢١٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص٣٩٠. والصفدى، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٣٥١.

وكذلك جوزة (ت بعد ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م) جارية صلاح الدين والتي تزوجها الموفق أسعد بن المطران الطبيب (ت ٥٨٧هـ- ١١٦١م)، فقد كانت لها قدرة مادية بحيث أنها بعد وفاة زوجها اشترت داراً وبنت إلى جانبها مسجداً وبنت لزوجها تربة وعرفت بتربة جوزة[١].

وقد وصلت الجواري إلى مرحلة متطورة من العلم، فقد وصلت بعضهن إلى ان تكون راوية للحديث. فقد كانت ظبْية وهي مُعْتَقه المحدث عبد الوهاب بن رَوّاح محدثة وسمعت من عبد المجيد بن محمد المراكشي، وروى عنها غير واحد[٢].

وهناك من لقبت من الجواري شيخة كانت الشيخة لؤلؤة بنت عبد الله (ت ٦١٩هـ- ١٢٢٢م) عتيقة الحافظ الصائب أبي الحسن هبة الله بن الحسن الدمشقي ابن عساكر تعرف بالشيخة[٣]. وهذا يدل على مدى ما وصلت إليه الجارية من مركز لا بأس به في المجتمع في العصر الأيوبي، وقد وصلت إلى مرحلة بأن تأخذ اهتمام بعض الكتاب والشعراء ويكتب بها بعض الأبيات خاصة إذا تميزت بشيء من الجمال او الذكاء او المهارة، فابن سناء الملك(ت ٦٠٧هـ- ١٢١٠م)[٤] الشاعر والأديب المشهور له عدة أبيات من الشعر ببعض الجواري، منها أبيات في جارية على خدها ماسورة[٥].

---

(١) سبط ابن الجوزى، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤١٢.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص١٢١.

(٣) المنذري، التكمله، مج ٣، ح٣٧، ص٩٢.

(٤) القاضي ابو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك المصري الأديب صاحب الديوان المشهور والمصنفات الأدبية. توفي سنة (٦٠٧هـ- ١٢١٠م) . ابن العماد شذرات الذهب، ح٥، ص٣٥.

(٥) عن معنى كلمة ماسورة. في هامش صفحة ٣٨٢ من ديوان ابن سناء الملك تعنى ضفيرة أو غديره. ولها معنى آخر ذكر في هامش صفحة ٦٤ من كتاب الأصفهاني ومعناها الندبة. انظر: ابن سناء الملك، ابو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر بن المعتمد المصري. ت (٦٠٧هـ- ١٢١٠م) ديوان ابن سناء الملك،

بنفسي فتاةٌ يكتبُ الغـــصن إن مَـشَت … إلـــى قـــدها الميّـــاس مـــن عَبْـــدِ عَبْـــدِها

ولي جسدٌ مـــا زال ماســـور صَـــدّها … إلى أن حَكَى فـــي الـــسُقْم مأسُـــور خـــدها

أشَـــبِّهُ ذاك الخـــدَّ منهـــا بَجمـــرةٍ … وشـــابورةُ الماسُـــورِ طـــالعُ نـــدها[1].

ولابن سناء الملك (ت ٦٠٧هـ- ١٢١٠م) أيضاً أبيات بجارية عمياء.

شـــمس بغيـــر الليـــل لـــم تُحجـــب … وفي ســـوى العينـــين لـــم تُكـــسفِ

مُغمـــــدةُ المُرهـــــفِ لكنّهـــــا … تقتـــل بالغمـــدِ بـــلا مُرهَـــفِ

رأيـــت منهـــا الخُلـــدَ فـــي جُـــؤذرٍ … وناظرَيْ[2] يعقوبَ فـــي يُوسُـــفَ[3].

وابن قلاقس [4] الشاعر المشهور، له ابيات بجارية سوداء.

رب سوداء وهي بيضاء معنى … نـــافس المـــسك عنـــدها الكـــافور

مثل حَبِّ العيون يحـسبه النـــا … سُ ســـواداً، وإنمـــا هـــو نـــور[5].

-تحقيق محمد ابراهيم نصر، الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م. ص٣٨٢. والاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٩٦.

(١) ابن سناء الملك، الديوان، ص٣٨٢. والأصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٩٦.

(٢) عند ابن العماد: مقلتي بدل ناظري. شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥.

(٣) ابن سناء الملك، الديوان، ص٤١٧. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٥.

(٤) ابن قلاقس، ابو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بـن عبـد القـوى، اللخمـي الأزهـري الأسكندري، الملقب القاضي الأعز. ابن خلكان، وفيات العيان، ج٥، ص٣٨٥.

(٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٨٥.

وهنالك أبيات للشاعر فتيان الشاغوري (ت ٦١٥هـ - ١٢١٨م) في جارية نظمها بناء على طلب أحد أصدقائه والجارية كان اسمها شمس النهار[1]:

أديري في الدجى شمس العقار   علـى النُّـدمَاء يـا شـمس النهـارِ

معتقـةً كميـت اللـون يبـدو   بهـا الـضدّانِ مـن مـاءٍ ونـارِ

وسـاقيةٍ كغُـصن البـانِ قـدّاً   سـبتنا بـاحورارٍ واحمـرارِ[2].

وقد نظمت قصائد من أكثر من شاعر بجارية بمصر، وكانت تتصف برسم صورة حية على وجهها. فقد قال فيها أبو الطاهر الحميري(ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)[3] من الطويل:

تبدت لنا من جانب السجف غـادةٌ   لها الـشمس وجـهٌ والكواكـب خـالُ

فقلت وقـدلاح الهـلال بوجههـا   متى طلعت الشمس الضحى وهـلال[4].

---

(١) فتيان الشاغوري، ديوان فتيان الشاغوري، ص١٦٣.

(٢) فتيان الشاغوري، ديوان الشاغوري، ص١٦٣.

(٣) اسماعيل بن علي بن يوسف أبو الطاهر الحميري من المغرب من المهدية، سكن مصر وقرأ بها الأدب توفي (٦٣٥هـ-١٢٣٧م) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٧٠.

(٤) والهلال الأول من اسماء الحية والثاني أحد النيرين. المصدر نفسه،ج٩، ص١٧٠.

والأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م) [1] قال ايضاً بنفس الجارية من الخفيف.

نقش حيّةٍ على روض خدٍ مزخرفِ

قيدت آية الكليم على وجه يوسف[2].

وابو حمزة عمارة بن أبي الحسن اليمني (ت ٥٦٩هـ - ١١٧٣م)[3]. قال شعراً بجارية باعها وكان يأمل بذلك الشعر ان يقبض ثمنها. وقال عدة أبيات منها هذا البيت والذي يصف فيه الجارية وجمالها.

قد أشترى الخادمُ مملوكة صورتها بالحسن مرهونة[4]

وابن سناء الملك (ت ٦٠٧هـ- ١٢١٠م) قال أيضاً في جارية سوداء صافية اللون

غانيةٌ بالحُسنِ غانية حامية الكعثبِ حافية

كانها بدرُ الدجى قبل أن تأخذ نور الشمس عارية[5]

---

(١) الاسعد بن مماتي: اسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتي . توفي سنة ٦٠٦هـ- ١٢٠٩م، وهو أحد الكتاب في الديوان الفاضلي. الأصفهاني، خريدة القصر. شعراء مصر، ص١٠٠

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٧١.

(٣) ابو حمزة اليمني: عمار بن ابي الحسن. من اهل الجبال ونزل زبيد وتفقه بها وهو من تهامة باليمن من مدينة يقال بها مرطان وفد الى مصر في زمان الخليفة الفاطمي الفائز، واقام بها إلى ان نكب، امر بصلبه في القاهرة الملك الناصر صلاح الدين سنة تسع وستين من جملة الجماعة الذي نسب اليهم التدبير عليه ومكاتبة الفرنج واستدعاؤهم. اليه حتى يجلسوا ولد العاضد. الاصبهاني، خريدة القصر، شعراء دمشق، ص١٠١-١٠٣.

(٤) الاصفهاني، خريدة القصر. شعراء الشام، ص١٠٣.

(٥) ابن سناء الملك، الديوان، ص٤٧١.

وقال أيضاً يرثى جارية له.

لئن كنتِ من عينى نُقلــتِ إلـــى قلبـــي   فقد صار أقصى البُعدِ في أقرب القـــربِ

وان كـــان هـــذا الـــصد منـــك تعتبـــا   عليَّ فعندي ألـــف عتـــب مـــن العتـــب

والقصيدة طويلة عدد أبياتها تسعة وخمسون بيتاً[1].

وأبيات القصيدة السابقة أصدق مثال على مدى ما يكن السيد لجاريته من تقدير ومحبـــة. وهكذا نلاحظ من خلال ما سبق مالاقته بعض الجواري من وضع لا بأس به من الاحترام، ولكن هذا لا يعني انها كانت تساوي السيدة. بل هي تعتبر في درجة أقل من السيدة وهذا يظهر واضحاً من خلال بعض النصوص والتي تبين ان بعض أبناء السلاطين لم يأخذ حقه في الحكم لأنه ابـــن جارية رغم أنه هو الأبن الأكبر والأحق بأن يرث الحكم من والده.

فقد اخر الملك الصالح صلاح الدين (ت ٦٥١هـــ - ١٢٥٣م) ابن السلطان الظاهر بـــن السلطان الكبير صلاح الدين الأيوبي عن سلطنة حلب لأنه ابن جارية وكان اكبر من اخيه الملك العزيز ابن الصاحبة ضيفه خاتون بنت الملك العادل[2].

وعندما استناب الملك الناصر (ت ٦٥٥هـــ- ١٢٥٧م) ابنه المعظم عيسى بـــالكرك، لـــم يرضَ ولداه الظاهر والأمجد (ت ٦٧٠هـــ- ١٢٧١م) عن هذا الوضع وهو تولي اخيهما وهو ابن جارية، وهما ابنا بنت الأمجد (ت ٦٢٨هـــ- ١٢٣٠م) بن الملك العادل (ت ٦١٥هـــ- ١٢١٨م)،

---

(١) ابن سناء الملك، الديوان، ص٤٩٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٨٨. وابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٣٥.

وأمهما بنت عمه وبنت عم الصالح، لذلك اتفقا مع أمهما على القبض على الملك المعظم أخيهما، وفعلاً قبضا عليه واستوليا على الكرك[1].

وهذا يبين أن الجارية مهما وصلت من درجة في المجتمع، تبقى دون درجة السيدة الحرة. ورغم ذلك كان اهتمام الملوك والسلاطين والولاة في اتخاذ الجواري وخاصة المغنيات كبيراً في جميع البلاد الإسلامية عامة، ومصر خاصة[2].

- عتق الجواري:

لقد رغب الاسلام وشجع على عتق الجواري، وجعل لمن يعتق جارية أجراً، فإن تزوجها بعد ذلك فله أجران[3]. وكان الرسول وهو قدوة الأمة جميعها قد تزوج بصفية وأمهرها عتقها[4]. وكان هذا بمثابة مثال للمسليمن، وقد اتبعوه على مر العصور الإسلامية. والفترة الأيوبيـــة مـــن ضمن تلك العصور، فقد شجع السلاطين وزوجاتهم على عتق الجواري، وقد بدأت الدولة الأيوبية بهذا العمل منذ بداياتها، فعندما وصل صلاح الدين إلى الحكم واستولى على قـصور العاضـــد، استعرض من بالقصر ومنهم الجواري والعبيد، فأطلق من كان حراً، وأعتق بعـضهم، ووهـــب البعض الآخر[5].

وقد قام صلاح الدين (ت ٥٨٩هـــ- ١١٩٣م) بتزويج جاريته واحدى حظاياه جوزة (ت بعد سنة ٦٠٠هـــ- ١٢٠٣م) وكانت جارية لزوجته بنت معين الدين أنر (ت ٥٨١هـــ- ١١٨٥م)

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥١-٦٦٠، ص٢٤٤.

(٢) تيمور، التذكرة التيمورية، ص٤٢٢.

(٣)القشيري، صحيح مسلم، ج٨، ص٢٢٣.

(٤) القشيري، صحيح مسلم، ج٨، ص٢٢٣.

(٥) ابو شامه، الروضتين، ج٨، ص١٣٧.

زوجها بعد تجهيزها للطبيب ابن المطران (ت ٥٨٧هـ- ١١٩١م)، وهذا بمثابة عتق لها[1]. وقد قام العديد من الرجال بالعصر الأيوبي بعتق الجواري ثم الزواج منهن، بل أكثر من ذلك فمنهم من اشترى الجارية ثم اعتقها وفرض لها مهراً ثم تزوجها بعد ذلك، مثلما فعل الأمير شرف الدين علي بن قشتمر الناصري والذي اشترى الجارية ياسمين (ت ٦٤٧هـ- ١٢٤٩م) والمعروفة بجارية جميل. اشتراها من صاحبها ثم اعتقها وفرض لها الف دينار ثم تزوجها[2].

وأحيانا عند مرض الشخص يقوم بعتق جواريه، مثلما فعلت ست الشام بنت ايوب (ت ٦١٦هـ- ١٢١٩م) في مرض موتها، فقد دعت قاضي القضاة زكي الدين كما أسلفنا سابقاً وأشهدت الشهود أنها وقفت املاكها على مدرستها، ووقفت عليها وقوفا وأبرأت جواريها وخدمها ووكلاءها[3].

وكما فعل ايضا الملك الأشرف مظفر الدين موسى (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م)، ابن الملك العادل (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) صاحب دمشق في أواخر سنة ٦٣٤هـ- ١٢٣٦م. فعندما مرض وأحس بوفاته فرق البلاد، وأعتق مائتي مملوك وجارية[4].

---

(١) ابن أبي اصيبعة، طبقات الأطباء، ص٦٠٥.

(٢) ابن دقماق، نزهة الانام، ص١٩٠.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٦٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ص٢٩، ص١٤٣. والصفدي، تحفة ذوي الالباب.ج٢، ص١٢٣. وابن دقماق، نزهة الانام، ص٩٢.

وكان هذا التصرف من الأشرف اقتداء بالملك الظاهر (ت ٦١٣هـ- ١٢١٦م)؛ ففي سنة ٦١٣هـ- ١٢١٦م وفي أثناء مرض الملك الظاهر أعتق مائة مملوك ومائة جارية، وأسقط كثيراً من الضرائب المفروضة[1].

أسعار الجواري:

كانت تجارة العبيد ومن ضمنها تجارة الجواري تجارة رائجة ومربحة، وكان لهؤلاء أسواق خاصة تسمى أسواق النخاسين، والتاجر يسمى النخاس. والنخاس الذي يبيع العبيد [2]. وقد ضبطتها الدولة الإسلامية ووضعت عليها مراقبة ممثلة بالمحتسب[3]، وكان سعر الجواري كأية سلعة يزيد أو يقل حسب الظروف المحيطة بالفترة الزمنية، وحسب العرض والطلب.

وبالنسبة للفترة الأيوبية فقد تأثر سعر الجواري بإتقان الجارية لبعض المهن الفنية، ونستطيع من خلال بعض النصوص الواردة في بعض المصادر تكوين فكرة عن أسعار الجواري في هذه الفترة.

فقد كان زين الدين بن نجية الواعظ (ت ٥٩٩هـ- ١٢٠٢م) يمتلك عشرين جارية للفراش كل جارية تساوي ألف دينار[4]. ويقول الذهبي بهذا الشأن: كان في داره عشرون جارية للفراش، تساوي كل واحدة الف دينار واكثر [5].

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٩٩.

(٢) الشيزرى، عبد الرحمن بن نصر، ت ٥٨٩هـ- ١١٩٣م، نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تحقيق السيد الباز العريني. دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١هـ، ص٨٤.

(٣) الشيزري، المصدر نفسه، ص٨٤.

(٤) ابو شامه ذيل الروضتين، ج٥، ص٥٤. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمانن ج٨، ق٢، ص٥١٥.

(٥). الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٩١-٦٠٠، ص٣٩٨.

وهذا يدل على أن سعر الجارية الواحدة قد يزيد على ألف دينار. وهذا الثمن العالي يدل على ان مواصفات تلك الجواري مواصفات عالية، وهذا ما بينه ابن كثير حيث أورد الخبر بقوله: كان عنده أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء كل واحدة بألف دينار[1].

وهذا يؤكد ان اسعارهن عالية بسبب وجود مواصفات تميزهن عن غيرهن بالحسن. وهذه النصوص تدلنا ان هناك اسعاراً غير هذه الأسعار قد تقل أو تكثر، وقد يصل سعر الجواري إلى درجة متدنية لا تعتبر قياساً بالسعر السابق، وذلك لمرور الأمة بظروف سيئة من مجاعات وغيرها من كوارث طبيعية، ففي المجاعة التي حصلت في مصر في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وفي السنة التي سبقتها والتي تلتها هبط سعر الجواري بشكل كبير، وكان يتراوح بين دينار واحد إلى احد عشر درهماً. فقد عرضت في عام ٥٩٧هـ- ١٢٠٠م جاريتان مراهقتان بدينار واحد وعرضتا على البغدادي الذي زار مصر في ذلك العام وروى قصة المجاعة الكبرى في مصر[2]. وهنا تبين ان سعر الجارية كان أقل من دينار بل نصف دينار، وكذلك نودي على جاريتين إحداهما بكر بإحدى عشر درهما فقط[3].

وبالطبع فهذا سعر متدن إذا ما قورن بالسعر السابق، ولكن هنا واضح ان السبب كان هو المجاعة التي رفعت أسعار الأطعمة بشكل عام ووضعت أسعار الجواري لأن الجواري يحتجن إلى عناية وإلى طعام، وهذا لم يكن متوفراً.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، مج٧، ص٣٩.

(٢) البغدادي، الافادة والاعتبار، ص٩٣.

(٣) البغدادي، الافادة والاعتبار، ص٩٣.

وهكذا نلاحظ ان سعر الجواري غير ثابت، وهو حسب الظروف السائدة قد يقل وقد يزيد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سعر الجارية يزيد إذا كانت تتصف بميزات خاصة. وقد كان هناك اسواق خاصة لبيع الجواري فعلى سبيل المثال كان هناك ساحة في مصر يباع فيها الجواري[١]. وأقيم بتلك الساحة فندق اسمه فندق مسرور[٢].

وهناك أسواق مماثلة في دمشق، وكان يفرض في بعض الأحيان ضرائب ومكوس على تلك الأسواق سواء بمصر أو بدمشق. وأحياناً أخرى تلغى بأمر من السلطان مثلما حصل في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بدمشق على يد الملك العزيز[٣].

- وظائف ومهن الجواري:

لقد اختلفت مهن الجواري وتنوعت، وعملت في مجالات متعددة تنصب معظمها في العمل في البيوت كخدم، أو العمل في أماكن التسلية كمغنية وراقصة، وقد يكون مكان التسلية أحيانا في البيت لتقوم بالترفيه عن سيدها او عن ستها إذا كانت تمتلكها امرأة. ولكن الواضح أكثر من خلال المصادر أن التسلية المعلن عنها كانت للرجل. إضافة إلى كل ذلك كانت الجواري في البيوت لتسري الرجال بهن[٤]. ورغم أن ذلك لا يعتبر وظيفة إلا انه كان من أكثر العوامل التي تستشرى

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٥٧٣.

(٢) مسرور هذا من خدام الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله، ولم يزل مقدما في كل وقت، بطل الخدمة في الأيام الكاملية، ولزم داره. وبنى الفندق إلى جانبها. وكان قد أوصى تعمل داره مدرسه. المقريزي، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧٣.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٣٠٢.

(٤) ابو شامه، الذيل على الروضتين، ج٥، ص٥٤. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٥٨. وتاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٩١- ٦٠٠، ص٣٩٨.

الجارية من أجله.ولكن كانت الجارية تمارس وظائف محددة في المنزل وخارجه ومن هذه الوظائف:

مدبرة المنزل:

فقد كانت بعض الجواري تعمل مدبرة منزل للسيده التي تمتلكها، وكانت مدبرة المنزل بالنسبة للجواري من أجل الوظائف ولا تقوم بها إلا الجارية التي لها مكانة خاصة عند السيدة. فقد كانت إحدى حظايا الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي واسمها جوزة (ت بعد ٦٠٠هـ- ١٢٠٣م) تعمل مدبرة منزل لزوجته الخاتون بنت معين الدين أنر (ت ٥٨١هـ- ١١٨٥م)، وكانت جوزه هذه هي من جواري الخاتون، ومن المتقدمات عندها. وقد زوجها صلاح الدين للطبيب موفق الدين بن المطران كما سبق، وقد جهزتها سيدتها أفضل جهاز وأعطتها من الحلي والذخائر والأموال[1].

وقد تقوم ايضا الجواري بالخدمة والعمل في البيت للتنظيف ولرعاية الأطفال، ففي أثناء المجاعة التي حصلت بمصر، يروى البغدادي أن الجواري كن يرعين الأطفال الرضع ويلاعبنهم.[2].

(١) ابن ابي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٦٠٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٨١-٥٩٠، ص٢٦٣.

(٢) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٨٩.

مغنية:

لقد عملت الجارية في مجال الغناء، وقد غنت في الحانات وأماكن اللهــو أو الملاهــي[1] وفي القصور والبيوت الكبيرة أو حتى في البيوت العادية[2]. وكانت تقوم بالغنــاء فــي الأفــراح والمناسبات المقامة في الأماكن المختلفة، وتأخذ على ذلك الأجر ويؤخذ منها جزء منه كضريبة، وهناك رواية أن إحدى المغنيات دخلت على العادل (ت ٦١٥هـ- ١٢١٨م) وكان حاضراً فــي عرس فقال لها: أين كنت؟ قالت: ما قدرت آجي حتى وفيت ما علي للضامن. فقال: وأي ضامن: قالت: ضامن القيان[3].

وهذا النص يبين أن هناك جهة منظمة كانت تأخذ ضريبة على هؤلاء المغنيــات، مثلمــا نستنتج منه أن عددهن قد يكون كبيراً بحيث يحتجن إلى جهة منظمة لعملهن، وبحيث يكون مــا يؤخذ منهن كافياً كمصدر رزق لهذه الجهة المنظمة.

وبعد هذه الحكاية منع العادل ذلك وبشدة، وتوعد من يقوم بذلك بأنه سيلاقي جزاء كبيــراً وقال: والله لئن عاد وبلغني هذا لأفعلن ولأفعلن[4]. وكانت الجارية المغنية تسمى احياناً قينة[5]، فقد احب الملك العزيز ابن صلاح الدين قينة وشغف بها، وعندما علم صلاح الدين بذلك منعــه مــن رؤيتها، ولكنها سيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر، وعندما كسرها وجد بها زر ذهب. ولكنه لم يعرف تفسير ذلك. فسأل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ- ١١٨٠م) والذي كان الملك العزيز يميل

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص٣٣٠.

(٢) ابو شامه، ذيل على الروضتين، ج٥، ص١٦٩.

(٣) الحجاري، النجوم الزاهره، ص٣٧٢. والحنبلي، شفاء القلوب، ج٥، ص١٩٩.

(٤) الحنبلي، شفاء القلوب، ج٥، ص١٦٩. وابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٥٣.

(٥) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج٢، ص٨٧.

الملك العزيز يميل إليه ويثق به، ففسرها له القاضي الفاضل[1].وكتب له القاضي الحل في بيتين من الشعر.

أهدت لك العنبر في وسطهِ زرٌ من التبر دقيقُ اللحّام

فالزرُ في العنبرِ معناهما زُر هكذا مستتراً في الظلامِ[2].

وكان لبعض الملوك والسلاطين مغنيات من الجواري وبعضهم كان يكثر من هؤلاء الجواري المغنيات. وبعضهم انجب منهن[3]. فقد كان للملك الظاهر (ت٦١٣هـ- ١٢١٦م) ابن من مغنية وهو الصالح أحمد(ت ٦٥١هـ- ١٢٥٣م)، ولهذا على ما يبدو كما سبق حرم من الملك[4]. فقد غضب الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ-١٢٣٧م) من اخيه الملك الأشرف (ت ٦٣٥هـ-١٢٣٧م) لأمر وقع بينهما فقال الملك الكامل: الملك الأشرف يكفيه عن المُلك عشرته للمغاني، وتعلُمه لصناعتهم. وهذا الكلام كان مثار غضب الملك الأشرف (ت ٦٣٥هـ-١٢٣٧م) على أخيه ووصفه ببعض الأوصاف غير الحسنة[5].

---

(١) القاضي الفاضل، عبد الرحيم البيساني ت ٥٩٦هـ- ١١٨٠م، ديوان القاضي الفاضل، تحقيق احمد بدوي، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦١م.ج١، ص١٠٥. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٩١-٦٠٠، ص٢٤٧.

(٢) القاضي الفاضل، ديوان القاضي الفاضل، ج١، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص٧٢. وتيمور، التيمورية، ص٤٢٢.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤١. والذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص١٩.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤١-١٤٨. وابن كثير، البداية والنهاية، مج ٧، ح١٣، ص١٥٦.

ورغم أن الملك الكامل (ت ٦٣٥هـ- ١٢٣٧م) انتقد أخاه الملك الأشرف (ت ٦٣٥هـ- ١٢٢٦م) على عشرته للمغاني لكنه كان ايضا له جارية مغنية خاصة به. اسمها عجيبة، وكان مولعاً بها وتحضر اليه ليلاً وتغنية بالجنك[1].

وقد اجتمع يوماً الملك الكامل مع أخويه المعظم عيسى (ت ٦٢٤هـ- ١٢٢٦م) والأشرف في مجلس أنس في مدينة المنصورة بعد رحيل الفرنج عن دمياط سنة ثمان عشرة وستمائة. فأمر الملك الأشرف جاريته فغنت وهي تعزف على عودها .

ولما طغى فرعون عكا وقومه[2]. وجاء إلى مصر ليفسد في الأرض

أتى نحوهم موسى وفي يده العصا فأغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الأشرف وطلب منها ان تعيد الغناء مرة اخرى. ولكن الأشرف اسكتها وقال لجاريته: غن أنت[3]. فغنت على عودها:

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى في وقتنا وتحددا

أعباد عيسى إن عيسى وحزبه وموسى جميعاً ينصرون محمدا

---

(١) السيوطي، حُسن المحاضرة، ج٢، مج٢، ص١٣٨.

(٢) أورد المقريزى نفسه هذا الخبر في كتابه السلوك، وجاء بدل وقومه ببغيه. المقريزى، السلوك، ج١، ق١، ص٢٠٩.

(٣) المقريزى، الخطط، ح١، ص٦٤٣.

فأعجب ذلك الكامل، وعندها أمر لكل من الجاريتين بخمسمائة دينار[1]. وقد تغير الكامل على الصلاح الأربلي [2] بعد أن كان له منزلة كبيرة واحترام وحبسه في سنة ٦١٨هـ - ١٢٢١م، وبقي في الحبس لمدة خمس سنوات. عندها كتب الصلاح الأربلي قصيدة واوصلها لبعض القيان، فغنت بها امام الملك الكامل، فأعجبته القصيدة فسأل عنها فقيل له إنها للصلاح الأربلي. عندها اطلقه وعاد الصلاح إلى منزلته المعهودة عند الكامل[3]. وهذه القصة تبين الدور الذي قد تلعبه الجارية ومدى تأثيرها على مستمعيها.

وفي المقابل قد تتعرض الجواري المغنيات إلى النفي أو الطرد من البلد، فعندما مرض الملك الظاهر سلم شهاب الدين طغريل مفاتيح الخزائن واضاف اليه الحكم في جميع القلاع، وفوض إليه الأمور بتفويض منه بخطه والذي يستطيع بموجبه ان ينفذ الأمر الذي يراه مناسباً عندها أصدر أمراً بنفي المغنيات وأهل الفساد[4].

وقد أشتهر ايضا من المغنيات حسناء المصرية[5]. وعندما ترجم لها الأصفهاني ذكر في نهاية كلامه ومن النساء ايضاً ابنتها بدمشق"[6]. وهذا الكلام يحتمل أن بنتها أيضاً مغنية بدمشق، أو أن لها بنتاً ولكنها تعيش بدمشق.

---

(١) المقريزي، السلوك، ق١، ح١، ص٢٠٩. والخطط، ج١، ص٦٤٤.

(٢) احمد بن عبد السيد بن شعبان بن محمد بن جابر بن قحطان ولد ونشأ باربل، وقدم مصر. قدم الملوك من البيت الأيوبي، وتوفي سنة ٦٣١هـ- ١٢٣٣م، الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٥١.

(٣) الذهبي، المصدر نفسه، وفيات سنة ٦٣١-٦٤٠، ص٥١.

(٤) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٩٩.

(٥) تم تعريفها سابقاً تحت عنوان: العلوم الأدبية والاجتماعية: الشعر. ص١٤٠.

(٦) الأصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر، ص٢٢١.

وقد كانت الجواري المغنيات يتقن فنون العزف على الالآت. ووجد تخصص في هذا المجال، فكانت بعض المغنيات تعزف على آلة العود. وهؤلاء الجواري يعرفن بالجواري العوديات[1]. وبعض الجواري يعزفن على آلة الجنك وهؤلاء يعرفن بالجنكيات[2]. ولفتيان الشاغوري أبيات بجارية جنكية اسمها سنبلة:

لي عاذلٌ في الحب ما أعذَلَه وعن طريق العدلِ ما أعدلَهُ

يطمعُ جهلاً أن يُرى طارداً عُطارداً عن طالِعِ السنبلة[3].

جاريةٌ جائزةٌ في الهوى وجَنكها المطرِبُ ما أعدلَه[4].

وهناك جوارٍ يتقن آلات أخرى، وقد كان برفقة ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م) لخدمتها عندما زفت إلى زوجها وانتقلت من مصر إلى حلب مائة جارية كلهن مطربات، ويلعبن بانواع الملاهي[5]. وهذا النص يبين أن الجواري المطربات يتقن أنواع العزف المختلفة. وكذلك ان المرأة أيضاً، تقتني الجواري المغنيات والمطربات وتهتم بذلك مثلها مثل الرجل.

---

(١) المقريزى، السلوك، ج١، ق٢، ض٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ق٢، ص٢٧٥. والسيوطي، حسن المُحاضرة، مج٢، ص١٣٨.

(٣) السنبله: من مواقع الفلك

(٤) فتيان الشاغورى، ديوان، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٥) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٢٦. والمقريزى، السلوك، ج١، ق١، ص١٧٦.

وقد تعمل الجارية أعمالاً فيها إتقان ودقة، فقد كان من ضمن جواري ضيفة خاتون (ت ٦٤٠هـ- ١٢٤٢م)، مائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة[1]. وهذا يبين أن الجارية تعمل الأعمال التي فيها حرفة أو صنعة دقيقة ومتقنة.

الرقص:

وكانت الجارية تعمل أيضاً في مجال الرقص، وقد وصف محمد بن هاني[2] جارية رقاصة ببعض الأبيات منها هذا البيت والذي يصف خفة الحركة عند الجارية وسرعة حركاتها في الرقص.

خَفّتْ فلو رقصت بأعلى لُجةٍ مابل أخمصَهَا حَبَابُ الماء[3].

وفي سنة ٦٣٦هـ- ١٢٣٨. سار الناصر داود صاحب الكرك (ت ٦٥٥هـ- ١٢٥٧م) متوجهاً إلى مصر للقاء الملك العادل (ت ٦٤٦هـ- ١٢٤٨م)، وكان معه هدايا وتقدمات فاخرة، وجواري عازفات، ورقاصات[4].

طباخة:

وقد عملت الجارية طباخة في مطابخ بيوت الأيوبيين. وكان أصل تعليم هؤلاء الجواري الطباخات من قصور الخلفاء الفاطميين، وقد كانت الجواري يتقن صنعة الطبخ كما يشير إلى ذلك

---

(١) ابن الفرات، تاريخ، ج١، مج٥، ص١٢٦. والمقريزى، السلوك، ج١، ق١، ص١٧٦. والحنبلى، شفاء القلوب، ص٢٨٣.

(٢) محمد بن هاني: هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن مفضل الأزدي الاندلسي، وينسب إلى ابن هانئ المغربي الاندلسي. الاصفهاني، خريدة القصر، شعراء مصر. ص٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه، شعراء مصر، ص٢٥٠.

(٤) المقريزى، السلوك، ق٢، ح١، ص٢٧٥.

المقريزى بقوله: ولهن في المطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة[1]. وهذا يبين تميـــز الجاريـــة الطباخة في عملها وفي صناعة الطعام.

السحر والشعوذة:

وقد تمارس الجارية أو الأمة بعض أمور منافية للشرع من أمور السحر والشعوذة وقـــد قامت جارية اسمها بُريكة بممارسة السحر في المقابر[2].

التعليم:

وبالإضافة إلى أعمال الجارية السابقة نستطيع القول إن الجارية قد تعمل اعمالاً أخـــرى ولكنها اعمال محترمة، تعمل في مجال العلم كما ذكرنا سابقاً. فقد عملت ظبية معتقة المحدث عبد الوهاب بن رواح مدرسة وسمعت من عبد المجيد بن محمد المراكشي، وروى عنها مجموعة[3]. وكانت لؤلؤة بنت عبد الله (ت ٦١٩هـــ-١٢٢٢م)، وهي عتيقة الحافظ الصائب،[4] كانت شـيخة وعندما يطلق اسم شيخة فهذا يعني انها وصلت إلى مرحلة من العلم، وأطلق عليها هذا اللقـــب[5]. وتوفيت الشيخة لؤلؤة (سنة ٦١٩هـــ- ١٢٢٢م)[6].

---

(١) المقريزى، الخطط، ج٢، ص٦٧.

(٢) ابن منقذ، الاعتبار، ص٢٢٣.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤١-٦٥٠، ص١٢١.

(٤) الحافظ الصائب أبو الحسين هبة الله بن الحسن الدمشقي المعروف بابن عساكر. المنذري، التكملـــه، ج٣٧، مج٣،ص٩٢.

(٥) المنذري، المصدر نفسه، ج٣٧، مج٣، ص٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٣٧، مج٣، ص٩٢.

الخاتمة

درست في هذه الأطروحة أوضاع المرأة في الفترة الأيوبية من النواحي الاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية، والسياسية، وتبين أنها كانت تتمتع بوضع اجتماعي جيد يكفل لها حقوقها بشكل عام، وقد حظيت نساء الأسرة الحاكمة بألقاب تشريفية كثيرة تدل على ما وصلت إليه من احترام وتبجيل.

وقد اهتمت المرأة بإدارة شؤون منزلها، وبزينتها بشكل كبير، وأتيحت لها فرص التعليم في المؤسسات العلمية والاجتماعية التي كثرت في تلك الفترة، وقد حققت في هذا المجال ما لم تحققه في أي مجال آخر، حتى أنها حصلت على ألقاب علمية رفيعة، وتنقلت في طلب العلم من مكان لآخر، وصحبت العلماء في مجالسهم وأخذت منهم، وكان لها إنتاج علمي وأدبي وصل إلينا بعضه. ونقل بعضه الآخر في بطون أمهات الكتب، وقد حرصت على جمع بعض الأشعار التي أبدعتها المرأة في العصر الأيوبي، أو تغنت بها الجواري.

وتمتعت المرأة في الفترة الأيوبية بالملكية الخاصة، ووجد نساء ثريات إما عن طريق المهور والهدايا من الأزواج، وإما من عملهن الخاص. وقمن ببناء المدارس والمساجد والخانقاوات ووقفن عليها أموالاً طائلة لاستمرارها وديمومة خدماتها، مما أثرى الحياة العلمية بشكل عام، وما زالت بعض آثار تلك المنشآت باقية في مصر والشام إلى الآن.

وشاركت المرأة في العصر الأيوبي في الحياة السياسية والعامة، وأثبتت أنها تستطيع القيام بالحكم مشاركة للرجل أو منفردة، رغم العقبات والصعاب التي لاقتها في هذا المجال، إذ أنها

حكمت من وراء الرجال دون اعتراض، ولكن لما استقلت بالحكم وتسلطنت، وجدت الاعتــراض من الفقهاء والسياسيين .

وقد وجد في المجتمع في الفترة الأيوبية بعض مظاهر الفساد الذي كانت المرأة فيه سبباً أو ضحية مما لا يخلو منه مجتمع في أي فترة من فترات التاريخ. وبينت أنه وإن كان للجواري دور سلبي، فقد كان لهن دور إيجابي في المجتمع، ووصل بعضهن الى درجة متقدمة من العلــم والإتقان.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأولية.

- ابن ابي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي (ت668هـ / 1269م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ضبط وتصحيح: محمد باسل عيون السود، جزء1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ / 1232م) **الكامل في التاريخ**، 12جزء، دار صادر، بيروت،1385هـ- 1965م.
- الأدفوي، كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت748هـ / 1347م)، **الطالع السعيد لجامع لأسماء نجباء الصعيد**، تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية، التأليف والترجمة، 1386هـ - 1966م.
- الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين العماد الكاتب (ت597هـ / 1200م)، **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء مصر، نشر أحمد امين وآخرين، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1383هـ - 1964م.
- ....**سناء البرق الشامي**، تحقيق مصطفى الحياري، حقق الجزء 3، 4، مؤسسة شومان، عمان، ط1، 1399 هـ - 1978م.
- ابن بطوطه، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الداني الطنجي(ت779هـ /1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب**

الأسفار، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية،بيروت، ط1، 1424هـ 2003م.

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ -1070م)، تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ، 14جزءاً، دار الفكر، بيروت، 1401هـ - 1980م.
- البغدادي، عبد اللطيف(ت 629هـ / 1231م)، **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، تحقيق: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط1، 1404هـ - 1983م.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت 430هـ / 1038م)، **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**، عالم الكتب، بيروت.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، (ت 874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، 6 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت،1382هـ - 1962م.
- التيفاشي، شهاب الدين أحمد، **نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب**، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1382هـ - 1962م.
- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت 255هـ - 868م)، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط2، 1387هـ - 1967م.
- ....**البخلاء**، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط2.

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة برحلة ابن جبير**، دار الهلال، بيروت،١٤٠٢هـ- ١٩٨١م

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)،**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ١٨ جزءاً، حيدر اباد،١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.

- ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة،١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

- ....**نزهة الألباب في الألقاب**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، دار الجيل، بيروت،١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- الحسيني، أبو بكر بن هداية الله(ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م)، **طبقات الشافعية**. تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- الحلبي، سبط ابن العجمي(ت 884هـ /1444م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، تحقيق: شوقي، فالح البكور، جزءان، دار القلم، حلب،1417هـ - 1996م.
- الحنبلي، أحمد بن ابراهيم (ت 876هـ / 1471م)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417هـ- 1996م.
- الحنبلي، مجير الدين أبو اليمين قاضي القضاه (ت928هـ / 1521م)،**الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، جزءان ، مكتبة المحتسب، عمان،1393هـ- 1973م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ-1405م)،**مقدمة ابن خلدون**، دار القلم، بيروت، ط5، 1405هـ- 1984م.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ / 1262م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناءالزمان**، تحقيق: إحسان عباس، 7 أجزاء، بيروت،1389هـ-1969م.
- الخوارزمي، محمد بن يوسف (ت 378هـ / 988م)، **مفاتيح العلوم**، تحقيق: ابراهيم الإبيان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1410 هـ - 1989م.
- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد العلائي (ت 809هـ / 1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام(628-659هـ /1230-1261م)**، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت،1420هـ- 1999م.
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن اربيل (ت بعد 736هـ - 1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، المعروف بالدر المكتوب في اخبار بني ايوب، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1392هـ - 1972م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت 748هـ / 1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،1410هـ- 1989م.
- .... تذكرة الحفاظ،4 أجزاء، دار احياء التراث العربي.
- ....**سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، 25جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ- 1984م.
- .... **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد،5 أجزاء، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1405هـ- 1984م.
- .... **معجم الشيوخ: المعجم الكبير**، تحقيق: محمد نجيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1988م.
- .... **المعين في طبقات المحدثين**، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، دار الفرقان، عمان، ط1، 1409 هـ- 1984م.
- ....**المشتبه في الرجال: أسمائهم وانسابهم**، تحقيق: علي محمد الدجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1،1382هـ - 1962م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، عني بترتيبه: محمود خاطر، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1399هـ- 1978م.
- الزبيدي، المرتضى (ت1205هـ / 1790م)، **ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1404هـ- 1983م.

- الزبيدي، محمد مرتضى عبد الكــريم الحـسني (ت 1205هـــ / 1790م)، **تــاج العروس**، تحقيق عبد الكريم العزباوي،23 جزءاً، دار الجيل، الكويت،1392هـــ-1972م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر بـــن قزاوغلـــي التركـــي (ت 654هــــ/1256م)، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، 8 أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثماني، حيدر اباد، الدكن، الهند، ط1372،1 هــ- 1952م.
- السبكي، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكـــافي (ت 771هــــ / 1369م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو،10 أجزاء، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- **سجل أوقاف واملاك دمشق**، رقم 393، لسنة 954هـــ - 1547م.
- ابن سناء الملك، هبة الله بن الرشيد بن المعتمد المــصري(ت 607هــــ / 1210م)، **ديوان ابن سناء الملك**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، الكتاب العربي للطباعة والنشر،، القاهرة، 1389هـــ - 1969م.
- السيوطي، جلال الدين(ت 911هـــ / 1505م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مــصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، جزءان ، دار إحياء الكتــب العربيـــة، القاهرة،1388هــ- 1968م.
- .... **نزهة الجلساء في أشعار النساء**، مكتبة القرآن القاهرة، 1986م.
- ....**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـــ - 2004م.

- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابـراهيم المقدسـي الدمـشقي الشافعي (ت 665هـ / 1266م)، **كتاب الروضتين في أخبار الـدولتين**، تحقيـق : إبراهيم الزيبق، 5 أجزاء، مؤسسة الرسالة،1418هـ- 1997م.
- .... **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل علـى الروضـتين**، تحقيق : محمد زاهد حسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1394هـ- 1974م.
- ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري (ت 873هـ / 1468م)، **زبـدة كـشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، وضع حواشية خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.
- ابن الشحنة، محمد أبو الفضل (ت 190هـ- 1485م)، **تاريخ حلب**، تحقيق: كيلواوتا، دون ناشر.
- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت 623هـ / 1234م)، النوادر السلطانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ 1994م.
- ابن شداد، عز الدين ابو عبد الله محمـد بـن علـي بـن ابـراهيم (ت684هـ / 1285م)،**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيـرة**، تحقيق: دومنيك سوريل، جزءان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق،1373هـ- 1953م.
- الشربيني، محمد الخطيب (ت 1028هـ / 1618م)، **السراج المنير في الإعانة في معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**. بهامشة التفسير المسمى بأنوار التنزيـل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي عبد الله بن محمـد بـن علـي (ت 685هـ / 1286م) المطبعة الخيرية، القاهرة.

- الشيزري، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي (ت 486هـ / 1083م)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1379هـ - 1959م.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (589هـ / 1193م)، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق: السيد الباز العربي،جزء1، دار الثقافة، بيروت، ط2،1402هـ - 1981م.
- الصابوني، جمال الدين محمد بن علي (ت 680هـ -1281م)، **تكملة اكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1990م.
- الصفدي، الحسن بن أبي محمد بن عبد الله الهاشمي(ت 717هـ / 1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1.
- .... **الوافي بالوفيات**، باعتناء هلموت رتير،23جزءاً، دار فرانز مشتاينر نقيسبادن، ط2، 1382هـ-1962م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1362م)، **تحفه ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1413هـ- 1992م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ / 922م)، **تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري**، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،11جزءاً، دار سويدان، بيروت،1387هـ - 1967م.

- ابن طولون شمس الدين، محمد (ت 953هـ / 1546م)، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، تحقيق: محمد احمد همان،جزءان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط2، 1401هـ-1980م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت328هـ/939م)، **العقد الفريد**، تصحيح: أحمد أمين وآخرين،6 أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1388هـ - 1968م.
- ابن العبري، غريغوريوس الملطي(ت 685هـ /1286م)، **تاريخ مختصر الدول**، وضع حواشيه: انطوان صالحاني اليسوعي، ط2، 1376 هـ- 1956م.
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبه الله (ت 660هـ/1261م)، **زبده الحلب في تاريخ حلب**، نشر وتحقيق: سامي الدهان، دمشق، 1388هـ - 1968م.
- ابن العربي، محمد بن عبد الله(ت 543هـ / 1148م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد علي البيجاوي، 4 أجزاء، دار المعرفة، بيروت، 1392هـ - 1972م.
- ابن عساكر ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن بن الشافعي (ت571هـ /175م) **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها واهلها**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروى،80 جزءاً، دار الفكر، بيروت، 1416هـ -1996م.
- علوي، ناصر خسرو، **سفرنامة**، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1414هـ- 1993م.

- ابن العماد، شهاب الدين ابو الفتوح عبد الحي بن عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي الدمشقي(ت 1089هـ / 1678م)، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 8 أجزاء، بيروت،1386هـ- 1966م.
- عمارة اليمني، نجم الدين ابو محمد بن الحسن الحكمي(ت569هـ /1173م)،**النكت العصرية في اخبار الوزراء المصرية**، تصحيح: هرتويغ دفرغ، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، بغداد.
- ابن العميد، المكين جرجس (ولد 602هـ / 1205م)، **اخبار الأيوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة
- العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1408هـ-1987م.
- فتيان الشاغوري، ابو محمد علي بن الاسدي(ت 615هـ /1218م)، **ديوان فتيان الشاغوري**، تحقيق: أحمد الجندي، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1396هـ- 1976م.
- أبو الفداء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه أيوب (ت 732هـ / 1331م)، **تاريخ أبي الفداء "المختصر في اخبار البشر"**، تعليق محمود أيوب، 4 أجزاء في مجلدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.
- الفيروز ابادي، مجد الدين بن يعقوب(ت 711هـ / 1311م)، **القاموس المحيط**، مجلد1، مؤسسة الرسالة،ط2، دار الجيل ، بيروت، 1399هـ-1978م.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/889م)، عيون الأخبار،4 أجزاء، دار الكتب، القاهرة.
- ابن قدامة، موفق الدين ابو محمد عبد الله بن أحمد(ت620هـ / 1223م) ، **المغني في فقه الامام احمد بن حنبل**، دار الفكر، بيروت، 1406هـ-1985م.
- القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد (ت 682هـ / 1283م)، **وصف دمشق في أيام الملك الظاهر بيبرس**، نشر أحمد ايبش، سلسلة منتجات من التراث، دمشق، ط1، 1404 هـ- 1983م.
- القشيري، مسلم بن الحجاج(ت 261هـ / 874م)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- القلقشندي، أحمد بن علي(ت 821هـ / 1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر ، مصر، دار الكتب العلمية، بيروت،1408هـ- 1987م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت 774هـ / 1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ- 1985م.
- مقديش، محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزداري، ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1409هـ-1988.
- المقريزي، أحمد بن علي(ت835هـ / 1441م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تصحيح : محمد مصطفى زيادة،8 أجزاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1376هـ- 1956م.

- ....**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق: محمد زينهم. ومديحة الشرقاوي،4 أجزاء، مكتبة مدبولي، القاهرة،1419هـ-
- المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي(ت 656هـ / 1258م)، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق: بشار عواد معروف، 4 أجزاء، مؤسسة الرسالة، ط4، 1409هـ- 1988م.
- المنصوري، بيبرس(ت 702هـ / 1302م)، **التحفة الملوكية في الدولة التركية، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ- 1302م**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1414هـ 1993م.
- .... **مختار الأخبار**، تحقيق: عبد الحميد صالح حماد،جزء1، الدار المصرية اللبنانية، ط1،1414 هـ- 1993م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت 711هـ / 1311م) لسان العرب، 15 جزءا، دار صادر، بيروت، 1388هـ -1968م.

- ابن منقذ، أسامة الكناني (ت 584هـ/1188م)، **الاعتبار**، تعليق: عبد الكريم الأشتر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،1401هـ - 1980م.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت978هـ/1570م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: ابراهيم شمي الدين،جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت،1411هـ- 1990م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ /1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 32 جزء، تحقيق: محمد ضياء الدين الريس، محمد مصطفى زيادة الهيئة المصرية العامة للكتاب،1413هـ- 1992م.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت679هـ/1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 5 أجزاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة،1401هـ - 1980م.
- .... **نكت الهميان في نكت العميان**، المطبعة الجمالية، القاهرة،1329هـ-1911م.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر(ت 750هـ / 1349م)، **تاريخ ابن الوردي، جزءان، المطبعة الحيدرية، النجف،1389هـ- 1969م.**
- .... **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق: أحمد رفعة البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1309هـ- 1970م.
- ابن الوكيل، يوسف الملواني(1131هـ / 1719م)، **تحفه الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تحقيق: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، ط1، 1142هـ-1999م.
- الوهراني، ركن الدين محمد بن محرز(ت 575هـ / 1179م)، **مناقشات الوهراني ومقاماته ورسائله**، تحقيق: ابراهيم شعلان، دار الكتاب العربي، القاهرة،1388هـ-1968م.
- اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان(ت 768هـ / 1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل منصور، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ- 1997م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، الرومي (ت 626هـ / 1228م)، **معجم البلدان**، 5 مجلدات، دار صادر بيروت، 1995م.

- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ /1326م)، **ذيل مـرآة الزمـان**، **بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية**، دار الكتاب الإسـلامي، القـاهرة، ط1،1413هـ - 1992م.

المراجع

- أبو شقة، عبد الحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، دار العلم للنشر والتوزيع، بيروت، ط١٤١٢،١هـ- ١٩٩١م.
- أحمد، نريمان عبد الكريم، **المرأة في مصر في العصر الفاطمي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، **معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد**، أضواء السلف، ط١، الرياض، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الأيبشي، أحمد وقتيبة الشهابي، **معالم دمشق التاريخية**، منشورات وزارة الثقافة دمشق.
- الباشا، حسن، **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، دار النهضة العربية، القاهرة،١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- بدران، عبد القادر، **منادمة الأطلال ومسامرة الخلان**، الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية، إشراف: زهير شاويش، المكتب الإسلامي، ط ١٤٠٦،٢هـ- ١٩٨٥م.
- بدوي، أحمد، **الحياة العلمية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- البستاني، بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان،١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- البلقي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

- تيمور، أحمد باشا، **التذكرة التيمورية (معجم الفوائد والمسائل)**، دار الكتـــاب العربـــي، القاهرة، ط١، ١٣٧٣ هـــ- ١٩٥٣م.
- جروهمان، أودلف، **أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية**، ترجمة حسن ابـــراهيم حسن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هــ- ١٩٩٤م،.
- جودي، محمد حسين، **تاريخ الأزياء القديم**، دار صفاء للطباعة والنـــشر، عمـــان، ط١، ١٤١٨هــ- ١٩٩٧م.
- الحجي، حياة ناصر، أحوال العامة في عصر المماليك، دار القلم للنشر والتوزيـــع، ط٢، ١٤١٥هــ- ١٩٩٤م.
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني**، والثقـــافي والاجتمـــاعي، مكتبـــة النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧- ١٩٦٧م.
- الحسيني، عبد العزيز محمد، **الحياة العلمية في الدولة الإسلامية**، وكالـــة المطبوعـــات، الكويت، ١٣٩٣هــ - ١٩٧٣م.
- الحصيني، محمد أديب آل تقي الدين، **منتخبات التواريخ لدمشق**، دار الافـــاق الجديـــدة، بيروت.
- خريسات، محمد عبد القادر، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، دراسة تطبيقية منذ العصر الجاهلي حتى سقوط العباسية في بغداد، ٦٥٦هــ-١٢٥٨م، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، ط١، ١٤١٩هــ- ١٩٩٨م.

- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات في الألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- خير يوسف محمد، **المؤلفات من النساء ومؤلفاتهن**، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض.
- دعبول، رضوان، **وفيات أعلام النساء**، دار البشير ومؤسسة الرسالة، عمان،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي.
- .... **معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب**، مكتبة رياض الصلح، بيروت.
- رشدي، صبيحة رشيد، **الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية**، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- رضا أحمد، **معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.
- رمضان، احمد محمد، **المجتمع الإسلامي**، في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، القاهرة.
- الزرقا، مصطفى أحمد، **أحكام الأوقاف**، دار عمار، عمان، ط٢،١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٤٠٥،٦هـ- ١٩٨٤م.
- سوفاجية، جان، **دمشق الشام**، تحقيق: اكرم حسن الحلبي، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.

- صالحية، محمد عيسى، **من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحجولية السادسة،١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
- ..... **سجل أراضي لواء القدس**، عمان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- صقر، عبد البديع، **شاعرات العرب**، المكتب الإسلامي، الدوحة، ط١، ١١٣٨هـ- ١٩٦٧م.
- العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، القدس، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- عاصم، محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- العاملي، زينب بنت علي بن حسين فواد (ت ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م)، **معجم اعلام النساء**، تحقيق: منى محمد زياد الخراط، مكتبة التوبة الرياض، ومؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
- عبد الجليل عبد المهدي، **المرأة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي متعلمة ومعلمة**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد ٣٨، السنة الرابعة عشرة، كانون الثاني، حزيران،١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- عبد الرازق، أحمد، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، ط٢.
- ....، **المرأة في مصر المملوكية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

- العبيدي، صلاح حسين، **الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني**، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٤٠١هـ ١٩٨٠م.
- العسلي، كامل جميل، **وثائق مقدسية تاريخية**، عمان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، منشورات الجامعة الأردنية.
- العلي، زكية عمر، **التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي الثاني**، منشورات وزارة الإعلام، العراق.
- علي، وفاء محمد، **الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
- العمري، ياسين بن خير الله (ت ١٢٣٢هـ /١٨١٦م)، **الروضة الفيحاء في تواريخ النساء**، تحقيق: رجاء محمود السامرائي، الدار العربية للموسوعات، بيروت،-١٩٩٠.
- الغامدي، علي محمد علي عودة، **بلاد الشام قبيل الغزو المغولي**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.
- الغزي، كامل البالي الحلبي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، تعلق: شوقي شعث ومحمود فاخوري، دار العلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
- قحف، منذر، **الوقف الإسلامي: تطوره، إدارته، تنميته**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- كرد علي، محمد، **خطط الشام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

- المرنيسي، فاطمة، **السلطانات المنسيات**، ترجمة جميل معلى وعبد الهادي عبـــاس، دار الحصاد، دمشق، ط١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- نصر ، ترياسيد وآخرون، **تاريخ الأزياء**، عالم الكتب ، القاهرة.
- نوري، محمد سالم، **العامة والسلطة في بغـداد** ، دار الكتـاب، القـاهرة،١٤٢٦هـــ- ٢٠٠٥م.

المراجع الأجنبية:

- Grohmann, Adolf, **Arabic papyri in the Egyptian Library),** Egypt Library Press, 1355 H.- 1936.
- Lane-Poole, Stanley. **History of Egypt in The Middle Ages,** Frank Cass & Co. LTD, 11388H.- 1968.
- Von Grunebaum, G. E, **Classical Islam: A History 600-1258,** George Allen And Unwin Ltd, London. **1390H. – 1970.**

ملحق رقم (١)[١]

خطبة عقد زواج

ذكر تزوج

الملك العزيز بابنة عمه الملك العادل

وخطب الملكُ العزيز ابنةَ عمّه الملك العادل، وندب القاضي المرتضى محمد بن القاضي الجليس عبد العزيز السعدى وكيلا عنه، وحضر قاضي القضاة محيى الدين بن زكي الدين وجميعُ عُدوله، وَوَكّل الملكُ العادل القاضي محيى الدين أبا حامد بن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون في تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز؛ وكتب عماد لدين الكاتب الكتاب في ثـوب أطلـس، وأنشأ خطبة العقد هي:

"الحمدُ لله الذي خلق من الماء بَشَراً، فجعله نسباً وصِهْراً، وشرع النكاحَ ووضعه صـلةً للأرحام وبِرّاً، وشدَّ به أزراً، ورفع به قدراً، وأطلعَ بسناء سنته في العالم فجراً، وأجرى به اجراً.

نحمده على أنعُمه التي تجلّت لعيون مجتليها بيضاً غُراً، وأياديه التي ملأت الأيدى حوافل غُزاً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، شهادةً نتخذها يوم القيامة ذخراً، ونعدها يـوم الفزع الأكبر جُنَّة وسِتْراً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً، وأسماهم وأسناهم في الدنيا والآخرة ذِكْراً، الذي بعثه إلى الخلق كافةً عُرْباً وعُجْماً، وبدواً وحضراً، وبيَّن لهم مناهج الهدى إيجاباً وإباحة وندباً وحظْراً، فقال صلى الله عليه وسلم: " تناكحوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة". وكفى بالنكاح في تحقيق مباهاته فجراً- صلى الله عليه وعلى آله صلاة تجمع لهم شرف الدنيا والأخرى-.

وكان من قضاء الله وقدره النكاحُ المسطورُ في هذا الكتاب الذي فاح في مناشق الأوليـاء نشراً، ولاح في مشارق الآلاء يسراً، وجمع في سماء المعالي للأيام والليالي شمساً وبدراً، وأمـر بأحكام عهده للدين أمراً، وسرّ بإبرام عقده للدولة سرّاً، قرنه الله بالميامن والبركات التي تتأبـد دهراً، وتتخلد عصراً".

ثم قرئ كتاب الصداق، وعُقد العقد بحضور الملك الظاهر صاحب حلب.

---

[١] ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٣٤، ٣٥.

ملحق رقم (٢) [1]

كتاب توصية الصالح نجم الدين بزوجته شجر الدين

ذكر أخبار السلطان الملك المعظم غياث الدين تُورَانْشَاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وهو التاسع من ملوك الدولة الأيوبية بالديار المصرية.

مَلَك الديارَ المصرية والشام، بعد وفاة والده السلطان الملك الصالح وكان مُقيماً بحصن كَيْفَا، وما مع ذلك، منذ تركه والدُه هناك- كما تقدم. فلما مات السلطان، اجتمع رأيُ الأمراء على إقامته، وجهزوا لإحضاره الأميرَ فارس الدين أقْطَاي، كما ذكرنا آنفا.

وكان السلطانُ الملك الصالح، في مرض مَوْتِه، قد كتب إلى ولَده الملك المعظم هذا كِتاباً، أسْنَد فيه المُلْكَ إليه، واشتمل كتابُه على جُمْلَةٍ من الوصَايا. وقد وَقَفْتُ على الكِتاب المذكور- وهو بخَطِّ السلطان الملك الصالح بجُمْلَتِهِ. وقد رأيتُ أن أشْرَحَ ما تَضَمَنَهُ، لِمَا فيه من الوَصَايا التي يتعين على الملوك التمسكُ بها والرجوع إليها، والاعتمادُ عليها.

ابتدأ السلطانُ الملك الصالح كِتَابَه هذا- الذي منه نَقَلْتُ- بأن كَتَبَ في طُرَّتِه قبل البَسْمَلَة: والده أيوب بن محمد.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

الولَد تورانشاه- أصلحه الله ووفَّقه يا ولدي، أنت تعلم ما سبب تاخير طَلَبك إلا ما عَلمتُهُ منك، من الصِّبيانية والجُرْأة وقلة الثبات، والمُلْكُ ما يحتمل هذا. والوالد ما يشتهي لولده إلا الخير. والخصائل التي أعرفها منك اتركها، يدوم لك المُلك. وإن أنت خَالَفْتَ أمري وبَقِيتَ على ما أعلمه منك، يروح منك المُلْك: واثبت في جميع أمورك وسُنَّ سيرتي في العسكر. واترك الأشياء على ما هي عليه: كل أحد مُتَوَلِّي الشغل الذي هو فيه، ولا تُحْدِث حادث.

والوصيةَ بجميع الأمراء، وأكْرِمْهم واحتَرِمْهُم، وارفع منزلتهم. فهم جناحُك الذي تطير به، وظهرُك الذي تركن إليه. وطَيِّب قُلوبَهم، وزِدْ في إقطاعهم. وزوّد كلَّ أمير على ما معه من العِدّة عشرين فارس. وأنفِق الأموال وطيِّب قلوب الرجال، يحبوك وتنل غرضك في دفع هذا العدو. ولا تُؤَاخِذْ بما جَرَى في دِمْياط. فهذا أمرٌ سمَاوِيّ، ما لأحَدٍ في هذا حيلة.

والأخ فخر الدين ابن الشيخ ما عندي من أقْدمُ سواه، فأكْرِمْهُ، واحترِمْه كما تحترمني. واجعله عندك كالوَالِد. واسمع قوله ورأيَه ولا تُخَالِفْه. واجعل له من العِدة مائتي فارس.

يا ولدي: الوصيةَ بأم خليل، فلها عليَّ من الحقوق والخِدمة ما لا أقدر أصِفُه، ارعَ جانبَها وأكرمها واحتْرمها، وارفعْ منزلتها، فهي عندي بمنزلةٍ عظيمة. وكنت طَيِّبَ القَلْب بصُحْبَتِها، آمِناً على نفسي من جهتها، فاجعلها لك مثلَ الوالِدَة. واجتهد في اتصال الراحة إليها، وطَيِّبْ قلبَها، واجعلها حاكِمَةً على جميع أمورِك وأموالك. ولا يبدو منك كلمة تُضَيِّق صدرَها، ولا توجع لها قلباً أبداً، ولا من يتعلق بسببها، ولا من يضيق صدرها بسببه.

ولا تَخْرُجْ عن رأيها وتدبيرها، وهذه وصيتي فلا تخالفْ أمري. واخدمها كما تخدمني، واحترمها كما تحترمني. ولا تَجْعَلْ على يدها يد. والوصية بجميع العيال، أحْسِنْ إليهم فلهم عليَّ خِدْمَة. ولا تُقَصِّر في حق الصغير منهم والكبير. واحفظ وصيتي، فمتى خالَفْتَني يروح منك المُلك، وتكون عاقًا لي. وكتبت هذه الوصية ولم يطلع عليها أحد، لئلا يضيق صدورهم. وكتبتُها في مدة طويلة.

واعلمْ يا ولدي أن المِلك في ابتداء مُلْكِه كمثل الشجرة في ابتداء طُلوعها، فيأتي ريحُ يهب عليها يُحَرِّكها، وربما يَقْلَعُها من أصلها، فإذا مَضَتْ عليها الأيامُ والسنين قَوِيَ أصْلُها، واشتد ساقها، فلا تحركها الرياح العواصف. فاعلم يا ولدي إشارتي، تَنَبَّهْ لغَرَضِيي. وإن ضاق صدرُك من شخص فاحْتَمِلْهُ، وأحْسِنْ إليه تحسن سيرتُك، ويُحِبك عدوُك. ولا تعجل بالعُقوبة. واعلم إن الناس أعداءٌ لبعضهم البعض. فلا تسمع كلامَ احد دون أن تُقَابِلَ بينه وبين خَصْمه، ولو أتاك مقطوعَ اليد. فربما خصمُه أسوأ حالاً منه. فإذا عُرِفَ هذا منك، تَقِلُّ الشَّكَاوي والرِّقَاعات، ويستريحُ خاطرُك.

ملحق رقم (٣) [١]

إقرارات خاصة بكفاءة الزوج (عقود)

١٣٩

طراز تاريخ رقم ٠٤/١٧٣٥ يرجع تاريخه إلى اليوم السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ (٢ من ديسمبر سنة ١٢٤٢م)

وهو مكتوب على ورق أبيض غير نظيف، طوله ٣٥,٥ س وعرضه ١٧,٢س.

وقد كتب الكاتب الأول الجزء الأكبر من الوثيقة (س١- ٦، ١٠-١٢) بخط منمق. ويحتمل إن يكون هذا الكاتب نفسه قد كتب إقرارات الثلاثة الشهود ب ج د (س٧-٩). وقد كتب الشهود هـ و ز أسطر ٣-١٥ بحبر أسود، وأضيفت النقط عرضا. وظهر الورقة خال من الكتابة. وقد طويت أربع طيات موازية للأسطر.

ولا يعرف بعد المكان الذي كشفت فيه الورقة أولاً.

وهي كاملة وبحالة جيدة.

ويمكن اعتبار النصوص الثلاثة الآتية (أرقام ١٣٩-١٤١)- على ما أخبرني الأستاذ يوسف شاخت (Prof. J. SCHACHT) وثائق ثانوية بالنسبة لعقود الزواج. وتتصل توقيعات الثلاثة الشهود (أو الشاهدين) الأول بالوثائق الثانوية على حين تتصل الثلاث الوثائق الأخرى (أو الأربعة) بالشهود الموقعين على عقد الزواج الأصلي.

---

(١) جروهمان، أوراق البردى العربي، السفر الثاني، ص٢٠٣.

القسم الثاني/ وثائق فقهية ملحق رقم ١٣٩

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- شهد من اثبت شهادته اخره انهم يعرفون فاطمة البكر البالغ ابنت ابو بكـــر بـــن علـــي الرديني

٣- يشهدون أنها يؤمئذ بكر بالغ حرة مسلمة خالية من موانع النكاح ولم يعقد عليها عقد.

٤- نكاح إلى يوم تاريخه وان اخاها شقيقها احمد مستحق ولاية تزويجها وان الزوج الراغب

٥- في عقد نكاحها عبد الملك بن شجاع بن طرخان كفوها وذلك بتاريخ السابع من جمادى

٦- الآخر سنة اربعين وستمائة

٧- شهد بمضونه ناصر بن نصير شهد بمضمونه عمران بن شهد بمضمونه يوسف بن

٨- بن .... اولاد عرفة اسماعيل بن عرفة وكتب عنه بركان بن منصور وكتب عنه

٩- وكتب عنه بامر (ه) في (ت)ـــاريخه بامره في (ت)ا (ريخـــ)ـــه بـــــامرة في (تـــ)ا(ريخـــ)ـــه

٢ إقرارات خاصة بكفاءة الزوج رقم ١٣٩

١٠- جملة الصداق ثمانون دينارا الحال عشرة دنانير الوصل سبعون دينارا

١١- سبعة دنانير في سلخ كل سنة من انتقال تاريخه.

١٢- عقد بولا اخيها المذكور في تاريخ المذكور اعلاه

١٣- حضرت العقدة حضر ذلك حضر ذلك

١٤- وكتب عبد العزيز بن عبد الحي... حمزة بن شمر في تاريخه احمد بـــن صـــالح الصابث

١٥- في تا(ريخـــ)ــه في (تاريخـــ)ــه

إقرارات خاصة بكفاءة الزوج رقم ١٤٠

٩ أما عن الاختصار المستعمل في هذا السطر فلتراجع لملاحظات التي أبديتها تحت رقم ١٠٥ س٣ (ص١٢٧) ورقم ١٤١ س ١٩.

١٤ قراءة هذه الكلمة العزيز غير محققة، والكلمة الثانية في العمود الثاني غير واضحة.

قد وقع الشاهد الذي ورد اسمه في العمود الأول تحت رقم ١٤١س ١٤-١٥. وإذا صرفنا النظر عن لفظ حمزة المذكور هنا، فإننا نستطيع أيضا أن نقرأه جمرة، حُمرة. على أن ورود هذا الاسم على هذا الوجه أو على كليهما نادر الوقوع قليلا أو كثيرا.

١٥ راجع س ٩ من هذا النص للوقوف على اختصار الكلمات الواردة في هذا السطر.

١٤٠

تاريخ رقم ٣/١٧٣٥ يرجع تاريخه إلى شهر جمادى الثانية سنة ٦٤١هـ

(٣٠ من نوفمبر سنة ١٢٤٣م)

وهو مكتوب على ورق أبيض غير نظيف طوله ٢٥,٣س وعرضه ١٦,٢س. وقد كتب الكاتب الأول الجزء الأكبر من الوثيقة (س١-١١) بخط جميل على الرغم من أنه يدل على السرعة. وقد كتب توقيعات الشهود الثلاثة بمداد اسود (س١٢- ١٤) بأيد مختلفة (ب. ج.د) والنقط كثير، وظهر الورقة خال من الكتّابة.

وقد طويت الورقة طيا موازيا للأسطر من أسفل إلى أعلى. وعرض الطيات المتواليات كما يلي: ٠,٠٥+ ٢,٣+ ٢,٢ + ٢,٢+ ٢,٤+ ٢,٥+ ٢,٦+ ٢,٦+ ٢,٨+ ٢,٧ + ٢,٥س.

ولم يعرف بعد المكان الذي كشفت فيه هذه الورقة أولاً.

وهي كاملة وبحالة جيدة.

القسم الثاني/ وثائق فقهية ملحق رقم ١٤٠

١. بسم الله الرحمن الرحيم

٢. شهد من اثبت اسمه انهم يعرفون كفية البكر البالغ ابنة خلبوص بن سليم

٣. المقيم ببيهمول معرفة صحيحة شرعية ويشهدون أنها بكر بالغ صحيحة (صحيحة) العقل والبدن

٤. خالية من موانع النكاح وان والدها المذكور مستحق الولاية عليها اهلا لتلك وان الراغب

٥. في تزويجها محسن بن ابي الزهر بن شمخ كفوا لها وضمن بذلك على فور وذلك

٦. تاريخ الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة إحدى واربعين وستماية

٧. شهد بذلك شهد بذلك

٨. عمر بن عبد العزيز بن معز علي بن عبد الله بن محمد

٩. حال مؤخر في سلخ كل سنة

ملحق ٢/ إقرارات خاصة بكفاءة الزوج رقم ١٤٠

١٠. عشرين دينار   ستين دينارا   ستة دنانير

١١. عقد بولاية ابيها المذكور الزوج المذكور على الصداق المذكور في التاريخ المذكور

١٢. حضرت ذلك   حضرت ذلك   حضرت ذلك

١٣. وكتب احمد بن الحسن بن ... كتبه علب بن طاهر بن احمد   وكتب محمد بـــن عبــد الوهاب النوبي

١٤. تم   تم   تم

ملحق ٢/ إقرارات خاصة بكفاءة الزوج رقم ١٤١

١٤١

تاريخ رقم ١٧٣٥/٥ يرجع تاريخه إلى ٢٢ من صفر سنة ٦٤٣هـ

(١٩ من يوليه سنة ١٢٤٥م)

وهو مكتوب على ورق أبيض غير نظيف طوله ٢٤,٦ وعرضه ١٧,٦س. وقد كتب الجزء الأكبر من الوثيقة (س١-٧، ١١-١٣) بخط نسخ رشيق منسق كتبه الكاتب الأول بيد مسرعة. وقد كتب نفس الكاتب توقيعات الشهود (س٨-١٠)، كما كتبت توقيعات الشهود الأربعة في أسطر ١٤-١٨ بأربع أيد مختلفة (ب ج د هـ) وبحبر أسود. والنقد قليل، وظهر الورقة خال من الكتابة.وقد طويت الورقة طيا موازيا للأسطر. وعرض الطيات المتواليات كما يلي: ١,٢+ ١,٩+ ١,٨+ ٢+ ٢,٥+ ٢,٥+ ٢,٦+ ٢,٦+ ٢,٧+ ٢,٨+ ٢,٢س.

ولم يعرف بعد المكان الذي كشفت فيه هذه الورقة أولاً.

والورقة تكاد تكون كاملة. وقد بقيت الهوامش في أسفلها وفي جانبيها الأيمن والأيسر. وقد تمزقت قطعة في أعلى الورقة، كما تطرق التلف إلى بعض أجزاء النص، ومحلى السطران الأخيران.

القسم الثاني/ وثائق فقهية ملحق رقم ١٤١

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- شهد من اثبت شهادته اخره انهم يعرفون حجة ابنة يوسف بن عبد الحميد معرفة صحيحة تامة.

٣- نفسها واسمها ونسبها ويعلمون ويشهدون أنها يومئذ بنت بكر بالغ حرة مسلمة صـحيحة العقل.

٤- والبدن خالية من موانع النكاح لم يعقد عليها عقدة نكاح الـ(ــى يو)م تا) ريخـ(ــه) وان (اخا) ها شقيقها

٥- سعد بن يوسف بن عبد الحميد مستحق ولاية تزويجها لما يعلمـون لهـا ود (٠) ـــموه يعـ(ــلــ)ــمون

٦- كله ويشهدون بحقيقته ولما سألهم سائل اثبات شهادتهم بما علموه من ذلك وتحققوه اجابوا سؤاله

٧- واثبتوا < ١> لهم شهادتهم اخره وذلك بتاريخ الثاني والعشرين من صـفر سـنة ثلاثـة واربعين وستمائة

٨- شهد بذلك شهد بذلك شهد بذلك

٩- عثمان بم حسان بن حسن عثمان بن صدقة بن طلائع عمر بن وهيب بن جميل

١٠- الجدى وكتب عنه بامره وكتب عنه بامره في تاريخه وكتب عنـه بـامره ومحضره

ملحق ٢ / إقرارات خاصة بكفاءة الزوج رقم ١٤١

١١- تزوجت بولاية اخيها المذكور من عبيد بن علي بن جميل على صداق مبلغه من العين الذهب المعزى عشرون دينارا .

١٢- الحال من ذلك خمسة دينرا وباقي المهر وهو من العين المثلثى خمسة عشر دينارا قسط السنة عند سلخها

١٣- دينارين وفي سلخ سنة الأخيرة منها دينرا واحد ومدتها ثمانية سنين

١٤- حضرت ذلك حضرت العقدة حضرت ذلك

١٥- وكتب سائب بن محب بن جابر وكتب عبد العزيز بن عبد الحي كتبه يحيى بن عبد الله بن عمر الموفاني

١٦- تم تم

١٧- حضرت ذلك في تاريخه

١٨- وكتب يوسف بن احمد بن عزيز

١٩- في (تاريخـ)ـه